

# الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي

محمد إبراهيم حور<sup>١</sup>



## مقدمة

هذه رسالة يبحث موضوعها في حقبة من أقدم الحقب في أدبنا العربي ، ولم يكن في نيتي أن يكون موضوع رسالتي في تلك الفترة ، ولا في الفترات القريبة منها ، لأنني صاحب قضية ، ومن المنعم عليّ أن لا يكون بحثي ، وبجال عملي ، إلا فيما يتصل بهذه القضية . كان أمني أن أبحث في موضوع يتصل بفلسطين - وطني ، إلا أن نظام الدراسة في قسم الماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد حال بيني وبين تحقيقي ورغبتني أن ذاك ، حين حظرت عليّ دراسة الأدب الحديث المعاصر ، وهو ما كنت أنوي بحته . ولما اقترح عليّ أستاذي الدكتور جميل سعيد هذا الموضوع - الذي أحده بين يدي القاري - وجدت أكثر من دافع دفعني إلى قبوله . من هذه الدوافع ، أن الموضوع له ماس - من قريب وبعيد - بما يدور في نفوس من عواطف وانفعالات نحو وطني المغتصب ، مثلاً ذلك في « الحنين » ، ومنها - أيضاً - الرغبة في أن أجعل هذا الموضوع مقارباً ومقتسلاً منذ أقدم عصور الأدب العربي ، إلى يومنا هذا ، فأكون حينئذ حقة ما صبرت إليه بدقة وتفصيل . ومنها بعد ذلك طرافة الموضوع وجدده . إذ أنه لم يقع بين يدي كتاب قديم أو حديث ، يبحث الموضوع بشكل منفصل ومستقل ، اللهم إلا تلك الإشارات التي سيرد ذكرها خلال الرسالة .

وقد اشتملت الرسالة على تمهيد وأربعة فصول :

أما التمهيد ، فقد تحدثت فيه عن مفهوم الوطن عند غير العرب ، بينت معناه عند من أقدم السور ، وتطوّر هذا المفهوم بتطوّر الحياة في مختلف جوائرها . ثم أتت الحديث عن مفهومه عند العرب ، في أقدم معجماتهم التي وصلتنا . وتطوّر هذا المفهوم ، من عصر لآخر ، حتى يومنا هذا . ولا جدنا أن لغة « الوطن » وأردت في الأدب العربي ، وفي أقدم نصوصه ، وأن هناك تقارباً شديداً بين لفظي « الوطن » و « الحنين » .

ثم تحدثنا عن صلة الإنسان بوطنه . وكيف أن الإنسان مرتبط ببلده التي



يميش فيها وينشأ ، تؤثر فيه ، ويتأثر بها ، في سلوكه وتفكيره وما يسه وما كره  
ومسكنه ، لذلك يكون الاتصال بها ، وحبه لها ، وحنينه إليها ، فيما إذا ابتعد عنها .  
ودلنا على أثر البيئة على الإنسان بعدة أمثلة عند أكثر من أمة من الأمم  
المختلفة في بيئاتها ، وظروفها الطبيعية ، التي أثرت تأثيراً كبيراً على سكانها ، في  
مختلف جوانب حياتهم .

ثم تحدثنا عن الحنين إلى الوطن في الأدب الإنساني ، فظاهرة الحنين  
إلى الوطن ، إنسانية عامة ، تراها عند كل الأمم ، وفي كل العصور . ودلنا على  
هذا بنماذج مختلفة من الآداب . قديمها وحديثها . ثم أخذنا بتفصيل الحديث عن  
هذا في أدبنا العربي .

كما تعرضنا في حديث قصير إلى العرب والشعر وقد تبين فيه أن العرب أمة عاطفية ،  
وأن أشعارها جاءت مترجمة لهذه العواطف ، وأن هذه الأشعار لم تغفل عن الحنين  
إلى الوطن ، وهذا الحنين حفظ لنا في ديوان العرب ، شأنه شأن ما اعتز به العربي  
في أشعاره الخالدة ، التي دلت على مشاعر القوم وأحاسيسهم ، نحو ما كانوا يحبون  
ويحملون . ثم تحدثنا عن العرب والوطن . وكيف أن العربي محب بطبعه — لوطنه  
حان إليه إذا ما نزح عنه ، وقد أشرنا كذلك إلى وطن البدو وتعريفه وتحديدته ،  
وإلى وطن الحضر وتعريفه وتحديدته .

ووجدنا من المفيد عدم غش الطرف عن ظاهرة الهجرة عن الوطن ،  
والدعوة إليها ، عند قسم من الأدباء والشعراء ، فبحثنا دوافعها وظروف التي  
أدت إليها .

وأما الفصل الأول فكان عن الحنين إلى الوطن في شعر البدو . وقد ذكرت فيه  
البادية وظروف العرب فيها ، وتأثيرها فيهم . فهي صحراء جرداء ، تفرض على  
ساكنها الترحال والانتقال ، وراء الماء والعشب . وتفرض على صاحبها المرور  
بدياره التي سكن فيها ، وقضى شراً من حياته بين جنباتها ، فإذا هي أطلال بالية .  
وإذا هو يقف عليها حين يمر بها ، أو يمر ج عليها يبكي ويستبكي على أيامه السالفة .  
من هنا كان شعر الأطلال كثيراً في الشعر العربي البدوي الجاهلي . وكان يتصل اتصالاً  
مباشراً بموضوعنا : الوطن ، والحنين إليه ، . فهو حنين إلى الوطن في رأينا ،



ورأى من سبقونا من القدماء والمحدثين ، قلنا ذلك ، ولم نغفل ما في شعر الاطلال من عوامل التقليد ، واقتراان ذكر الاطلال بالحبيبة في أحيان كثيرة . وخرجنا من ذلك ، إلى أن شعر الاطلال عند البدو — في الأغاب الأعم — هو حنين إلى الوطن ، وهو عند الحضرة تقليد للقدماء والسابقين .

تلا ذلك تحليل لقصائد الحنين إلى الوطن عند شعراء البدو ، في المصيرين الجاهلي والإسلامي وقد روعى في الحديث عن الشعراء وقصائدهم ، التسلسل الزمني لسنى وفاتهم . وأما الفصل الثاني فكان عن الحنين إلى الوطن في شعر الحضرة ، وتحليل جمهرة من قصائد الحنين عندهم . ولاحظنا فيه قلة شعر الحنين عند الحضرة ، إذا ما قورن بشعر البدو في الحقيقة ذاتها التي درستناها . وكان مرد ذلك يعود إلى استقرار حياة الحضرة عن حياة البداوة ، إضافة إلى إهمالنا لشعر الاطلال عندهم .

أما فصل الحنين إلى الوطن في شعر المرأة وهو الفصل الثالث فقد بدى بالحديث عن المرأة والشاعرية . لوحظ فيه أن المرأة تمتاز برغبة الشجور ، ورهافة الحبس ، وشدة الملاحظة ، والعفة والتخجل — وإنها في هذه الشعائر أكثر تدفقاً من الرجل . وأن هذه الشاعرة قد انصهرت في أشعارها . فكان شعرها يصطبغ بلون واحد هو لون الحزن والرثاء والحنين ، وكان هذا سبباً في قلة شعرها ، أو بتعبير أدق ، في قلة ما وجدنا من شعرها .

وفي تحليل عدد من قصائد الحنين إلى الوطن عندها ، لاحظنا أن المرأة أعنف شعوراً بالحنين إلى الوطن من الرجل . وأن شعرها خال من شعر الاطلال ، الذي كثير آما ورد عند الرجل ، ولم يكن بحث شعرها على المنهج ذاته الذي كان عند الرجل ، ينقسم الشعر إلى باقية وحاضرة ، وذلك لأن مدغم الشعراء من البداوة . وقليل منهم من الحاضرة . ولم نجدهم على أساس التسلسل الزمني ، لأن المصادر لم تصرح بأسماء كثير منهم ولا بتاريخ وفاتهم .

ثم أعقبنا الحديث عن الشعر بالحديث عن النثر في الفصل الرابع . والتعبير بالنثر عن هذا دون التعبير بالشعر عندهم .

وفصل الحنين إلى الوطن في الشعر الشريف ، بدى بالحديث عن النثر العربي وظهوره . وعن الإيجاز فيه في الحقيقة الجاهلية وما بعدها .

ثم تلا هذا الحديث عن الحنين إلى الوطن في القرآن الكريم والحديث الشريف

ولو حظ فيه أن الله سبحانه وتعالى ، حث في كثير من آيات كتابه العزيز على التمسك بالوطن ، والحفاظ عليه ، والدفاع عنه .

ولو حظ فيه الحنين إلى الوطن عند الرسول الأعظم ﷺ وقد كان حينه إلى مكة شديداً حين هاجر عنها . ثم عند الصحابة والتابعين . وقد ظهر حنينهم ودعوتهم إلى التمسك بالوطن في مظان كثيرة من أقوالهم .

وظهر الحنين في الأمثال والقصص ، وفي الرسائل والمكاتبات . وقد زخرت هذه بالحنين إلى الوطن ، خاصة وقت الضيق والشدة في الغربة .

فلا ذلك الحديث عن التأليف في الحنين إلى الوطن . وقد ذكرت فيه المكب أو فصولاً منها ألفت في الحنين إلى الوطن .

واختتمنا الرسالة — بعد هذا بذكر ما توصلنا إليه من النتائج من خلال البحث والدراسة .

وبعد : فهذا ما استطعنا الوصول إليه ، من خلال الدراسة والبحث . ونحن لا نقدر على السكوت في العمل . ونرجو أن تكون قد وفقتما بما قمنا فيه ، وأن ينفع غيرنا بمعلنا .

وإذا أوشك أن أضغ القلم جانباً ، بعد جهد كبير ، وتعب ممتن ، وستين عجاف قضيتها متفاسمة بين العلم والعمل — لا يسعني إلا أن أتوجه إلى الأستاذ الكبير الدكتور جميل سعيد ، الذي كان له من التوجيه والإرشاد ، والمطاف والنجمة ، خير دافع ومشجع ، لكي تكون هذه الرسالة بالصورة التي تحبها . أقول : أتوجه إليه بالشكر الجزيل ، وحفظ الجليل ، الذي لا أنساه ما حييت ، كما أتوجه بالشكر إلى الاستاذين الفاضلين ، الدكتور باقر عبد الغني والدكتور عناد غزوان عضوي لجنة المناقشة لما أبدياه من ملاحظات قيمة ساعدت على تقويم الرسالة . وإلى كل من قدم إلى دعوتنا أو ملاحظتنا أو توجيهاً وأحسن بالذكر الأخوة الدكتور أنس داور وهادي حسن حمودي .

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

محمد إبراهيم حور



# تمهيد

## ١ - ماذا نعني بالوطن

لعل من نافذة القول ، أن نقرر ، ما لإيضاح مفهوم الوطن ، عند غير العرب ، ثم عند العرب ، من أهمية باللغة ، وقيمة عظيمة لدراستنا . حيث أنه سيكون المفتاح لمعرفة مفهومه منذ أقدم العصور . وهل أنه هو المفهوم الحديث ، المتعارف عليه ، في أيامنا هذه ، أم أن هناك اختلافاً في الأمر ؟ .

### ١ [ ١ ] عند غير العرب :

إذا فلتشنا في المعجمات الإنجليزية (١) — مثلاً — عن لفظة (Home) ، فإننا

نجدها تعني ، في اللغة الإنجليزية القديمة والعصور الوسطى . قرية ، أو مدينة ، أو مجموعة مساكن ، أو قرية بأكواخها . وهي بهذا — فيما نرى — أشبه ما تكون بالحي الذي كانت تنتم فيه القبيلة العربية ، أو الحي . ثم تطور المعنى ، فأصبح يعنى : مكان سكنى الإنسان ، ومحل قريته . وهو المسكان أو الإقليم ، أو الدولة التي يعود إليها الإنسان بصورة حقيقية ، حيث يتركز حيزه إليها ، أو حيث يجد الرضى والراحة فيها . وهو مسقط الرأس . وقد استعمله البريطانيون وهم خارج بلادهم حيث هاجروا وسكنوا المستعمرات البريطانية . وقبلهم استعمله البريطانيون . الذين هم من أصل بريطاني من سكان أمريكا ، للإشارة بذلك إلى بريطانيا العظمى (Great Britain) ، أو إلى الوطن الأم (The Mother Country) أو إلى الوطن القديم (The Old Country) . وهذا — فيما نرى — هو المفهوم الحقيقي للوطن الذي ثبت اصطلاحه ، وأكد معناه ، أولئك الذين نزحوا عن الوطن ،

(١) Webster's New International Dict. & The Oxford English Dict.



وتغربوا عنه ، وذاقوا لوعة الحنين ومرارة الحرمان من أوطانهم ، على الرغم من ظروف العيش ، التي كلها رخاء ونعيم — فيما نحسب — والتي لا قورها في مستعمراتهم الجديدة . نقول — على الرغم من ذلك فالوطن عندهم هو ، بريطانيا العظمى ، وبريطانيا الأم .

ومن لفظة (Home) جاء لفظ (Homeland) ويعني الوطن أيضاً . و (Homeless) وتعني الذي ليس له وطن ، أو المنرد عن الوطن و (Homesick) وتعني المصاب بداء الحنين إلى الوطن .

و (Homesickness) وتعني السكابة الذهنية والبدنية ، التي يسببها الحنين إلى الوطن أثناء الغياب عنه . والتي تسمى في الاصطلاح الطبي (Nostalgia) (١) . وهي لفظة يونانية ، مؤلفة من كلمتين ، الأولى : (Nostos) وتعني العودة إلى الوطن . والثانية : (Algos) وتعني الألم ، أو حالة مرضية .

وبهذا فصل إلى أن الوطن عند الأجانب ، يختلف في معناه في العصور القديمة ، عما هو في العصور المتأخرة . وذلك نظراً لتطور الحياة ، التي بطبيعة الحال ، يكون التطور في مفاهيمها ، وفي دلالاتها على الأشياء . ونخرج عنه . إلى أن مفهوم الوطن مرتبط بحبه ، وبالحنين إليه . فمندم الوطن ، وحب الوطن ، والحنين إلى الوطن . بل ومرض الحنين إلى الوطن ، عند أولئك الذين نأوا عنه ، وغلهم الشوق إليه .

#### [١٥] عند العرب :

وعند العرب نلاحظ أن لفظة الوطن يتطور مفهومها أو مدلولها على الزمن أيضاً . تقدم لنا المعجمات اللغوية معنى كلمة ، وطن ، وتطوره تطوراً يستطيع أن نرتبه ترتيباً تاريخياً ، نخرج منه إلى الإجابة عن التساؤل الذي طرحناه في نتيج حديثنا .

(١) Stedman's Medical Dict. P. 1095 & Webster's New International Dict.

ففي المعجمات الأولى (١) ، نلاحظ أن الوطن هو مريض الإبل والغنم . ومن  
تطور إلى شمول الإنسان به ، حين يتخذ منزلاً ينزله ، أو يعيش فيه ، ونلاحظ أن  
المفردين وأهل المعجمات ، لم يشترطوا في الوطن ، أن يكون مسقط رأس الإنسان .  
وذلك لأن هذا الإنسان العربي ، الذي يولد في الصحارى ، في شبه الجزيرة العربية ،  
ليس له مكان معين بعد مسقط رأسه . وطبيعة تنظيم حياتهم الاجتماعية ، كانت  
تفرض عليهم هذا المفهوم ، الذي حدد في عبارة ابن سيدة : « الوطن : حيث أقمت  
من بلد أو دار » (٢) . وعلى ذلك ينسحب هذا المبدأ ، إلى كل مكان ينزله الإنسان ،  
ويستقر فيه ، ويعدّه مستقراً له ومقاماً . بل إن هذا المفهوم ، قد اتسع بصورة  
كبيرة بعد الإسلام . فقد كل مكان يقف فيه الإنسان وقفة زمنية موطناً ، ومنه جاء  
« موطن مكة » . وقد نفت ابن منظور إلى هذه الناحية المهمة فقال : « موطن مكة :  
مواقعها ، وهو من ذلك ، وطن بالمسكان وأوطن : أقام » (٣) . إن هذه الإقامة ،  
لم يشترط فيها الأقدمون مدة من الزمن ، ولا حقيقة من الحقائق ولا أي شيء آخر .  
وفي هذه النقطة بالذات ، يقول ابن منظور : « أما المواطن : فكل مقام أقام به  
الإنسان لأمر ، فهو موطن له » (٤) . ولقد أسهم الأدب النبوي في توسيع هذا  
المفهوم حين نهى ( ﷺ ) عن إيطان المساجد (٥) . أي جعلها أوطاناً ، يمكن فيها  
الإقامة وقتاً أكثر مما ينبغي .

وفي المعجمات الحديثة ، لا نجد مادة جديدة ، تضاف إلى المادة القديمة . فكأنهم  
يحاول أن ينقل عن الأقدمين ، كالحوري في أقران الموارد ، وعبد الله البستاني في  
البستان ، وبطرس البستاني في محيط المحيط ، وإبراهيم مصطفي والزيات وزملائهما  
في المعجم الوسيط .

(١) انظر : جوهرة اللغة لابن دريد : ١١٩ / ٢ ، وتهذيب اللغة للأزهري :  
٢٨ / ٤ ، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : ١٢٠ / ٦ ، والصحاح للجوهري :  
٢٢١٤ / ٦ .

(٢) النحصر لابن سيدة : ١١٩ / ٤ .

(٣) لسان العرب لابن منظور : ٤٥١ / ١٣ .

(٤) المصدر السابق ، الجزء والصفحة نفسها : وقاج العروس للزبيدي : ٣٦٢ / ٩ .



ومن تشعبات الموضوع ، ظهرت لدينا لفظة الوطنية التي اختلف مؤداها باختلاف المذاهب والاتجاهات السياسية . لكنها — على ما فيها من خلاف — تتصل أولاً وآخرها بالوطن ، وحب الوطن ، والإخلاص له ، باختلاف الطرائق التي تتبناها الأفكار والتيارات الإنسانية المختلفة (١) .

من هذا يتجلى لنا ، أن المسمى يختلف اختلافاً يتنسأ ، عن مفهومه في عصرنا الحاضر ، بل وحتى من عصر إلى عصر . إذ أن مفهوم الوطن في العصر الجاهلي ، يختلف عنه في العصر الإسلامي وعصر بني أمية ، وهو في هذا يختلف عنه في العصر العباسي .

ففي القديم ، كان المسمى ضيقاً ، فلم يتجاوز مفهوم الوطن ، الحى أو الحى الذى يقيم فيه الإنسان مع عشيرته أو قبيلته . كما أنه لم تكن سائدة تلك الروح القومية ، التي ترتبط في عصرنا الحاضر بمفهوم الوطن . لأن الروح القبلية والنصب لها ، كان يحل محل أى ارتباط قومى أو وطنى . إلا أن هذا لا ينفي وجود الروح ، التي يمكن أن نسميها قومية ، وذلك حينما ينتقل التكتل والشاؤون ، من قبيلة إلى أخرى ويسود عدة قبائل ، وذلك في أيام العرب خاصة ، فيظهر لنا تماسك القبائل ، ودفاعها عن بعضها البعض حينما تخرج إلى سخط خارجى ، يهدد أمنها وسلامتها : نقول : كان النصب القبلى هو الطاغى على كل شىء ، والدعوة إلى نصرته الإلخ ظالماً أو مظلوماً هي السائدة . فلم يكن — في غالب الأحيان — هناك مجال إلى أية دعوة للظهور ، أو أية فكرة للنور ، حتى وإن كانت صحيحة ومستقيمة ، إلى أن جاء الإسلام وشرح صدور الناس ، وبين لهم الرشد من الغى ، والصواب من الخطأ ، ودعا إلى نبذ النصب القبلى ، والتناصر العائلى . وجاء بروح جديدة ، تختلف عن سابقتها ، كما تختلف في كثير من قرائنها ، عما هو سائد في أيامنا ، من الساحة المرتبطة بالوطنية .

فقد دعا الإسلام إلى الإخاء والمحبة والسلام إلى أن الأرض أرض الله ، والعبيد عبيد الله إلى أنه لا فضل لعربى على أجنبى إلا بالتقوى . وإلى أن الناس

(١) أنظر فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين : ١٠ ، وآراء وأحاديث في الوطنية

الاستاذ ساطع الحصري : ٧



سواسية كأسنان المشط . ومع ذلك ، فقد دعا الإسلام في مواضع كثيرة من القرآن الكريم إلى التمسك بالوطن . وبين قيمته وأهميته بالنسبة لساكنيه . ونهى عن الهجرة عنه . وهذا ما سنبينه مفصلاً في مكان آخر من البحث — إن شاء الله .

أما عن ورود لفظة الوطن في الشعر العربي — وهو أقدم النصوص الأدبية التي وصلتنا من الأدب العربي — فهي قديمة قدم الشعر العربي نفسه . منذ العصر الجاهلي ، بل ومنذ أقدم شعراء العصر الجاهلي . قال امرؤ القيس (١) :

يذكرها أوطانها تل ماسح منازلها من بربعين وميسرا (٢)

وقال عنزة (٣) :

أحرقني نار الجوى والبعاد بعد فقد الأوطان والأولاد

وقال طرفة (٤) :

على موطن يخشى الفتى عنده الردى

مضى تترك فيه الفرائص ترعد (٥)

ثم تكرر ذكرها في الشعر الإسلامي والأدب الإسلامي ، وعاء تلاء من عصور . قال النبي صلى الله عليه وسلم : حب الوطن من الإيمان (٦) . وقال عمر بن أبي ربيعة (٧) :

قد هاج قلبك بعد السلاوة الوطن والشوق يحدثه للنازح الشجن

(١) ديوان امرؤ القيس : ٢١٦ .

(٢) بر بعيص وميسر : موضحان .

(٣) ديوان عنزة : ٦٧ .

(٤) ديوان طرفة : ٤٣ .

(٥) الردى : الهلاك . والفرائص : جمع فرصة ، وهي بضعة تلي الجنب عند

مرجع الكنف ، وهي أول ما يرد من الإنسان وغيره عند الفزع .

(٦) صحيح البخاري في منازل السراور لعلاء الدين الغزولي : ٢ / ٢٦٢ .

(٧) عمر بن أبي ربيعة : ٤٣٥ .

وقال جميل بن منفر (١) :

أنا جميل والحجاز وطني فيه هوى نفسي وفيه شجني

فلفظة الوطن عند امرئ القيس تعني أوطان الأبل وديارها . وعند عنترة تعني دياره وأوطانه . وعند طرفة تعني موضعاً .

وبين لفظة الوطن والحسين ، تقارب شديد ، وارتباط وثيق . فقد نص اللغويون على أن حسين الأبل يعني نزوعها إلى أوطانها وأولادها (٢) وكذلك الإنسان .

\*\*\*

## ٢ — صلة الإنسان بوطنه

يرتبط الإنسان ببيئته ارتباطاً وثيقاً . لأن الإنسان مكل بيئته . وهي مكلة له ، في نشأته وتطوره . ومن هنا كان للإقليم الذي يعيش فيه الإنسان وبشأ أثر كبير في أخلاقه . وتكوينه النفسي ، واستعداداته الفكرية . وإبداعاته العقلية . وهذه القابليات تختلف من إنسان لآخر ، تبعاً لاختلاف الأقاليم ، واختلاف الظروف الطبيعية والمناخية فيها . ومن هنا ، كان أهل البادية — على ما قالوا — أصنى ذهنياً من سكان المدن ، لصفاء أجواء البوادي عن أجواء المدن . وأهل البلاد الباردة ، أسرع حركة نشاطاً من أهل البلاد الحارة . وفي البلد الواحد ، يختلف أهل الجبال أهل السهول نشاطاً وصفاء ذهن . ولهذا كان تمسك الإنسان ببيئته ، والتزامه لها ، ورفضه البعد عنها ، أو الرحيل منها . لما له من أثر على طبيعته النفسية ، ونشأته الطبيعية ، التي — ربما — تجر عليه الكثير من المتاعب ، بل والأمراض . لأن في اختلاف الظروف الطبيعية والمناخية ، من إقليم لآخر ، من الحرارة إلى البرودة ، أو من البادية إلى الريف . أو من الريف إلى المدينة ، أو من السهول إلى الجبال ، كل هذا يؤثر تأثيراً واضحاً على الإنسان . وغنى عن البيان ، ما كان يعاني منه المسجون ، في أيام قنوجاتهم الأولى ، في بلاد المشرق والمغرب ، من صنوف المرض والحمى ، لانتقالهم من بيئة

(١) ديوان جميل : ٢٠٦ .

(٢) جمهرة اللغة : ٦٤/١ ، وتهذيب اللغة : ٤٨/٣ .



إلى أخرى ، تختلف عن الأولى في المناخ وظروف المعيشة ، والعادات والتقاليد ، بل واللغة ، وهي أسلوب التفاهم الوحيد للإنسان . هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، فإن مكوث الإنسان في بيئته ، منذ المولد والنشأة ، بين أهله وعشيرته ولتعوده على ظروف معينة ، وعادات وتقاليد خاصة ، يجد من الصعوبة بمكان تغييرها ، أو تقبل ما يختلف عنها . يضاف إلى ذلك ، تلك العلاقات الاجتماعية ، التي اتسمت بسماة معينة من ذلك المحيط الذي نشأ عليه الإنسان في بيئته .

إن هذه العوامل مجتمعة . كانت الحافز الأول والرئيسي ، في أن يقوم ذلك الترابط المحكم ، بين الإنسان وبيئته . وأن تكون صلته بها ، وبما تحمله من عادات وتقاليد ، أوثق وأشد رسوخاً في كيانه من أي شيء آخر .

وقد التفت الباحثون في الأجناس البشرية (١) ، إلى أثر البيئة ، وحالة الإنسان بها . فقالوا : إن حالة الإنسان ببيئته وأرضه ، أكثر ارتباطاً وتعقيداً من حالة الحيوان والنبات بالبيئة والأرض . ويقولون : إنك لا تستطيع أن تقول : أن ابن الصحراء ، يمكنه أن يعيش في القطب ، وأن ابن القطب يمكنه أن يعيش في الصحراء إلا إذا استطعت أن تقول : إن الجمل — وهو ابن الصحراء — يستطيع أن يعيش في القطب ، وأن دابة القطب ، في استطاعتها أن تعيش في الصحراء .

ولاحظ داروين (Darwin) أن العلاقة بين الكائن الحي والبيئة ، هي علاقة ملائمة وتكيف . فعلى الكائنات الحية ، أن تتلاءم مع البيئة ، وتتكيف مع ضرورياتها . وأن هذه الملائمة ، عملية مادية حتمية ، لا يملك الكائن الحي إزاءها شيئاً . بل إن البيئة ، تختار الأفراد الذين تتلاءم صفاتهم مع ظروفها ، اختياريّاً طبيعياً ، وتترك غيرهم للفناء . وأن البقاء للأصلح والملائمة ، مع البيئة (٢) .

(١) اعتمدنا في حديثنا هذا — اعتماداً كبيراً — على الفصل الذي عقده أستاذنا الدكتور جميل سميد على البيئة ، في كتابه ، الوصف في شعر العراقي ، .

(٢) البيئة والمجتمع للدكتور محمد السيد غلاب : ٢٠ .



ولاحظ ، كالرتر ، (Carl Ritter) أن المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ، يفعل فعله في كل عضو من أعضائه . ولاحظ أن عيون التريكان إنما كانت صغيرة طولانية ، قد أحيطت بجفن غليظ منتفخ ، نتيجة لتلك البيئة الصحراوية التي يسكنها هؤلاء ، ونتيجة لأثر تلك البيئة في هذا العضو الحساس .

ولاحظ ، ستانهورب سميث ، (Stanhop Smith) أن ارتفاع الأكتاف ، وقصر الأعناق ، عند تتر منقولا ، إنما جاء نتيجة لعادتهم في رفع أكتافهم رفعا مستمرا ، يقرون به أعناقهم عادة تلك الريح الباردة ، التي تهب عليهم ، فيحارون في مواجهتها وترك الفرد منهم ، وهو أبدا يرفع كتفيه ، ويقلص عنقه ، حتى كأنه يريد أن يدخل رأسه في جسده ليقيه بذلك عادة الريح . ولاحظ أن عيونهم الصغيرة ، التي يكثر فيها الحول ، وحواجبهم النائمة ، ووجوههم العريضة ، التي برز عظم الوجنة فيها ، — — — لاحظ أن هذا كله ، إنما كان نتيجة لكثرة هبوب الرياح العاتية الباردة عليهم ، ونتيجة لشدة برق الثلوج ، ولآلاتها لآلاف قبح العين ، وتأخذ البصر — — — وقد تمادى في كلامه هذا ، حتى قال : إن البرد بفعاليته ، يشوه كل سمته ، ويطيحها بطابع الشدة والصرامة .

وقد لاحظ تين (Taine) النقاد الفرنسي ، إن الإنجليز ، إنما وهب هذه القدم العريضة الضخمة ، نتيجة لحيثه في تلك الأرض الرخوة اللينة . وقد نستطيع أن نقول : إن صحراء العرب ، قد فعلت في قدم العربي مثل ذلك ، وربما كان هذا الأمر في غاية الوضوح ، إذا نظرنا إلى خف الجمل — وهو ابن الصحراء — لقد وهب هذا الخف ، ليعاونه على السير في الرمال ، ولئلا تنطس قدمه فيها وتغور ، إذا أسرع .

والبيئة ، كما أثرت في خلقة الإنسان وهيئته ، أثرت كذلك في ملامحه ولونه . فهي التي كست أهل المناطق الاستوائية الحارة ، لونهم الأسود البراق . وكست جسم العربي هذه السمرة النحاسية ، وكست أهل البلاد الباردة لونها الأبيض المائل .

وتحدث ابن خلدون عن هذا في مقدمته ، ورد على المسعودي وعلى القصاص  
والنسابين العرب ، الذين زعموا أن الزنج ، إنما أسود لونهم ، لدعوة نوح على  
على ابنه حام . وأن هذا الإبن ، إنما كسى بالسواد — وهو أقبح الألوان وأبشعها  
عند العرب — لدعوة دعاها أبوه عليه . لقد رد ابن خلدون على هذا القول ،  
واعتبره خرافة وعزا ذلك إلى بيئتهم الحارة ، وإلى شمسهم المحرقة . قال في المقدمة :  
« وفي القول بنسبة السواد إلى حام ، غفلة عن طبيعة الحر والبرد ، وأثرهما في الهواء ،  
وفما يتكون فيه من الحيوانات ، وذلك أن هذا اللون شمل أهل الإقليم الثاني ، من  
مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب . فإن الشمس تسامت بهم مرتين  
في كل سنة . قريبة لإحدهما من الآخرى ، فتطول المسافة عامة القصور ،  
فيكثر الضوء لأجلها . ويبلغ القيظ الشديد عليهم ، وتسود جلودهم لأفراط  
الحر . . . . . ثم يتحدث عن أهل الشمال ، وعن أثر الجو البارد في ألوانهم ،  
وعيونهم ، وشهورهم ، وأمزجتهم . ويرى أن سبب غلظ النساء ، إنما جاء من  
ضيقهن . إن هذا الاختلاف إنما سببه الاختلاف في الأنساب . ولم يعلموا ما للأرض  
من أثر في ذلك .

ويظهر أثر البيئة الطبيعية واضحة في اللغة . أنها غنية غنى عظيماً فيما يتعلق بالبيئة  
من حيوان ، أو نبات ، أو رمال ، أو جبال . وهي فقيرة فيما يتعلق عن البيئة . أو يكون  
ضعيف الصلة بها . فقبيلة الدنكا — القبيلة الأفريقية التي تسكن أعلى النيل الأبيض —  
قد غنيت لغتها كل الغنى بأسماء الألوان . فيها أسماء عدة تدل بها على تدرج الظل ،  
وتدل بها على تدرج الصبغة واللون قوة وضعفاً . ولهم في الألوان ألفاظ خاصة  
متمايزة ، يحددون بها ألوان حيواناتهم بدقة متناهية . فعندهم ، القهوائى ، والأشهب ،  
والألكم ، والأحر ، والأبيض . والمدزر ، والمرقط . . . وهكذا لهم أسماء كثيرة  
يتدرجون بها تدرج الألوان في كل حيوان .

والصموئيد (Samoyedes) الذين يقطنون شمال روسيا ، لهم اثنا عشر لفظاً ،  
يعبرون بها عن تدرج الألوان الرصاصية . وقد جاءتهم هذه الألوان من تلون غرا  
الرتة ، واضطرارهم إلى تسميته ، وتمييز بعضها عن بعض .

وإذا نظرنا إلى العرب في هذا ، وجدنا اللغة غنية كل الغنى ، في الألوان التي



تكثر في صحرائهم ، ان للخضرة والسواد — وقد كانوا يسمون أحدهما باسم الآخر —  
نحراً من أربعين اسماً . وقد غنيت لغتهم غنى عظيماً فيما يضطرب ببيتهم ، من  
حيوان أو نبات . كما افترقت فيما لا يحتاجون إليه ، أو فيما هو قليل الصلة بتلك  
البيئة . وفي فجر الإسلام ( للمرحوم الدكتور أحمد أمين ) : وأنت إذا نظرت إلى  
اللغة العربية ... فالفاظ اللغة — مثلاً — في منتهى السعة والدقة ، إذا كان الشيء  
المرضوع له اللفظ ، من ضروريات الحياة في المديشة البدوية ، وهي قليلة غير دقيقة ،  
فما ليس كذلك . ويقارن الأستاذ أحمد أمين بك بين ما يتعلق بالسفينة . وبين  
ما يتعلق بالإبل من ألفاظ . ويقول أن السفينة لم تستغرق من تخصص ابن سيده  
إلا أقل من سبع صفحات ، على حين تستغرق الإبل جزءاً من سبعة عشر جزءاً  
من مجموع اللغة . وتجرد اللغة غنية إذا نظرت إلى ما وضعوه للعشب والصحراء  
والوديان ، ولكنك تجدها فقيرة ، إذا قارستها فيما يتعلق بالبحر ، وموجّه  
وتياراته ، وسفنه .

ونحن نستطيع أن ننظر ونرى ، عكس هذا عند الأمم التي تقطن السواحل  
والجزر ، وتجرب الأنهار والبحار ، كالامة الإنجليزية مثلاً . أننا نرى لغتهم  
وافرة الألفاظ غاية الوفرة ، فيما يتعلق بالبحر ، ولكنها فقيرة غاية الفقر ، فيما يتعلق  
بالصحراء .

وأثر البيئة الطبيعية واضح في تمايز سكانها . فالبيئة السهلية أو البحرية  
تشق تشبيهاتها ، واستعاراتها ، وأمثالها ، مما يتعلق بالنهر ، أو البحر .  
والبيئة الصحراوية ، تشق تشبيهاتها ، واستعاراتها ، وأمثالها ، مما يضطرب في  
الصحراء .

وشأن البيئة كذلك ، شأنها في الخيال والذوق والأدب (١) .

وتدبراً ، التفت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، — رضي الله عنه — إلى أثر  
البيئة الطبيعية على الإنسان . فكتب إلى حكيم من حكماء عصره — حين فتح الله

(١) الوصف في شعر العراقيين وما بعدها .



البلاد على المسلمين ، من الشام ، والعراق ، وغير ذلك من بقاع الأرض — قال :  
إنما أناس عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن ننبؤا الأرض ، ونسكن  
البلاد والأقطار ، فصف لي المدن وأحوايتها ومساكنها ، وما تؤثره التربة والاهوية  
في سكانها . فكتب إليه ذلك الحكيم : اعلم — يا أمير المؤمنين — أن الله تعالى  
قد قسم الأرض أقساماً ، شرقاً ، وغرباً ، وشمالاً ، وجنوباً . فما تنامي في  
التشريق ، ولجج (١) في المطلاع الساح (٢) منه النور ، فهو مكروه ، لاحتراقه  
وناريته ، وحدته واحراقه لمن دخل فيه . وما تنامي مغرباً — أيضاً — أضر  
سكانه ، لموازنة ما أوغل في التشريق . ومساكن ما تنامي في الشمال ، أضر  
ببرده ، وقرته ، وثلوجه ، وآفاته إلا جسامه فأوريتها الآلام . وما اتصل بالجنوب ،  
وأوغل فيه ، أحرق بناريته ما اتصل به من الحيوان ، ولذلك صار المسكون من  
الأرض جزءاً يسيراً ، تناسب الاعتدال ، وأخذ بحظه من حسن القسمة . وسأصف  
لك — يا أمير المؤمنين — النظم المكونة من الأرض . . . وأما الجبال ،  
فتخشن الأجسام وتغاضها ، وتبلد الأقسام وتقطعها ، وتفسد الأحلام ، وتبيت  
الحمم ، لما هي عليه من غلظ التربة ، ومثانة الهواء وتسكته ، واختلاف مياهه ،  
وسوء منصرفاته .

والاخلاق والصور — يا أمير المؤمنين — تناسب البلد وتجاذبه وتقاومه ، وتوافقها  
وتضامها . وكل بلد اعتدل هوائه ، وخف مائه ، ولطف غداؤه ، كانت صور أهله  
وخلاتهم ، تناسب البلد وتجاذبه ، وتشاكل ما عليه أركانه ، وما أسس عليه بنيانه .  
وكل بلد يزول عن الاعتدال ، انتسب أهله إلى سوء الحال (٣) .

هذه هي البيئة إذن — التي هي الوطن — ؛ قوة عارمة طاغية . وهذا هو أثرها  
على الإنسان — بل وعلى كل كائن حي . ملائمة بينها وبينه . وأثر كبير على تكوينه ؛  
في جسمه وعياله ؛ في لونه ولغته ؛ في تربيته وحياله ؛ في ذوقه وأدبه ؛ في ما كله

( ١ ) لجج القوم . إذا وقعوا في الشج . ولجة القوم ، أصواتهم . واللجة واللجة :  
اختلاط الأصوات .

( ٢ ) الساح : ما أنك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك .

( ٣ ) مروج الذهب للبغوي : ٢ / ٦١ : ٦٢ .

وملبسه ، في عاداته وتقاليده ، في نشاطه ونمونه ، في حله وترحاله ، وفي كل ما يرتبط له بصلة في حياته . فهل لنا أن نقول : أن الحنين إلى تلك البيئة — التي هي الوطن — جزء لا يتجزأ ، من كيان الإنسان ووجوده ، بعد الذي لحظناه ١٩ .

نقول ذلك ، لما تذكرنا ما قلناه ، وإذا تذكرنا — أيضاً — أنه كلما ذكر الشعراء ، والحكماء ، والعلماء ، والملوك ، والقواد — أهلهم وأسرهم في حنينهم إلى أن ما ذكره وردده ، في حنينهم إلى بيئاتهم وأوطانهم ، كان أغلب وأعم .

### ٣ — الحنين إلى الوطن في الأدب الإنساني

الإنسان يحب لبيته ووطنه ، وهو متمسك بهذا الوطن ، يحن إليه ، ويدافع عنه ، ويبتذل في سبيله كل غال ورخيص ، للذود عن حياضه . وهذا الحب ، لم يكن مقتصرأ على قوم دون آخرين ، أو مجموعة من البشر دون أخرى ، إنما كان عاماً مطلقاً — فيما نعلم — لم يخل منه أي أدب حتى ، في تاريخ الفكر الإنساني .

والحنين إلى الوطن ، ظاهرة إنسانية عامة ، لا يستطيع المرء التخلي عنها ، مهما بلغ رقيه الحضارى ، وتطوره انساى ، وسموه الروحى ، اللهم إلا في حالات شاذة نادرة سيكون لها مكانها من هذا البحث — إن شاء الله . ومنذ وجد الإنسان ذاته في وطن ، بين أهل وأصحاب ، آباء وأبناء ، شعر بقوة الرابطة التي تربطه بهم ، وبهذه البلاد التي شهدت خلقه وحياته ، وكانت مسرحاً لتطورات النفس والفكرية . ونحن نجد هذا ، في أقدم ما وصلنا من آداب الأمم ١ .

ففي الأدب الفرعونى (١) ، نلح هذا في قصة « سنوهيت » ، التي ألفت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . يروى سنوهيت عن نفسه ، أنه بينما كان يقاتل اللويين ، تحت

---

(١) الامة الفرعونية أمة عظيمة ، لها حضارة عريقة وآثار خالدة ، وتاريخ مجيد . شيدت إحدى عجائب الدنيا السبع — أهرامات الجيزة ، وخلدت أبا الهول وغيره من العظماء ، وشرفت أدباً رفيقاً رقيقاً ، ولم يخل هذا الأدب من المسمنين إلى الوطن .



لامرأة ولي العهد ، سنو سرت الأول ، ، ورده الخبر بموت الملك ، مناجات ، ، فترك  
الجيش ، وهرب مسرعاً إلى الشام ، وهناك استقبل استقبالاً حاراً ، من قبل ملكهم ،  
وأتيحت له فرص إظهار بطولته وكيانه الاجتماعي ، واستطاع أن يمدح مسعياً في  
في ربوع الشام ، لكنه سرعان ما حنَّ إلى وطنه ، فترك كل شيء ، وعاد مسرعاً  
إلى مصر ، لأنه كأي إنسان آخر لا يستطيع أن يدفن ، إلا في البلد الذي ولد فيه .  
يقول سنو هيت .

كنت فاراً هارباً في وقتي  
والآن بكتب التقرير عني في مقر الملك  
وكنت ثقيلاً يتضائل بسبب الجوع  
والآن أقدم الخبز إلى جاري  
وكنت رجلاً ترك بلاده بسبب الحرب  
والآن أرتدي الملابس البيضاء والسكتان  
وكنت رجلاً أسرع الخطى لعدم من أوسل  
والآن أملك العبيد بكثرة  
يتى جميل ، ومحل لإقامتي رجب  
وإني أذكر في القصر الملكي

وأنت — يا أيها الإله — أيما كنت ، التي أمرت بهذا الحرب ، كن رحيماً ،  
وأعدي ثمانية إلى مقر الملك ، وربما تسمح لي أن أرى المكان الذي يسكن فيه قلبي ،  
والامر الذي هو أهم من ذلك ، أن تدفن جثتي في الأرض التي ولدت فيها (١) .

وفي السوق إلى منف ، يقدم لنا الأدب الفرعوني قطعة فخارية بالعواطف ،  
التي يذكر فيها الحنين إلى الأوطان ، وفيها : تأمل ! إن قلبي قد ذهب خلسة ، وإنه  
يسرع إلى مكان يعرفه ، وأنه يسبح منحدراً مع التيار ليرى منف ، — ولكن  
أجلس هنا منتظراً رسولا ، ليخبرني عن حال منف ، ، ولم تسكن أية رسالة .

(١) (١) الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة لسليم حسن : ٤٠/١ .

ولذلك يخفق قلبى فى مكانه . تعال إلى يا بنى ، لتأخذنى إلى دمتى . ودعنى  
أنظر إليك على عجل (١) .

وفى الأدب اليونانى (٢) نجد فى نصوص الاللياذة ذكراً للأوطان فى أكثر من  
موضع ، ويبدو أن شخصيات الاللياذة القوية ، كانت تستمد قوتها من حنينها إلى  
وطنها ، وتعلقها به . فها ، أخيل (٣) وهو من شخصيات الاللياذة الحكيمه  
المتسكرة ، يظهر حنينه إلى وطنه ، كعامل نفسى قوى ، يدفعه إلى ترك الحرب ،  
والغفول إلى منزله ، وهو يعلم جيداً ، أنه أن غادر الحرب ، سينسر وأثامنون ،  
هذه الحرب . يقول أخيل — كما ترجم البستاني :  
سأقلع راجعاً ولدى خير أعاد موطنى وأحل دارى (٤)

أنها الروح التى تملك الانسان فى حالة غربته ، فيتعلق بأوصى سبب يشفى غليله ،  
ويسود به إلى الوطن .

ونجد فى الأوديسا (٥) هو ميروس — أيضاً — حنيناً إلى الوطن ، قوياً  
مؤثراً ، يلب لب القارىء ، ويشغف قواده . فى مقطوعة من مقطوعات  
الأوديسا ، تحاول إحدى حوريات هذه الأسطورة ، أن تغرى أوديسس (٦)

(١) المصدر السابق : ٣٦٧/١

(٢) وإلياذة اليونانية ، كأمة متحضرة ، بلغت الحضارة عندها درجة سامقة ،  
استطاعت أن تنقل إليها رأيها فى الحنين إلى الوطن ، مصوراً ذلك على ألسنة فلاسفتها  
وشرائعها ، ولا تنسى أن سرور طروادة قد وقعت بين وطنين من هذه الأوطان  
وكانت تذكيرها العصبية الوطنية ، تلك هى نصوص الاللياذة ، التى نلنا بها  
هو ميروس ، تدفعنا إلى تقرير ذلك .

(٣) أخيل ، وأخيل (Achilles) قيل فى معناه حديد الجيش . وهو زعيم  
المريدون .

(٤) الاللياذة هو ميروس . ترجمة سليمان البستاني : ص ٢١٨ .

(٥) الملحمة الثانية هو ميروس وهى كلها مغامرات ومخاطرات .

(٦) بطل من أبطال الأوديسا وأشهر أبطال الإغريق المناضيد كما كان يسمى  
الافارقة لأنه كان يفوقهم فى الصيت وبعد الشهرة .



بالبقاء إلى جانبها ، وعدم الرحيل إلى وطنه . لكنه يأبى ذلك ، ويرفض حتى الخلود والشباب الأبدى ، الذى تمنيه بهما تلك الحورية . تقول الأوديسا فى الحديث عن أوديسيوس : « وبعد أيام ، قذفته الأمواج إلى ساحل أوجوجيا <sup>(١)</sup> ، جزيرة كالوبسو <sup>(٢)</sup> ، فاستقبلته الحورية بكل ترحاب ، ثم هامت به وأبقتة معها مدة تزيد على سبع سنوات ، ثم اشتاق إلى وطنه ، وكانت تنقصه السفينة والملاحون . فحاولت أن تثنيه عن عزمه ، بأن وعدته الخلود والشباب الأبدى ، إن بقى معها ، ولم يجد ذلك فتىلاً . وأخيراً تشفعت له أثينا <sup>(٣)</sup> عند زوس <sup>(٤)</sup> . فأرسل هيرميس <sup>(٥)</sup> ، يأمر كالوبسو بمساعدته فى الرحيل ، فاشتركت معه فى بناء زورق سحاحى ، وأمدته بالمؤن اللازمة للرحلة — — — » <sup>(٦)</sup> .

ذاك وأخيل ، فى الإلياذة ، وهذا أوديسيوس ، فى الأوديسا ، وكلاهما من مجنونة أساطير اليونان ، وانسلوا بألهمهم ، ودخلوا فى صراع عنيف مع القوى المسيطرة على الكون وانتصروا فيها . هؤلاء العظماء الذى مجدهم الأدب اليونانى ، يقفون إلى صف العظماء اليونانيين ، الذين مجدهم تاريخ اليونان ، كالاسكندر المقدونى . يقفون إلى جانبهم فى صف واحد ، يلتهب فى قلوبهم الحنين إلى الوطن . وبعدون الوطن حياتهم ، مبدأهم ومعادهم .

ويروون أن الاسكندر المقدونى ، على عظمته ، وقوة بأسه ، وشدة بطشه ، كان وامتاً لوطنه ، وقد رسم لمن بعده من العظماء طريقاً . مؤداه أن الوطن هو الأول والأخير فى حياة الإنسان ، فليد يعيش ، وعلى ترابه يتعرع ، ومن أجله

( ١ ) أوجوجيا : مدينة بجزيرة كالوبسو .

( ٢ ) كالوبسو : عروس البحر ( قصة الأديب فى العالم ١ / ١٤٨ ) .

( ٣ ) أثينا : الحورية التى عشقته .

( ٤ ) زوس : إله من آلهتهم .

( ٥ ) هيرميس : رسول الآلهة .

( ٦ ) الأوديسا لهوميروس . ترجمة أمين سلامة : ١ / ١٨ — ١٩ : وقصة

الأديب فى العالم للدكتور أحمد أمين وزكى نجيب محمود : ١ / ١٤٨ .

يقال ويحارب ، وفي تراثه يجب أن يوارى جده . لذلك نراه يوصي حين تحضره  
الوفاة ، أن يحمل في تابوت ذهب إلى بلاده ، حباً في وطنه (١) .

ويروون عن أفلاطون قوله : « غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها » (٢) . وقال :  
يداري كل عليل بمقاير أرضه ، فإن الطبيعة تتطلع لمراتها ، وتنزع إلى غذائها (٣) .  
هي الطبيعة إذن ، وطن الإنسان ، يولد فيها ، وفيها يجد شفاء لعله ،  
ومتروحاً لآلامه .

ويروون عن جالينوس قوله : « يتروح العليل بنسيم أرضه ، كما تنبت الحبة بيل  
القمح » (٤) . جالينوس إذن ، في حكمته هذه ، يربط الإنسان بوطنه وأهله ، الذين  
هم دوائه وملجأه . فكان الإنسان بين أهله ووطنه ، كالحبة التي لا تستغنى أبداً  
عن المطر .

ولستطيع أن نختتم هذا الحديث القصير ، في الحنين إلى الوطن عند اليونان ،  
بأبرز وأبلغ حديث نقلوه لنا عن فلاسفتهم ، إذ جعلوا حب الوطن ، يدخل في صميم  
تركيب جبهة الإنسان . نقل الجاحظ والراغب الأصفهاني ، قول بعض الفلاسفة :  
« فطرة الرجل معجونة بحب الوطن » (٥) . وقد يما عقب الجاحظ على هذه النصوص  
المتواترة ، عن عظماء اليونان وفلاسفتهم ، ومدى تعلقهم بديارهم وأوطانهم ، فأكبر  
فيهم هذا الحنين ، وحظه تحليلاً طريفاً ولسيح إلى أن الحنين إلى الوطن ، عاطفة  
حياتية . لا تنفك أعلامها أية عاطفة أخرى : قال : « فمؤلاؤه الملوك الجبارة ، الذين لم  
يفتقدوا في اغترابهم نعمة ، ولا غادروا في أسفارهم شهرة ، تحنوا إلى أوطانهم ،  
ولم يؤثروا على قلوبهم ، ومساقط رؤوسهم ، شيئاً من الأقاليم المستفادة بالتغاضي ،

( ١ ) رسائل الجاحظ : ٤٠٩ / ٢ : ومطالع البدور : ٢٩٢ / ٢ .

( ٢ ) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : ١٨٨ / ٢ .

( ٣ ) رسائل الجاحظ : ٣٨٧ / ٢ : والمحاسن والاعتداد للجاحظ : ٩٣ ،

والمحاسن والمساوي للبيهقي : ٣٢٦ / ٢ ، وديوان المعاني للعسكري : ١٨٨ / ٢ .

( ٤ ) المصادر السابقة وصفحاتها نفسها .

( ٥ ) رسائل الجاحظ : ٣٨٧ / ٢ ، ومخاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني : ٦٣٠ / ٤ .



والمدن المغتصبة من ملوك الأمم، (١).

وفي الأدب الهلنستي، شعور دافق، وحب عظيم للوطن، وشوق وحنين إليه. يظهر هذا لنا جلياً عند الشاعر الروماني سولون (٢)، حينما يحتل جزء من بلاده — جزيرة سالامينا — فيجن جنونه، ويطالب بالدفاع عنها، وتحريرها من المحتلين، ويصل به الحد، إلى أنه يمتنى لو يستطيع تغيير وطنه، والانتساب إلى غيره. وذلك لما أصابه من الذل والضم، ولكن أنسى له ذلك! وهل له من وطنه فكاك! وهو الشغوف به، المضحي من أجله، الداعي لتخليصه من المحتلين الدخلاء (٣). قال: «بالياني كنت أستطيع تغيير وطني، والانتساب إلى مدينة «فوليغندوس»، أو إلى مدينة «سيكينوس»، لأنني لا أحتمل أن يشير إلى الناس قائلين: «هذا هو أحد الإثنيين الذين تخلوا عن سالامينا». وأن تنتقل هذه الجملة من فم إلى فم». ثم يختم قصيدته بهذه العبارة الملهمة: «إلى الامام، إلى سالامينا، لتقاتل من أجل تلك الجزيرة الثابتة، ولتطرد العار بعيداً عنها» (٤). أرايت إذن، كيف يكون القتال والتضحية والفداء من أجل الوطن، والدفاع عنه، والعودة إلى ربوعه، هو أمل الشاعر وما يدعو إليه؟! :

أما الهنود والفرس، فيكفينا أن نشير، إلى بعض ما رواه قدماء العرب عن تعلقهم في أوطانهم. قالوا: «قالت الحكمة: حنين الرجل إلى وطنه، من علامات الرشد» (٥). فجعلوا من علامة الرشد عند الرجل، حنينه إلى وطنه.

(١) رسائل الجاحظ: ٤٠٩ / ٢ :

(٢) نورد أن نورد بأن هناك بعض الاختلاف في رواية أحاديث الحكماء والعظماء كأضافة كلمة، أو تغيير في أخرى، إلا أن المضمون واحد وقد اعتمدنا في تثبيت النص هنا على أقدم المؤلفين في هذا المجال وفيما سيلي من نصوص.

(٣) ولد سولون في أثينا في بلاد الرومان حوالي سنة ٦٤٠ ق. م. وهو أحد الحكماء السبعة فيها.

(٤) الأدب الهلنستي لككتور محمد غلاب: ٦٠ / ٢ .

(٥) ديران الهلنستي: ١٨٧ / ٢ .

وروا عن حكيمهم بزرجمهر (١) قوله : « من أمارات العاقل ، برة بإخوانه ،  
وحبته إلى أوطانه » (٢) فجعل الحنين إلى الوطن ، أمانة من أمارات العقل عند  
الرجل . وقالوا لما غزا اسفنديار (٣) بلاد الخزر ، اعتل بها ، فقيل له : ما تشتهي ؟  
قال : شربة من ماء دجلة ، وشمعة من تراب اصطخر . فأقى بعد أيام بماء وقبضة من  
تراب ، وقيل له : هذا من ماء دجلة ، ومن تربة أرضك . فشرب واشتم بالوهم ،  
فنفه من علة (٤) : هكذا هي الحياة إذن . الموت في الهجرة عن الدار والوطن ،  
والحياة الحرة الكريمة في طواياها وفوق ترابها . ويروى لنا الجاحظ ، أن سابور (٥)  
لما أسرى بلاد الروم ، قالت له بنت الملك — وكان قد مرض وعشفته — : ما تشتهي ؟  
قال : شربة ماء من دجلة ، وشمعة من تراب اصطخر ، فحمل إليه فبراً (٦) . وكذلك  
يروى الجاحظ رواية ثانية عن اشتياق اسفنديار إلى وطنه ، وأنه اعتل ببلاد الخزر ،  
فطالب شمة من تربة بلخ ، وشربة من ماء واديهما — قال : « وحكي الموبذ (٧) أنه قرأ  
في سيرة اسفنديار بن يستاسف بن لهراسف ، بالفارسية ، أنه لما غزا بلاد الخزر ،  
ليستفقت أخته من الأسر ، اعتل بها . فقيل له : ما تشتهي ؟ قال : شمة من بلخ ،  
وشربة من ماء واديهما (٨) .

وكما روى الأقدمون عن الاسكندر المقدوني ، أنه أوصى بأن يحمل جده إلى  
بلاده ، كذلك روى أن وهرز (٩) بن شيرزاذ قد نقل جده إلى وطنه ، بناء على  
وصيته لابنه شيرزاذ . قالوا : « ولما افتتح وهرز بن شيرزاذ بن بهرام جور النين ،

( ١ ) حكيم من حكماء الفرس ، وهو بزرجمهر بن البختگان كان وزير آل أبروین .

( ٢ ) ديوان المساني : ١٨٧/٢ .

( ٣ ) قائد من قواد الفرس .

( ٤ ) محاضرات الأدباء : ٦٢٢/٤ .

( ٥ ) هو التاسع من ملوك الساسانية . وهو سابور بن هرمز بن هرمي ابن بهرام .

( ٦ ) رسائل الجاحظ ٨/٢ . ٤٠٨ .

( ٧ ) قاضي الجوس ، ورئيس الكهنة . فارسي معرب .

( ٨ ) رسائل الجاحظ ٨/٢ . ٤٠٨ .

( ٩ ) وهرز قائد فارسي أرسله كسرى أنو شروان مع سيف بن ذي يزن

الخميري منجداً له على الحبشة .



وقتل ملك الحبشة المتغلب كان على اثنين (كذا) أقام بها عاملاً لآنو ثروان . فبنى  
بحران اليمن ، وهي أحسن مدن الثغور . فلما أدركته الوفاة ، أوصى ابنه شيراز  
أن يحمل إلى أصفخر نارس (١) أبيه ففعل به بعد ذلك (٢) .

وقال أحد الحكماء — من الهنود أو الفرس : « الخروج من الوطن أحد  
السيئات ، والجللاء أحد القتالين » (٣) . وقد يما قالت الهند : « حرمة بلادك عليك ،  
مثل حرمة أبويك . لأن غذاءك منهما ، وغذاءهما منك » (٤) ، فالوطن هو الأول والآخر  
في حياة الإنسان ، وللوطن حرمة يجب أن تصان ، أنها مثل حرمة الأبوين . وما  
الأبوان . وما الأبوان إلا بعض انتاج الوطن . وقال حكيم آخر ، من هؤلاء  
الحكماء ، وهو يفلسف الحنين إلى الوطن في قول رقيق ، وأسلوب رائع : « الحنين من  
رقة القلب ، ورقة القلب من الرعاية ، والرعاية من الرحمة ، والرحمة من كرم النظرة  
وكرم النظرة من طهارة الرسالة ، وطهارة الرسالة من كرم المحند » (٥) . أنها طبيعة  
الإنسان ، الطبيعة الجيدة ، أن يحن الإنسان إلى وطنه ، لأن الحنين إلى الوطن من  
كرم المحند . وجعل آخر الدار مهدياً ، والوطن ظراً حزين قال : « أرض الرجل فأنه ،  
وداره مهدي » (٦) .

وقالت العجم : « من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة ، وإلى  
مدينتها رأسها تواقفة » (٧) فالحنين إلى الوطن على هذا ، جزء لا يتجزأ من مدارك  
الإنسان ورشده . وقال حكيم آخر : « احفظ بلاداً رشحك » (٨) ، غذاءه ، وأرع حتى .

( ١ ) نارس ، مدفن أو قبر . فارسي معرب .

( ٢ ) رسائل الجاحظ : ٩/٤ .

( ٣ ) ديوان المعاني : ١٨٧/٣ .

( ٤ ) رسائل الجاحظ : ٣٨٥/٣ ، وديوان المعاني : ١٨٨/٣ .

( ٥ ) المحند : الأصل : يقال : هو كريم المحند ، وهو كرام الخاند .

( ٦ ) رسائل الجاحظ : ٣٨٦/٣ .

( ٧ ) ديوان المعاني : ١٨٨/٣ .

( ٨ ) رسائل الجاحظ : ٣٨٥/٣ ، ومحاضرات الأدباء : ٤/٢٢٠ .

( ٩ ) الترشيع التنفيذية والنقدية .

أكثرنا فذاؤه ، وأولى البلد أن يهابتك إليه ، بلد رضعت مائه ، وطعمت غذاءه (١) .  
فهذا أمر حكيم من حكيم ، أخبر الدنيا ، ورأى أن البلد يجب أن يسان ، وأن الوطن  
يجب أن يحفظ ، لأنه السبب في وجود الإنسان ، ونشأته وترعرعه .

والأدب السرياني يقدم يقدم لنا نماذج من الحنين إلى الوطن ، خاصة ملحمة  
« أنشودة الروح » (٢) ، من شعر ابن ديسان .

ففي هذه الملحمة ، يتحدثنا ابن ديسان عن ابن الملك النسي رحل إلى مصر  
بحثاً عن المؤلوة ، وما كان يقاسيه هناك ، من تشرد وغربة ، رغم أنه كان  
يحاول استخلاص لؤلؤة أرسله أبوه للحصول عليها ، لكنه لم يستطع أن ينسجم  
مع الجو المصري رغم أنه قد تزيجاً بزي المصريين ، وحاول جاهداً أن يتصرف مثلهم ،  
لكن أشى له ذلك ،

وفي أسطورة « أفريم » (٣) ، يتجلى — أيضاً — هذا الشعور الذي دفع بهذا  
الرحالة إلى ترك مهناته ، شوقاً إلى الرثا وطنه الأصلي ، حيث عاد إليه ليحوت فيه سنة  
٣٧٣ م بعد أن طالت إقامته بمصر ، باعتباره أسقفاً صيحيماً .

وكثير من هذه الشواهد نجدتها في أساطير العظماء التي تروى عنهم .

أما العرب وموقفهم من الحنين إلى الوطن . فقد بينا رسالتنا هذه عليه .  
ووقفنا على الحديث عن الحنين إلى الوطن ، في فترة من فترات تاريخهم . وماذا  
إلا الكثرة ما وجدناه في أدبهم مما يتعلق بهذه العاطفة الجياشة . على أننا نورد هنا هذه  
الثقافات ، من مخازن عصور الأدب العربي ، القديم والحديث ، تمهيداً لتلك التفصيل ،  
وتبييناً لمواقف العرب من الأوطان ، والحنين إليها .

فالأصنى يحدثنا أحاديث طويلة عن ولع العربي بوطنه ، وتعلقه به . يقول :

(١) رسائل الجاحظ : ٢ / ٣٨٥ ، والخاصين والاضداد للجاحظ : ٩٣ .

(٢) تاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل : ٦٤ — ٦٥ .

(٣) المصدر السابق ، ٧١ / ٧٢ .



ودخلت البادية ، فنزلت على بعض الأعراب . فقالت : أفدني . فقال : إذا شئت أن تعرف وفاة الرجل ، وحسن عهده ، وكرم أخلاقه ، وطهارة مولده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى أخوانه (١) .

والقرآن الكريم . يصور ظاهرة حب الوطن . والتمسك به ، تصويراً رائعاً حين يحمل الخروج من النار كفة قتل النفس . قال الله تعالى : ( ولو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم ، أو يخرجوا من دياركم ، ما فعلوه إلا قليل منهم ) (٢) .

وانطلاقاً من تعاليم السماء ، رأينا الأنبياء ، عليهم السلام ، يحنون إلى الوطن . حدثنا الغزولي ، أن يوسف عليه السلام ، لما حضرته الوفاة ، أوصى أن يحمل إلى مقابر آبائه ، فنع أهل مصر أوليائه . فلما بعث الله موسى عليه السلام ، وأهلك فرعون ، حمّله إلى مقابرهم (٣) .

وكذلك كان موقفه بتقريب عليه السلام . يحدثنا الجاحظ فيقول : « مات بمصر ، وحملت رثته إلى إيلياء وقريبة بيت المقدس » (٤) .

ويذكر الجاحظ أن بعضاً من بني إسرائيل كانوا يتمكنون بوطنهم في حياتهم ، وبعد مماتهم ، يقول : « وعن تمسك من بني إسرائيل — عليه السلام — بحب الأوطان خاصة ، واد هارون ، وآل داود ، لم يميت منهم ميت في إقليم بابل ، في أي البلدان مات ، ألا نبشوا قبره بعد حوله ، وحملت رثته إلى موضع يدعى الحصاة بالشام ، فيودع هناك حولا ، فإذا حال الحول ، نقلت إل بيت المقدس » (٥) .

والرسول الأعظم ، عليه الصلاة والسلام ، كان كثير الحنين إلى مكة — وطنه —

( ١ ) مطالع البدور ، ٢/٢٩٢ .

( ٢ ) سورة النساء : ٤١ .

( ٣ ) مطالع البدور : ٢/٢٩٢ .

( ٤ ) رسائل الجاحظ : ٢/٤١٠ .

( ٥ ) المعجم السابق : ٣/٤١١ .

حتى أنه تغرورق عيناه ، حين يسمع أباننا (١) يصف له مكة ، ويقول : — حين يسأله الرسول : كيف تركت مكة ؟ — تركتهم وقد حيدوا (٢) ، وتركنا الأذخر (٣) وقد أغدق (٤) ، وتركنا الثمام (٥) وقد خاض (٦) ، وله عليه الصلاة والسلام مواقف أخرى في الحنين إلى الوطن — مكة — سوف نذكرها في مظاهرها .

وفي الشعر الإسلامي تستمر ظاهرة الحنين إلى الوطن . وفي أمالي المرتضى :  
لشاعر من نجد ، قوله (٧) :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة      باسماد نجد وهي خضر متونها (٨)  
وهل أشربن الدهر من ماء مزنة      بحرة لبلى حيث فاض معينها (٩)  
بلاد بها كنا نحل فأصبحت      خلاء ترعها مع آدم عينها  
تقيأت فيها بالشباب وبالصبأ      تميل بما أهوى على غصونها  
قال الشاعر بمعنى ، أقصى ما يعني أن يبيت ليلة بنجد ، موطنه ، وأن يشرب شربة

(١) صحابي جليل .

(٢) حاد عن الشيء : مال عنه وعدل ، وهنا حيدوا : أي عدلوا عن الدواب وتركوا الجادة .

(٣) الأذخر : نبات طيب الريح .

(٤) أغدق : أخصب ، والغدق : المطر الكثير .

(٥) الثمام : كثراب : نبات ، يستعملونه لإزالة البياض من العين . واحدته بهاء ويقال : بيت مشوم ، أي منطى بالثمام . ويقال لما لا يصبر تناوله : على طرف الثمام ، لأنه لا يطول .

(٦) مطالع البدور ، ٢/٢٩٢ .

(٧) أمالي المرتضى : ١/١٥١ .

(٨) المتون : جوانب الأرض في إشراف .

(٩) ماء مزنة ، وحررة لبلى : موعضان .



ماء من ماء المطر فيها . ثم أنظر إلى هذه الحسرة التي تبعثها في نفس القارىء عبارته :  
بلادها كنا نحمل . . . . . ثم انظر كيف يتذكرها مقرونة بأسعد أوقات حياته ،  
يتذكرها مقرونة بالشباب وبالصبا .

وقريب من هداما نراه ، في قصائد جاهلية وإسلامية كثيرة ، عن الوطن ، والحنين  
إلى الوطن ، وإلى البلاد ، ومن سكن البلاد ، والديار ، وما في الديار من ذكريات  
الصبا والشباب .

واستمر هذا الحنين ، قويا طاغيا ، رغم تطور الحضارة ، والهجرة الواسعة إلى  
الأقاليم والحواسر ، ففي كثير من القصائد العباسية ، يتجلى الحنين إلى الوطن ، جلاء  
ما به غموض . وما قول أبي تمام (١) :

نقل نوادك حيث شئت من الورى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألوه القتى وحنينه أبداً لأول منزل

ألا صرخة تذكيها عوازل الحنين والشوق إلى الوطن التي تجدها واضحة جلية  
في جمهرة الدواوين العباسية (٢) .

(١) ديوان أبي تمام : ١٥٧/٣ .

(٢) نجد هذا في قصيدة عوف بن محلم الخزاعي حين يقول : ( طبقات ابن

المعتر : ١٨٧ ) .

أنى كل يوم غربته ونزوح أما للنوى من ونية قريح

وقصيدة أبي نواس حين يقول : ( ديوان أبي نواس : ٤٧٦ ) :

ذكر السكرخ نازح الأوطان فصبا صبوة ولات أوان

وقصيدة سعيد الخالدي حيث يقول : ( ديوان الخالدين : ١٤٥ )

أنا لنرحل والاهواء أجمعها لديك مستوطنات ليس ترحل

وقصيدة ابن المعتز حين يقول : ( ديوان ابن المعتز : ٢٦٦ )

سقا لدار بنهر السكرخ من دار تركت فيها لباناتى وأوطارى

ولا يفرب عن البال ، أن العربي حين فتح الأندلس ، كان شعر الحنين عنده ،  
أصدق عاطفة ، وأشد لوعة ، خاصة حين يذكر أهله ودياره في المشرق العربي ،  
وبلاد الشام . حتى إذا ما طال استيطان العرب الأندلس ، وتداقبت أجيالهم فيها ،  
ظاهر شعر الحنين إليها ، داراً بديلة عن المشرق . والله در ابن خفاجة حين يقول (١) :

أنت للجنة بالأندلس مجتلى مرأى وريا نفس

فسنى صبحتها من شنب ودجى ظامتها من لمس (٢)

فإذا ما هبت الريح صبا صحت وأشواقى إلى الأندلس

وفي شعر أبي بن عمرو بن مالك ، يسقط سبب من أسباب الحنين إلى الوطن ، ذلك  
هو تذكُّر هذا الوطن ، بفعل ما يشوق هذا التذكُّر ، كالبرق ، والورق ، وصوب  
الغمام ، قال (٣) :

أشجاك النسيم حين يهب أم معنا البرق إذ يذهب ويخبو (٤)

== وقصيدة العباس بن الأحنف حين يقول : ( ديوان العباس بن الأحنف : ٢٦٩ ) :

ونازح الدار أغنى الشوق حبرته أسمى يحل بلاداً غيرها الوطن

وقصيدة أبي العلاء المهرى حين يقول : ( ديوان سقط الزاد : ١٤٤ ) :

ومن لى بألى فى جناح غمامة تشبهها فى الجناح أم رمال

وقصيدة أبي بكر الأزدي حين يقول : ( ديوان أبي بكر الأزدي : ١٠٩ ) :

أمن نحو العقيق شجاك برق كأن وميضه رجع الجنون

وقصيدة أسامة بن منقذ حين يقول : ( ديوان أسامة بن منقذ : ٥٨ ) .

كتم الجوى القلب الفرج فأذاعه الدمع الفسوح

وغير ذلك كثير .

( ١ ) الحلال السندسية اشكيب أرسلان : ٢٤٣ / ١ .

( ٢ ) الفس والفس : سواد يعلو شفة المرأة البيضاء ، وقيل هو سواد فى حرة .

( ٣ ) الحلال السندسية : ١٨٩ / ١ .

( ٤ ) الحب : الفناء ، والحب : هيجان البحر واضطرابه ، وكأن البرق يهيج .



أم هتوف على الأراكه تشدو أم هتوف من الغمامة مسكب؟

كل هذاك للصباية داع أي صبّ دموعه لا تصب؟

أنا لولا النسيم والبرق والور قوصوب الغمام ما كنت أصبو<sup>(١)</sup>

ذكرتني شلبا وهيئات منى بعدما استحك الأمر شلب<sup>(٢)</sup>

وفي الأدب العربي الحديث ، تظهر أشعار الحنين إلى الرقاع المختلفة من الوطن العربي . فالشاعر العربي العراقي — مثلاً — حين يرحل إلى جزء من العالم العربي ، نراه دائم الحنين إلى العراق ، كما فعل الكاظمي في شوقه إلى العراق ، وإلى الأنبار ، وإلى كل ديار بغداد . نستطيع أن نذكر مثلاً على هذا ، قوله (٣) :

جويّ أودي بقلبك أم وجيب غداة حدا بك الحادي الطروب

بعدت عن الديار وصرت تدعو على البعد الديار ، ولا محيب

تشدّ الرحل من بلد لأخرى وما لمناك من بلد نصيب

وفي مصر أراك وأنت لاه وقلبك في العراق جويّ يذوب

وأصبو للحمى بجميع قلبي كذا فليصب للوطن الغريب

سقى الأنبار كل أجش هام وجاد السكرخ ما طره الصبيب

في هذه الأبيات ، يصور عبد المحسن الكاظمي بعباده عن بغداد ، وشوقه إليها ، تصويراً يملك علينا أنفاسنا ، وبستهلك قلوبنا . ولا غرو ، لأنه حنين

(١) الورقة : السرة ، أي الأحدث في الليل .

(٢) شلب : مدينة الشاعر .

(٣) الحنين والغربة : في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر حسن .

صادق ، ينبعث من قلب مكروم ، وشاعر حزينة ، تظهر اللهو في مصر ، وتذوب  
اشقيافاً إلى بغداد .

وفي أندلسيات شوقي ، يضطرم الحنين إلى الوطن . ولا عجب فقد تفرغ عن بلده  
مصر إلى الأندلس . ويتجلى أحلى شعر شوقي حين يقول من قصيدة (١) :

يا ساكني مصر أنا لا نزال على عهد الوفاء وأن غبنا مقيمينا

هلا بعثتم لنا من ماء نهركم شيثاً ، نبل به أحشاء صاديننا

كل المناهل بعد النيل آسنة ما أبعد النيل إلا عن آمانينا

وأبيات شوقي هذه ، وإن كانت بعض معانيها تذكرنا بما قاله الشاعر العربي  
القديم ، أبو القمقام الأسدي (٢) :

اقرأ على الوشل السلام وقل له كل المثارب مذ هجرت حميم (٣)

جبل يزيد على الجبال إذا بدأ بين الربائع والجشوم مقيم (٤)

سقى لظلك بالعش وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم

لو كنت أم لك منع مائك لم يذق ما في قلاتك ما حيت سائيم (٥)

نقول : إن أبيات شوقي هذه ، وإن أعادت علينا بعض المعاني العربية القديمة ،  
لأنها تبرز لنا ، وتبرز كل قارئ و قارئ الأسدي ، لما تحمله من العواطف الجياشة  
الصادقة في ثناياها .

(١) أندلسيات شوقي : للدكتور صالح الأسقر : ٢٣ .

(٢) من حديث الماء في الأدب العربي . مقال الدكتور جميل سعيد بمجلة (٣)

العلم العراقي : ١٣ / ١٩٦١ .

(٣) الوشل : ماء لبني ساول بن عامر بن حمصنة .

(٤) الجشوم : الأكمة .

(٥) القمار والقلبي : حب يشبه حب الصفر .



ثم أن شوقي ، انطلاقاً من حنينه الطاغى إلى وطنه ، يقول قوله الخالد :

وطنى لو شملت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى  
وأخيراً نشير إلى شعر الذين طردوا من ديارهم ، والذين يظهر شعر الحزين  
عندهم ناراً مشتعلة ، وعاطفة جياشة ، شوقاً إلى الديار السليبية ، والوطن المختصب .  
نشير إلى شعراء وطنى وفلسطين ، الذين ذابت قلوبهم من حرارة الشوق ، إلى  
حيفا ويافا والجليل ، أنها الموعة والحسرة ، والنعب المنى ، والمواطن المشتعلة ،  
يصورها محمود الحوت حين يخاطب يافا ، وقد جفت دموعه ، وهو يتساءل عنها  
وعن شقيقاتها ، قال (١) :

يافا ، لقد جفت دمعى فانتحيت دما متى أراك ؟ وهل فى العمر من أمد  
كيف الشقيقات ، وأشواقى لها مدينا كأنها قطع من جنة الخلد  
ما حالها اليوم يا يافا وهل نعمت من بعد أن سلمت أمسا يداً بيد  
وكيف من قد تبتى فى مراحها وقد تركناه فيها ترك ملحد  
تعبت لكننى ما زلت فى تمبى أشكو إلى الله ، لا أشكو إلى أحد  
وشعر المهجر قريب فى تمثيله للشعر الأندلسى ، من حيث أن الشعراء قد  
هاجروا من دار إلى دار ، وتركوا ذكرياتهم وأهلهم ، واستوطنوا دياراً أخرى  
بأختيارهم ، وإرادتهم ، ومع ذلك ظهر فى شعرهم حنين إلى أوطانهم . لا نستطيع  
أن ندخله ، لما فيه من فن جذاب ، وشاعرية أخاذة ، وروح ظافية إلى تربة الوطن ،  
إلى العناقيد والدوالي ، إلى الروابي والعصافير ، إلى الأفاحى وشذاها . يقول  
إيليا أبو ماضي (٢) :

لكن أمنية بنفسى يسترها الخوف والحياء

( ١ ) الحزين والغربة فى الشعر العربى الحديث : ٨٧ .

( ٢ ) ديوان الحمايل : ٦٨ — ٦٩ :

فقال : يا شاعراً عجبياً      قل لي إذن ما الذي تشاء  
فقلت : يا رب فصل صيف      في أرض لبنان أو شتاء  
فاني هاهنا غريب      وليس في غربة هناء  
تحن نفسي إلى السواقي      إلى الأقاليم إلى الشداء  
إلى الروابي تمرى وتكسى      إلى المصافير والغناء  
إلى المناقيد والدوالي      والماء والنور والهواء  
ولا نكاد نجد ديوان شاعر من شعرائهم ، إلا وترى الحنين إلى الوطن يطلم عليك من كل ناحية فيه (١) .

ومع مرور الأيام ، وبطور الأزمان ، نجد أن الإنسان قد تطور تطوراً ملحوظاً في شتى جوانبه الروحية ، والمادية ، والفكرية ، إلا أن عواطفه وانفعالاته بقيت هي هي ، فهو يطرب للجميل ، ويمتدح الكمال ويحبه ، وينزع إلى المثل الأعلى في شتى جوانب حياته ، ويحن إلى وطنه كلما اغترب ، كما كان القدماء يحنون إلى أوطانهم ، ومستدرس فيما يلي بعض القصائد الأجنبية الحديثة. لنرى صدق هذه الحقيقة. في الأدب التركي ، نجد نازم حكمت يصدر ديوانه المعروف : يا حياة المنفى من مئة شاة (٢) ويكرس قصائدها الديوان للحديث عن الوطن والغربة ، وما تمليه هذه الغربة على الإنسان من مشاعر الأمل والالام. فينظم في ستوكهولم : شجرة الحور (٣) يصف فيها شجرة في ماء اسطنبول ، التي يتأملها الناس في الليل ، دون كلل أو ملل . ويتخيل أن شجرة الحور في اسطنبول قد حلت في بدنه ، وكأنها تواعش في ذاته ،

(١) أنظر ديوان الياس فرحات ، ورشيد أيوب ، ونسيب عريضة ، وأمين مدني وغيرهم .

(٢) ظهر ترجمتان لـديوان نازم حكمت. الأولى بالسنوان المذكور، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، وهي التي اعتمدنا عليها. والثانية بعنوان: أغنيات المنفى، ترجمة محمد البخاري.

(٣) الديوان : ٢٤ .



وهو يسمع صوتها دون انقطاع . كذا تميل الغربة الأشياء في ذهن الغريب ١ .  
ويخال شجرة الحور ديدبان الليل ، ويخلص من ذلك كله ، إلى أنه أحب وطنه حباً  
ليس عليه مزيد ، ولكن ما جدوى ذلك الحسب يا أيها الوطن ١٩ .

وفي رسالة من بولونيا ، (١) يرسم الشاعر صورة أحد أجداده بالمنفى ، وقد جن  
لأنه لن يزور وطنه مرة أخرى :

وفي القاهرة ، (٢) يصف حاله وحيداً في أحد ميادين المدينة القديمة ، وقد برح  
به الحنين بعيداً عن وطنه ، فلا يملك إلا أن ينظر حالماً إلى ما حوله .

وليلاً ، في منزل الدكتور فاوست ، (٣) يصرخ الشاعر : كفاني ما أعاني ١ :  
ويعني أن يذهب إلى استنبول ساعة واحدة فقط ١ .

وفي دمشق ، (٤) يخاطب وطنه ، ويعني أن يسمعه وطنه .

وأخيراً نحن مع رثاء شيطان ، وفيها لقاء مع أحد الأدباء ، وكيف أنه كان  
يشتهي أن يكشف ما يختلج به قلبه ، وكان صديقه يحدثه عن المشا كل الكبرى ، عن  
عن الجوع والتخمة ، عن الحب ، عن الاقتصاد والسياسة ، والاجتماع لكن صديقه  
هذا لم يمان أبداً نحنة الحنين إلى الوطن ، .

ونظم حكمت يصرخ : آه يا وطني ، حتى لو وضعوه في الجنة في غربته  
وبعد عن وطنه . والآن نحن مع مقطع من هذه المراثية الرائعة (٥) :

كان يحني رقبته الكثيفة  
أمام الصداقة  
وكانت حريره قائمة  
في أنيابها ومخالبه  
وكان أدبه قائماً  
في ذيله الطويل السكيف  
وكنّا نشتهي أن نتكاشف

( ٢ ) الديوان : ١١٤ .

( ٤ ) الديوان : ١٣٢ .

( ١ ) الديوان : ٧٤ .

( ٣ ) الديوان : ١٢٠ .

( ٥ ) الديوان : ٥٦ .

وكان يتحدثني عن المشاكل الكبرى  
عن الجوع والتخمة والحب  
واسكنه لم يعان أبداً  
محنة الحنين إلى الوطن  
فتملك حالة خاصة بي وحسدي  
لقد وضع الشاعر في الجنة  
فصرخ آه يا وطني ؛  
ومات !

واست أريد أن أفيض في الحديث في هذه المقدمة عن الحنين إلى الوطن في  
الآداب ، وأكفي أن أقول ، بأنك لا تجد أدباً لا يهتد أمة من الأمم الحديثة (١) ، بل  
والقديمة ، الاوترى عاطفة حب الوطن كهنه تشيع فيه ، وتلهب عواطف الشعراء ،  
فتنطقهم بالشعر الحار المؤثر . وتظهر روعة هذا الشعر ، وجماله عند قراءته باللغة  
التي كتب بها ، إذ أن الشعر ، أي شعر ، يفقد الكثير من تأثيره في النفس عند  
ترجمته إلى لغة أخرى .

(١) في الأدب الانجليزي الحديث انظر قصيدة «تويامس سمولت» ، التي يقول  
فيها «حداداً كالدينا العيسة» ، حداداً ، بكتاب قصة الأدب في العالم : ٢ / ٣٩٤ ،  
وفي الأدب الفرنسي انظر كراسة والعودة إلى الوطن الأم ، لامية سيزير ، بكتاب  
لاميه سيزير لبيان كيستولت ، ترجمة أنطوس حمصي ص : ٩٠ .  
وفي الأدب الروماني انظر قصيدة أوجنيو مونزال التي مطلعها «ورقة لنا حيث كانت  
الارصفة الخشبية» . بكتاب : قصائد مختارة من الشعر العالمي ، ترجمة بدر شاكر  
السياب ص : ٤٤ .

وفي الأدب الاسباني : انظر قصيدة بابلو نيرودا ، التي مطلعها «ستسألون» ، إن  
هي الزنابق اليلسكية ، بكتاب بابلو نيرودا اجلك مرسيناك . ترجمة أحمد سويد  
ص : ١٥٨ .

وفي الأدب البلجيكي ، انظر قصيدة أميلي كامبير ، التي مطلعها «أنه صوت بداية» ،  
بكتاب قصائد مختارة من الشعر العالمي .



## ٤ — العرب والشعر

إن الإنسان إذا ما شعر بالحُب أو الكره ، بالاستحسان أو الاشمئزاز ، نحو أمر معين ، إنما يكون هذا ناتجاً عن العاطفة الإنسانية ، التي تتحكم في المشاعر والأحاسيس .

والإنسان العربي ، ذو عاطفة قوية ، نظراً لما عرف عنه من رقة الإحساس ، وسرعة الخاطر (١) . وكان لا يبد له من التعبير عن هذه العاطفة ، ولما كانت الأمة العربية أمة شاعرة لأنها مرهقة الحس متدفقة العاطفة ، يضاف إلى هذا أن لغتها لغة شاعرة (٢) ، ومن هنا كان البيان من أبرز صفات هذه الأمة (٣) ، وعلى ذلك فلم يكن لهذا الإنسان العربي إلا أن يصور عاطفته ، ويبرر عنها ، شعرآ ، وذلك لأن الشعر انفعال نفسي بنفس به المرء عن نفسه ، شأن البكاء بنفس به عن أحزانه ، وشأن الضحك يبرره عن فرجه وسروره (٤) ، لأن الشعر لغة الوجدان (٥) . وقد جاء تصوير العرب لمواطنهم بأشعارهم ، رائعاً جميلاً ، وكان سجلاً حافلاً ، حفظته لنا أشعارهم المنظومة ، وقديماً فطن ابن رشيق إلى هذا ، فقال : « وكان الكلام كله مشوراً ، فاحتاجت العرب إلى الفناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعرافها ، وذكراً أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الانجاد ، وسمحاتها الأجواد ، لتمر أنفسنا إلى الكرم ، وتدل أبنائها على حسن الشيم فتوهيوا أعاريض جدلوها عوازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه ، سموه شعرآ ، لأنهم شعروا به ، أي فطنوا (٦) . فهذا سبب آخر ، يضيفه ابن رشيق ، لتنظيم الشعر — إضافة إلى التعبير عن المواطن والانفعالات

(١) تنظر محاضرات الأستاذ الدكتور جميل سعيد عن العرب والشعر .

(٢) اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد .

(٣) العرب والشعر محاضرات الدكتور جميل سعيد .

(٤) الشعر والإنشاد للدكتور جميل سعيد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٤/٥٨ — ٥٩ .

(٥) المصدر السابق عن كتاب قصة الأدب في العالم للدكتور أحمد أمين .

والدكتور زكي نجيب محمود ، ١٤/٥٨ .

(٦) المدد لابن رشيق : ٧/١ — ٨ .

المنسية — فهو للتغنى بالإنجاد ، وعراقة الأجداد ، والفخر والاعتزاز ، والحديث عن مكارم الأخلاق ، ولذكر الأوطان النازحة والبكا عليها — وقبله قال الجاحظ : « وكانت العرب في جاهليتها تحنل في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام الملقى ، وكان ذلك هو ديوانها (١) » .

فالشعر . إذن هو تعبير عن العواطف ، والمشاعر ، والأحاسيس . وهو أيضاً سجل خالد لتراث العرب وأيامهم . ولما كانت عاطفة العربي نحو وطنه ، قوية طاغية وحبسه له عظيماً ، ودفاعه عنه دفاع المستعيت ، وشوقه إليه كبيراً في وقت البعاد والحزن ، فقد حفظ لنا هذا السجل أشعار العرب في حنينهم إلى أوطانهم وديارهم ، إذا ما انتقلوا منها أو اضطروا إلى الهجرة عنها .

والملاحظ لهذا لا ينحصر . تبين السمة الغالبة ، على العصر الجاهلي ، من ناحية أسلوب الحياة ، فهي حياة بدوية كما سبق أن بينا . وهما نحن أولاء ، مع شعرنا العربي ، دراسة وتحليلاً ، متابعين المنهج الذي رسمناه من قبل ، في دراسة شعر البادية ، وشعر الحاضرة . كل على حدة .

\*\*\*

## ٥ — العرب والوطن

يتلونا في دراستنا الإنسان والوطن ، أن ارتباط الإنسان بوطنه ، وحبسه له ، وتحمكه به ، ظاهرة إنسانية ، ملازمة له في مختلف الأزمان ، وعلى مر العصور ، وفي كل البيئات والأوطان . وذلك للأسباب القوية الدافعة ، التي توصل الإنسان بوطنه . فكان لما للأثر الكبير في تكوينه المصنوي ، وتفكيره النفسي ، وإنتاجه العقلي . وهذه الأسباب هي التي أثرت في لونه ، ولغته ، ومأكله ، ومطبخه ، وعاداته ، وتقاليد . ومن هنا ارتباط الإنسان بها ارتباطاً لا ينقسم ، وأساساً حياً لا يزول . وحن إليها حنيناً لا ينقطع .

والإنسان العربي ، وهو بفطرته ذو عاطفة قوية ، وإحساس مرهف ، وشعور

(١) الحيوان للجاحظ : ٧٣/١ .



وقيق ، وخيال دافق ، امتاز بحبه لوطنه ، فتمسك به ، واستبسل في الدفاع عنه ، وحن إليه ، وعبر عن ذلك بنصوص أدبية رائعة مؤثرة ، سيرد ذكرها فيما بعد . عاش هذا العربي ، في شبه الجزيرة العربية ، في ديار مع قبيلته ، يستقر أينما استقرت ، وينقل أينما انتقلت — وما سمة الحياة في صحراء قاحلة ، إلا التنقل من مكان لآخر ، وراء العشب والكلأ والماء . وكان جل العرب بدواً رحلاً ، يتنقلون في البادية وراء عيشتهم . ومع ذلك ، فإننا لا نفتقر إلى وجود من استقروا في مراكز وبقاع حضرية ، كان فيها استقرار دائم وحياة ثابتة ، كيثرب ، ومكة ، ونجران ، والحيرة . وكان لكل من هذين المجالين ، البدو في باديتهم ، والحضر في حاضرتهم ، وطنه الذي يعيش فيه ، ويحبه ، ويحن إليه .

وطن البدو غير وطن الحضر . وفي لسان العرب : « بدأ القوم بدوا ، أي خرجوا إلى باديتهم ، والبداوة : الإقامة في البادية » (١) . فوطن البدو هو البادية . والحضر والحاضرة : المدن والقرى والريف . والحاضر : المقيم في المدن والقرى (٢) . فالحضر إذن ، هم أهل الإقامة الدائمة في مكان ما ، أقاموا فيه ، أي استقروا وكونوا المدن والقرى ، وعاشوا فيها حياة دائمة ، لا يرحلون ديارهم ، ولا يتنقلون عنها ، وهي وطنهم .

وهذا الفرق بين وطن البدو ووطن الحضر ، كان له أثره في طبيعة ارتباط كل منهما بوطنه ، وطبيعة الأسلوب الذي حن إليه فيه .

فالبدو قوم رحل ، دائمو التنقل ، لا يقر لهم قرار ، في مكان معين ، إلا أنهم يحصرون تنقلهم في محيط محدود ، لا يخرجون عن نطاقه ، إلا في حالات قليلة نادرة ، وظروف طارئة قاهرة . فكان هذا المحيط ، هو وطنهم الكبير ، الذي يكون له الحب في قلوبهم ، والتقدير في نفوسهم . ولما كان البدوي رقيق العاطفة ، مرهف الشعور ، دقيق الاحساس ، فإننا نراه يتمسك بكل بقعة حل فيها ، ويحن إلى كل ديار أقام بين جنباتها ، ويبكي ويبستكي — حينما يمر بأطلال دياره ، وديار أهله — على أيامه السافرة .

( ١ ) لسان العرب : ٦٧ / ١٤ .

( ٢ ) المصدر السابق : ١٩٧ / ٤ .

والبدو أسبق من العصر ، وأقدم منهم ، وقد تحدث ابن خلدون في هذا ، حديثاً رائعاً مفصلاً ، يتبين فيه . بأسلوب علمي ومنطقي ، التطور الطبيعي للبشر ، وسنة الحياة فيه ، وأن الإنسان بدوي في نشأته ، حضري في طموحه وتطوره ، ينتقل من البادية إلى الحاضرة . ولما في الحاضرة من سبل الراحة والرفاهية ورخاء العيش ، فالإنسان مدني بالطبع ، يصبر دائماً نحو الأفضل — كلما سمحت له الظروف (١) .

ولهذا قيامه من الطبيعي ، أن يكون شعراء العصر الجاهلي كاهن — أو جلتهم — من البدو . وقبلنا وجدنا شاعراً حضرياً بينهم ، ذلك لأن الحياة بدوية في أصلها ، حضرية في فرعها وتطورها . وهذا عكس ما نراه في العصور المتأخرة عن العصر الجاهلي ، فكما تقدم بنا الزمن ، كلما كانت الغلة في شعراء البدو ، والكثرة في شعراء الحاضرة ، وذلك نتيجة لتطور الحياة ، وتعمير البلدان ، وبناء المدن ، والاستقرار فيها ، فبذات البصرة في عصر صدر الإسلام ، وازدهرت مكة والمدينة في الحقبة ذاتها . وازدهرت دمشق في العصر الأموي . وبذات بغداد في العصر العباسي ، وازدهرت الحاضرة في العصر نفسه . وإذا بالآية متعاقبة في هذا العصر ، فأصبحنا نرى فيه كل الشعراء — أو جلهم — من الحاضرة ، وقبلنا وجدنا شاعراً بدوياً ، وإن وجد فقد تحضرا . إنها سنة الحياة ، وسنة التطور فيها .

وقد آثرنا في دراستنا للشعراء أن نقسمهم قسمين : البدو : سكنه البادية ، والحضر : سكنه الحاضرة . وأن ندرس أشعارهم في الحنين إلى الوطن في ضوء هذا التقسيم . على أن هناك بعض الظواهر ، في الأدب العربي ، التي لا تتسق مع ما عرفناه ، من حب العربي لوطنه ، وحنينه إليه — ذلك الحب ، الذي دفعه إلى اعتبار الوقوف على الأطلال ، وذكرها ، وسفح الدموع على آثارها ودمعها . وهذا ما نجده في غالب الأحيان — في الكثير من قصائده التي ينظمها ، في أي غرض كان ذلك النظم . فتعلق مثل هذا التعلق ، وولع مثل هذا الولع ، والزام بذكر الديار والأوطان ، مثل هذا الالتزام ، يدفعنا أن نقرر ، أن حب الوطن ، كان متغلغلاً بعمق في نفس العربي . على أننا نجد أيضاً مع هذا دعوة إلى الهجرة عن

(١) تاريخ ابن خلدون : ١ / ٢١٠ وما بعدها .



الوطن ، وترغيباً في تلك الهجرة . فطبيعي جداً ، أن يغادر العربي أرضه ، وأن يمن إليها . غير أنه من غير الطبيعي — أبداً — أن يهجر العربي أرضه ، ويدعو إلى الرحيل عنها ، ويرغب في ذلك الرحيل ، إلا أن تذكر هناك دوافع قاسية قاهرة تدفعه إلى اتخاذ ذلك الموقف .

أنها ظاهرة جدية بالدراسة ! لماذا يغادر العربي أرضه ؟ لاشك أنه يغادرها مكرهاً ، لأن نمط حياته يتطلب ذلك . فالصحراء العربية تفرض على القبيلة العربية ، التنقل جرياً وراء الكلاء والعشب والماء . كما أن الحياة الصحراوية تفرض على العربي ، أن يمر بدياره التي قضى شطراً من عمره فيها ، فيذكر فيها أيامه وذكرياته التي نحتت ، فتنهل دموعه شآبيب ، ويصور ذلك في قصائده . وهذا ما نعتقد به مع سائر الباحثين . لكن الظاهرة الأخرى ، ما هي أسبابها ؟ وإذا كان الشاعر مكرهاً على الهجرة والترحال والتنقل ، فهل من المعقول أن يرضى بهذا الذي أكره عليه ، بل أن يدعو إليه ، ويرغب فيه ؟ هذا ما نورد الرسول إليه ، والبحث عن أسبابه ودوافعه .

فالملك الضليل ( امرؤ القيس ) يهاجر من دياره ، ويغادر وطنه ، والالام يحز في نفسه ، لكنه يتأسى : لأن الهجرة مفروضة عليه فرضاً ، بعد أن غدرت به قبيلته ، فيسكن صاحبها ، لكن امرؤ القيس لا يسكن ، بل وينتقل إلى أبعد من ذلك ، حين ينلسف هذه الهجرة ، ويجعل لها مبرراتها ، التي تجعلها متوافقة مع حبه الشديد للوطن وتعلقه به ، ووقوفه عليه ، ويكائه على ما جعل به من قتال وضياع مهالم ، قال (١) .

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عيتك إنما نحاول لك أو نموت فنمعدرا

فالسبب واضح ، وأنه لسبب قاهر .

والأدنى . صناعة اللرب ، من المتكسبين بالشعر ، كثير الهجرة والترحال . بسبب تكسبه بالشعر ، لسكنه بين النينة والنفينة ، كانت تتناوبه حالات نفسية ، تعذيبه .

سوتورقه ، لانه بعيد عن وطن ، وعن ذكريات قديمة ، تربطه به وبها ، قال (١) :

ارقت وما هذا السهاد المورق وما بى من مقم وما بى معشق

انه مؤرق . لكنه لا يدري لماذا . فليس جزيئاً ، وليس عاشقاً . لكنه مع هذا أرق . وقد زعم الأوائل أن كسرى لم يعرف له سيياً ، إلا أن يكون لعيماً . على أننا نظن بقوة ، أن سبب هذا الأرق ، يعود بالدرجة الأولى ، إلى كونه بعيداً عن وطنه ودياره وأهله . أنها انفعالات نفسية تطفو على السطح ، دون أن يعرف الشاعر لها سيياً .

وهناك فريق من الشعراء لم يدعوا إلى الهجرة بصراحة ، لكنهم امتدحوا أنفسهم لأنهم يحجون الآفاق . وإذا ما شعروا بأن كرامتهم قد أهينت في وطن ، شدوا رحالهم إلى وطن آخر ، غير مبالين بشئ . اللهم لا تحقيق وجودهم الإنسانى . قال جرير (٢) :

وإني لعف الفقير مشترك الغنى سريع - إذا لم أرض داري - انتقالي

وقال سويد بن أبي كاهل (٣) :

ما مر يد غير ليث خادر قد نثدت أرض عليه فانتجع

وإن كنا نلبي ، فلا نلبي موقف تأبط شرأ ، حين يمتدح نفسه في قصيدته .

يا عيد مالك من شوق وإراق ومرطيف على الأهوال طراق

بأنه جواب آفاق ، لا تستقر به الأرض ، إلا ربنا يستعد لهجرة جديدة ، وغزوة من غزوات الصالحين (٤) :

حال ألوية شهاد أندية قوال محكة جواب آفاق

فذاك همى وغزوى استغيث به إذا استغثت بضافي الرأس نفاق

(١) ديوان الأعشى : ٢١٧ . (٢) ديوان جرير : ٥١٧/٢ .

(٣) ديوان سويد : ٧٤ . (٤) المنظومات : ٣٨ .



## الفصل الأول

### الحنين إلى الوطن في شعر البادية

اتسمت شبه الجزيرة العربية ، منذ أقدم العصور ، بميزات خاصة . منها : تلك الصحارى الشاسعة والأراضي الجرداء ، ذات المطر اليسير ، والنباتات القليلة . والمحل الدائم — على الأغلب . وقد انعكست هذه الميزات ، على أسلوب الحياة في هذه البلاد ، وعلى سكانها . فصارت تفرض عليهم الترحال والتنقل — تبعاً لما يلائم هؤلاء السكان من توافر الماء ، والسكّاء ، والخصب — من مكان لآخر . فما كانوا يقيمون في مكان من شبه الجزيرة العربية ، حتى تضطرهم ظروف العيش والماء ، إلى الانتقال والترحال إلى مكان آخر ، تتوفر فيه المتطلبات الرئيسة لحياة الإنسان وبقائه . وما كان يحدث هذا الانتقال والترحال ، إلا ويترك في نفوس أهل الحى أو القبيلة ، ذكريات حسنة ، وأياماً جميلة ، مما يجعل من هذا الانتقال ، الألم الكثير ، والحزن الشديد في نفوسهم ، أسفاً على أيام مضت ، وذكريات خلدت ، في هذه البقعة من الأرض ، أو تلك .

وما دام الشعر ، هو المصور الحقيقي ، لانهالات الشاعر وعواطفه ، ولما يتناهى من حالات الحزن أو الفرح من جهة ، وما دام الشعر هو ديوان العرب ، فيه سجل لحياتهم ، ودرس لمساضهم النليد ، من جهة أخرى ، فلا غرابة أن نجد سجعاً ضخماً حافلاً . يروي لنا حالة البدو ، منذ أقدم عصورهم ، عند منادرتهم تلك الديار ، وحنينهم إليها ، ووقوفهم عليها ، بعد أن عفت عليها الأيام ، وبانت أطلالها بالية ، تفرح بها العين ، وتبكي عليها العين ، ويدمى لها القلب . ولا غرابة — أيضاً — أن يتفرد الشاعر العربي ، بهذا اللون من الشعر ، وهو شعر البكاء على الأطلال ، والدمع والديار ، ذلك لأنه انفرد من قبل بحياة خاصة ، تختلف عن حياة الشعراء الآخرين — في الأهم الأخرى — حياة في

الصحراء الجرداء الفاحشة ، التي تفرض عليه ، عدم الاستقرار والثبات ، في مكان من هذه الأرض الواسعة .

كان يملك الشاعر البدوي ، مع أهله وقبيلته ، حقبة من الزمن ، ثم سرعان ما ينتقل ، أو تفرض عليه الحياة الانتقال . وكان يحن إلى تلك الأراضي والديار — التي أقام بها ، ونضى حقبة من حياته فيها ، وخلف ذكريات من الحب والوداد بين جناباتها — حينما يتذكرها ، أو يمر بأثارها ، فيذكر أيامه الحلوة ، وأحبابه ، وأهله ، والمكان الذي أقام فيه ، وهو يفصل هذا المكان جزء جزء ، في وصفه له ، ويحدده من جميع النواحي ، ويذكر عليه ، ويستبكي أصحابه ، ويدعو له بالسقيا والخصب .

كان الانتقال والترحال ، هو الطابع العام ، في حياة البدو ، فلم يكن لديهم بيت خاص يكتون فيه ولا يرحلون ، إنما كان بيتهم — الذي هو وطنهم — حيث أقاموا . وكانوا يحضرون إلى تلك الأوطان — التي هي الديار — التي كانوا يقيمون فيها ، بعد الانتقال منها ، والرحيل عنها .

من هنا كان أسما الشعر الكثير ، الذي فيه بكاء على هذه الديار بعد هجرها ، وفيه حنين وشوق إليها ، ولمكثرة دوران هذا الشعر على الأطلال ، سموه : شعر الأطلال . فالأطلال أو الطلول ، هي ما شخص من آثار الدار . ولمكثرة ما قيل في آثار الدار من الشعر ، بات شعر الأطلال ، وكأنه اصطلاح يطلق على هذا اللون من الشعر ، وكان اهتمام الشعراء به كبيراً . فلو نظرنا إلى ما وصلنا من الشعر الجاهلي ، لما وجدنا شاعراً واحداً ، لم يفتح بهذا اللون من الشعر جل قصائده . ولو نظرنا إلى ما تبع العصر الجاهلي من عصره ، لما وجدنا شاعراً واحداً ، إلا وافتتح بهذا اللون من الشعر ، قصائد عديدة له ، حانها إلى دياره ، أو مقلداً ما سبقوه .

فشعر الأطلال ، إذن ، ذو أهمية بالغة ، وذو اتصال كبير بموضوعنا : ومن هنا ، سنفصل الحديث فيه ، قبل الخوض في شرح قصائده وتحليلها .

فهو في نظرنا — كما هو في نظر الكثيرين من قبلنا — حزين إلى الوطن في أصله . وقد أشار النقاد القدماء إلى ذلك . فهذه الأمدى يقول في موازفته : « العرب لا تنصد



الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها . فإن كانت على سنن الطريق ، قال الذي له  
أرب في الوقوف لصاحبه ، أو أصحابه : قف ، وقفا ، وقفوا . وإن لم تكن على سنن  
الطريق ، قال : عوجاً ، وعرجاً وعرجوا ؛ وعرجوا<sup>(١)</sup> . فكأنه يشير بقوله هذا  
إلى أن الغرض من ذكر الديار عند الاجتياز بها ؛ والدعوة إلى الوقوف عليها ؛ هو  
الحنين إليها ؛ والشوق إلى أيامها الخالية ؛ لأنه لا غرض له إلا ذلك . وإلا فإذا يريد  
الشاعر من أطلال خالية ؛ وآثار بالية ١٩ .

وهذا ابن رشيق يقول في عمده ؛ عن العرب : « وكانوا أصحاب خيام ؛ ينتقلون  
من موضع إلى آخر ؛ فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار . فتلك ديارهم<sup>(٢)</sup> » .  
ويقول في مكان آخر : « فطريق أهل البادية ؛ ذكر الرحيل والانتقال ؛ وتوقع البين ؛  
والاشتاق منه » وصفة الطلول والحمول ؛ والشوق بحنين الإبل<sup>(٣)</sup> . وما حنين الإبل  
إلا إلى أوطانها ؛ لذلك كان تشوق أهل البادية إلى أوطانهم وأيامهم .

وتابع النقاد القدامى في هذه الظاهرة الكتاب المحدثون . فالدكتور شوقي  
ضيف يقول : « وما بكاء الأطلال والديار إلا صورة ثابتة لهذا الحنين  
( أي الحنين إلى الوطن ) الذي نتما معهم ( أي العرب ) على مر الزمن واختلاف المنازل  
والأمكنة<sup>(٤)</sup> » .

ويقول في مكان آخر عن شعر الحنين إلى الوطن : « ويحتل هذا النوع من الشعر  
صفحة كبيرة في أدبنا ؛ تارة يبكي الشعراء منازل الحبيبة ؛ وتارة يهيج الخمام أشواقهم ؛  
وقد تهيجه ریح الصبا وغيرها من الرياح . وكان نزوحهم الدائم عن أوطانهم سبباً  
في استمرار هذا الحنين<sup>(٥)</sup> » .

وبناءً على كتاب « الطبيعة في الشعر الجاهلي » ؛ عن العربي وحنينه إلى الأطلال :

(١) الموازنة للأمدى : ٤٠٩/١ .

(٢) المعشدة لابن رشيق : ١٩٨/١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢٥/١ .

(٤) دراسات في الشعر العربي المعاصر . د . شوقي ضيف : ٢٦٣ .

(٥) المصدر السابق : ٢٥٦ .

فالحنين إلى الطلل يمثل الحنين للوطن . لأن الطلل وما يحيط ، وما يتناثر حوله من دمن يمثل بمجموعة الذكريات التي عاشت في ذهنه ، فحمل لها أجمل الاوقات ، وأسعد الأيام (١) .

نقرر هذا ، ولا نفعل حقيقتين مهمتين ، نود أن تنوء بهما ، وهما : أن شعر الأطلال لكثرة ، واشدة مافيه من إحساس ، يمس شغاف القلوب من العرب عامة أصبح مظهراً من مظاهر التقليد يقلد به الشعراء السابقين الشعراء الذين يلونهم في الزمن ، والتقليد قديم عند العرب ، شعرائهم وأدبائهم ، نراه عند امرئ القيس ، أقدم شعرائهم ، في قوله : (٢)

عُوجاً على الطلل المحيل لعلنا  
نبكي الديار كما يبكي ابن حزام  
وعند زهير بن أبي سلمى ، في قوله (٣) :

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً

نقول : ظهر التقليد في شعر الأطلال ، منذ باكورة أيام الشعر العربي ، في حياة البادية ، وبقى سائداً في المصور التي ظهر فيها الاستقرار في الحاضرة على الرغم من الدعوة الصارخة ، والثورة العارمة ، التي حمل لواءها أبو نواس ، ودعا فيها إلى هجر الأطلال في قصائد عديدة له ، فقرأ يقول : (٤)

أترك الأطلال لا تبعاً بها  
إنها من كل بُؤس دانية  
ويقول (٥) :

لست لدار عفت بوصافي ولا على ربها بوقافي

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي للدكتور نوري القيسي . ٢٥٤ .

(٢) ديوان امرئ القيس : ٢٤٢ .

(٣) ديوان زهير : ٤٨ .

(٤) ديوان أبي نواس : ٤٩٣ .

(٥) المصدر السابق : ١٦٧ .



ويقول (١) :

إعدل عن الطل المحيل وعن هوى

نعت الديار ووصف قدح الأزند

وغير ذلك كثير في شعره . إلا أنه مع هذه الدعوة القوية ، لم يستطع التخلص  
تخلصاً تاماً من شعر الاطلال ، والبكاء على الديار ، ووصف آثارها . وهناك قسم  
كبير من الشعراء — وخاصة شعراء الحاضرة — ذكروا الاطلال في أشعارهم ،  
وبكوا ، واستبكوا عليها ، وهم في واقع الأمر ، لم يروها ، ولم يكن لهم عهد بها ،  
في أي يوم من الأيام .

ولهذا فإننا في تحليلنا لقصائد شعر الاطلال ، سوف لا ندرس إلا قصائد شعراء  
البادية التي نرى أنها خلت من التقليد . لتأكدنا من انتقال الشعراء في البادية ، وترحالهم  
ومرورهم بأطلالهم ، وحنينهم إليها ، وبكائهم عليها . وإن تنطرق إلى قصائد الاطلال  
عند شعراء الحاضرة ، وذلك لفقدانها ما قررناه في قصائد أهل البادية .

والثانية : هي ارتباط الدار والوطن بالمرأة أو بتعبير أدق بالحبوبة ، فلو نظرنا  
إلى شعر الاطلال ، لوجدنا جله ، قد ارتبط فيه ذكر الطل ، والحنين إليه بذكر  
الحبيبة ، والشوق إليها — وهذا نراه طبيعياً ، خاصة إذا تذكرنا ما للمرأة في نفس  
البدوي من قيمة كبيرة في جاهليتهم الأولى . وكثيراً ما كان الشاعر يحن ويتشوق إلى  
ديار حبيبته . وإلى المكان الذي كانت تحل فيه . وقد يبدو للوهلة الأولى أنه يحن إلى  
ديار ليست دياره ، وإنما إلى ديار حبيبته والذي نراه ، أن لفصل بين ديار الشاعر ،  
وديار حبيبته ، ولا فرق بينهما ، إلا فيها ندر . وإلا فهل يعقل أن يكون الشاعر  
البدوي قد عاشق واحدة من قبيلة غير قبيلته . ومن ديار غير دياره ، خاصة إذا  
تذكرنا تمصب العرب إلى قبائلهم وحرصهم الشديد على أعراضهم ، وغيرةهم  
الشديدة على نسائهم ؟ . ربما حدث شيء من هذا . ولكنه نادر ، ومحدود إلى  
أبعد مدى .

وعليه ، فإننا نقرر : أن الشاعر البدوي — في الغالب الأعم — حينما كان يحن  
إلى ديار محبوبته ، إنما يحن إلى دياره ، التي عاش فيها مع من يحب ويهوى .

وبعد ، فهل لنا أن نسير في تحايل قصائد شعراء البادية ، محاولين استنباط  
مشاعرهم ، من خلال أشعارهم ، التي أملتها عليهم بيشتهم ، وطبيعتهم ، لنقبين أن الشاعر  
البدوي ، وإن كان كثير الحل والترحال ، إلا أنه كان أحداً عاطفة ، وأرهف حساً ،  
حين تشوقه الذكريات . وهي تشوقه كلما أتبع له المرور عبر دياره ، ومنازل طفولته  
وموطن أهله ؟ .

هذا ما نراه ، وما نود الحديث عنه

\*\*\*

نظرة متفحصة في قصيدة بشر بن أبي خازم الأسدي (١) ، ومطلعها (٢) :

تَغَيَّرَتِ الْمَنَازِلُ بِالْكُثْبِ وَعَنَى آيَاتُهَا نَسِجُ الْجَنُوبِ

تظهر لنا شيئاً مهماً من أسباب الحنين إلى الوطن ، عند الشاعر البدوي ، ذلك  
السبب ، هو ذكريات الهوى والغرام ، التي كان يحياها الشاعر في ما سلف له من  
من أوقات . فطبيعة الحياة الجاهلية البدوية — كما هو معلوم — قائمة على أساس  
الانتقال ، من مكان لآخر . سعيّاً وراء أسباب الحياة ، فتتغير المنازل والديار حين  
هجرانها ، وتتمنى آياتها ، ولا يستيقن منها العاشق المدلل ، إلا النوى والأحجار ،  
وما تركه القبيلة من سقط المتاع .

وبشر كان من هذا النوع من العشاق الذين رحل أحباؤهم ، فبانوا ، وتغيرت  
ديارهم ، فياخذ الفن هذا الشاعر وأحزابه . بأن حبيبته قد تغيرت بفضل البعاد ،  
فيقف حائراً بهذه المنازل التي عشت الرياح آثارها ؛ وبما المطر عنها ما يدل على ما كنا  
أحبابه القدامى . يقف بشر ؛ بسائل هذه الديار ؛ ودعوه يسيل كالغروب — على حد  
تعبيره — على خديه ؛ حزيناً إلى وطن حبيبته ، حين كان يمرعاً بالحياة ، يزدهيه  
النساء ، وتزينه صاحبه . ثم يأخذ ظنه ، فيخال أن حبيبته قد سلت عنه ، وبعدت  
إلى غير لقيا ، فيحاول أن يجد العزاء ، وهو الشاعر الجاهلي البدوي ، الذي تمثل  
فيه صفات الرجولة اللازمة للحياة النامية في الصحراء . يحاول أن يتأسي  
وينسى حبيبته ، فيفتخر بأنه طالما لحا حين شاء . قال :

(١) توفي في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد تقريباً .

(٢) ديران بشر : ٢٠ - ٢١ .



تَفَيَّرَتِ الْمَنَازِلُ بِالْكَثِيبِ وَعَنَى آيَتَهَا نَسِجُ الْجَنُوبِ<sup>(١)</sup>  
 مَنَازِلُ مِنْ مُسَلِّمِي مَقْفَرَاتٍ عَفَاها كُلُّ هَطَّالٍ سَكُوبِ  
 وَقَفْتُ بِهَا أُسَائِلُهَا وَدَمَمِي عَلَى الْخُلْدَيْنِ فِي مِثْلِ الْغُرُوبِ<sup>(٢)</sup>  
 فَاتُ سَلَمِي وَغَيْرَهَا التَّنَائِي وَقَدْ سَلَوُا الْمُجِيبُ عَنْ الْحَبِيبِ  
 فَإِنْ يَكُ قَدْ نَأْتَنِي الْيَوْمَ سَلَمِي وَصَدَّتْ بَعْدَ إِلْفٍ عَنْ مَشِيدِي  
 فَقَدْ أَهْلُوا إِذَا مَا شَدَّتْ يَوْمًا إِلَى يِضَاءِ آتِيَةِ لَمُوبِ

ويبدو أن هذه الظاهرة ، في شعر بشر ، أضحت تقليداً لازماً له في معظم قصائده ،  
 يفتتح بها أشعاره . فيحن إلى حبيبته ، ذا كراً ديارها ، وحنينه إليها ، فتختلط  
 المشاعر الصادقة ، بالمشاعر التي أضحت تقليداً ، لبناء هيكل القصيدة .

ففي قصيدة « أطلال مية »<sup>(٣)</sup> يذكر أطلال مية هذه ، وكيف أنها هجرت ، وأضحت  
 خللاء ، لا أحد فيها ، إذ رحل أهلها ، فعادته أشجان هذا الرحيل ، فوقف يبكي  
 حنيناً إلى أيامه السالفة ، بهذه الديار وأحبابه فيها ، وقد أصابه التعب والشقاء من  
 رحيلهم وفراقهم ، وهو القرى الذي لا يغلب ، إلا من شدة الحنين ! قال :

أُطْلَالُ مِيَّةٍ بِالتَّلَاحِ فَمِثْقَبِ أَضْحَتْ خَلَاءً كَأَطْرَادِ الْمَذْهَبِ<sup>(٤)</sup>

( ١ ) عَفَى : طمس . والآي : جمع آية وهي العلامة . الجنوب : يريد ريح  
 الجنوب . ونسجها : يريد أن تسحب التراب بعصه على بعض فتسحق آثار الدار .

( ٢ ) الغروب : جمع الغرب ، وهي الدار العظيمة .

( ٣ ) الديوان : ٢٣ - ٢٤ .

( ٤ ) التلّاح : موضع ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض .  
 ومثقب : موضع . والمذهب : جلد فيه خطوط مذهبية بعضها في أثر بعض ،  
 وأطراده : تتابع الخطوط فيه .

ذهب الألي كانوا بهن فعاذني أشجان نصيب للظمائين منعب<sup>(١)</sup>  
فاهل دمي في الرداء صباية<sup>(٢)</sup> إنز الخليط وكنت غير مغتاب<sup>(٣)</sup>

وظاهره الارتحال ، كانت من المآسى التي تشغل كامل بشر حين يظعن أحبابه ، ففي قصيدته دأمن ليلي<sup>(٤)</sup> انظره كيف افتتح أبياته بهذا الاستفهام الاستنكاري ، دأمن ليلي وجارتها نروح<sup>(٥)</sup> وانظر كيف يجرد من نفسه شخصاً آخر يخاطبه ، وهذا الأسلوب هو الذي يلجأ إليه الشعراء عادة ، حين تخرج بهم العاطفة ، ويشد بهم الحياج . ثم انظره كيف يرد على نفسه بأسلوب التجريد هذا ، وفي شيء من التعنيف بقوله : وليس لحاجة منها مريح . .

ثم يستمر هذا التعنيف ، الذي يخرج به تخرج الحسرة ، حين يتبين أنك لا تجد في الدار إلا آثار الظمائين ، ورجع الصدى ، الذي يرد حديثك إلى نفسك ، ويرد نواحك إليك . ثم يستمر في هذا فيتبين أنه كان في مأمن من فراقهم . حتى أربأهم به للغراب الأسود ، وهو نذير الشؤم عندهم . ثم يقاب الحديث على طريقة الالتفات ، كما يسميها أهل البلاغة ، ويعود إلى الحديث عن نفسه بشمير المتكلم ، فيقول : أنه ظل يكفكف عبراته ، واتصيه عينه ، فينهل دمعها غرماً ، سفوح الماء من الدلو ، ثم يزيد في تبيان هذا ، فيجعله كضرب الثمن ، والثمن هي الثرية الخلق ، وهو يجعلها كذلك ليبين شدة انسحاق الماء من خروقتها الكثيرة . قال :

أمن ليلي وجارتها نروح<sup>(٦)</sup> وليس لحاجة منها مريح<sup>(٧)</sup>  
وليس مبيّن في الدار إلا مبيت ظمائين وعدى يصيح<sup>(٨)</sup>

( ١ ) النصيب : النعب والشقاء . والظمائين : جمع الضعينة ، وهي المرأة في الحودج .

( ٢ ) صباية : أي شوقاً وحزيناً . والخليط : الصديق الخالط . والمغتاب : الذي لا يغلب .

( ٣ ) الديوان : ٤٨ — ٤٩ .

( ٤ ) نروح : من الرواح ، وهو الرجوع بالمشي ، وقد تكون بمعنى تسير .

( ٥ ) مبيّن : أي ظاهر . الظمائين : هنا بمعنى أجل يظعن عليه . العدى : ذكر اليوم .



ولم تعلم بين الحى حتى أتاك به غدافى فصيح<sup>(١)</sup>  
فظلت أ كف فكف العبرات منى

ودمع العين منهزم سفوح<sup>(٢)</sup>

ودمعى يوم ذلك غرب شنى بجانب شهمة ما تستريح<sup>(٣)</sup>

وما قلب الصبا به مثل شوق وقبلك ما انقضى خلق مسجيع<sup>(٤)</sup>

وهذا الذى لاحظناه فى القصيدة السابقة ، نلاحظه فى قصيدته : عفت أطلال مية<sup>(٥)</sup> . غير أنه فى هذه القصيدة ، لا يبكى ، وإنما يقتصر حنينه إليها ، على الوصف لها بعد أن هجرت ، وأضحت خلاء ، تلمب فيها ، وتجر الرامسات بها ذبولها . وليس فيها إلا الرماد بين الأطلال الثلاثة ، التى تبين كوشم الرواهش بالنور . ونلاحظ أن بشرأ فى هذه القصيدة ، قد أعطانا تخطيطاً لديار مية ، وسمى لنا حدودها ، ورسمها رسماً دقيقاً ، دفعه إليه الحنين دفماً ، وتحس حسرتة بهذه الأماكن وهو يمدّها ، وكأنه يحلو له أن يدير أسماءها على لسانه . ثم انظر لحسرتة تلمب من بيته ، وجر الرامسات بها ذبولاً — — . يريد أن أهلها هجروها من بعيد لئلا :

عفت أطلال مية بالجفير فهضب الواديين فبرق إير<sup>(٦)</sup>

( ١ ) بين الحى : ارتحالهم . والغدافى : أى غراب غدا فى وهو الشديد السواد . نسبة إلى الغداف أى الأسود .

( ٢ ) فظلت : أى تظلمت .

( ٣ ) الغرب : الماء الذى يسيل . الدل : وهو مفتحين فى الأصل وسكنيت الرام للضرورة . والشن : القرية الخلق . وشمة : صفة للناقة ، أى بسيطة قوية .

( ٤ ) خلق مسجيع : لين سهل .

( ٥ ) الديوان : ٩٤ — ٩٥ .

( ٦ ) الجفير ، وهضب الواديين ، وبرق إير : د ، أسماء مواضع .

تلاعبت الرياحُ الهوجُ منها يذى حُرْصٍ مَعَالَمَ البصير<sup>(١)</sup>

وَجَرَّ الرَامِساتُ بها ذِيولاً كَأَنَّ شَمَاهَا بَمَدِ الدَّبُورِ<sup>(٢)</sup>

رَمَادٌ بَيْنَ آظَارِ ثَلَاثٍ كَمَا وَثِمَ الرَّوَاهِشُ بِالنُّوْرِ<sup>(٣)</sup>

وما أشبه هذا النفس ، وهذه الروح ، وهذه اللوعة والالم ، التي لمساتها بجلاء ووضوح في آياتها السابقة ، بآله وحنينه الخائب الفاضل ، الذي ينتهي بالبكاء والحسرة . فيقف على رسم ديار قد عفت ، فيجد فيها الغزلان ، والبقر الوحشي ، والمطر الهطال ، الذي مسح عنها كل ذكريات فيها ، فيشوقه هذا الحنين . فيقف على الدار يسألها عن أحبائه ، وأين راحوا ، فيحن إليها من خلال حنينه إليهم . لكنها لا تستطيع جواباً ، ألا أن أهلها قد تحملوا وبعثوا عنها . فيرجع الشاعر خائباً ، وليس في قلبه إلا حنين محض ، وألم يدفعه إلى البكاء ، وهو في هذه المقطرة ، التي منذ ذكر آياتها ، يرسم صورة واضحة للديار التي شاقته ، ودفعته حنينه إلى الظهور ، بقوة ووضوح وجلاء . صورة واضحة ، مستندة بذكر البقاع ، محدثة بذكر الأماكن التي ذكرها : رامة ، والتلاع ، وكثبان الحفير ، ولقاع ، وجنب عنيزة ، وذوات ضيم . قال (٤) :

عفا رسمُ برامةٍ فالتلاع فكثبان الحفير إلى لقاع<sup>(٥)</sup>

( ١ ) تلاعب الرياح : من لعبت الرياح بالمنزل إذا درسته . وذو حرص : اسم واد .  
( ٢ ) الرامسات : الرياح التي تشبه التراب وتدفن الآثار . من الرمس : وهو التراب . والشمال : ريح الشمال . والدبور : ريح مهبها من الغرب ، والصبيا تقابلها من الشرق .

( ٣ ) الآظار : جمع ظئر ، وهي العاطنة على غير ولدها ، المرضعة له . ويريد بها هاهنا : الأنثى ، وهي حجارة القدر تشبه بالقدر ، تعطفها حول الرماد كتمطف الآثار حول الفصيل . والرواهش : عصب وعروق في الذراع . والنوور : دخان الشحم يعالج به الوشم ويحشى به حتى يحترق .

( ٤ ) الديوان : ١٠٩ .

( ٥ ) رامة ، والحفير ، ولقاع : أسماء مواضع .



بجنب عُنَيْزَةٍ قَذَرَاتٍ نَخِيمٍ      بها الغزلانُ والبقرُ الرِّقَاعُ<sup>(١)</sup>  
عفاها كلُّ مَطَالٍ هَزِيمٍ      يُشَبِّهُ صَوْتُهُ صَوْتَ الْيَزَاعِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَفْتُ بِهَا أَسْأَلُهَا طَوِيلًا      وما فيها مجاوِبَةٌ لداعي  
تَحْمَلُ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا      فابكتني منازلُ للرِّقَاعِ<sup>(٣)</sup>

وفي قصيدته ، الأظعن الحليط ،<sup>(٤)</sup> يمتد نفسه فيجدثنا عن حنينه إلى أحبابه ودياره ، وذلك منذ أن حملت ظمونهاهم أحمالهم ، وخلت الديار منهم من بعيد . أنظر إلى الصورة التي يرسمها الشاعر لحيوانات الصحراء ؛ التي أمنت في هذه الديار ، وراحت تسرح وتمرح ، هي وصغارها ، وبها الغزلان والبقر الرتوع ، . فظل واقفاً وحيداً ، ينظر إلى بقايا ديارهم يتخشع ؛ يستثيره الحنين ؛ وتذكيره اللذات والطارع الخاشع . ويعداء الحنين ، فيسرى إلى مطيته ، فإذا بها خاضعة ، وكأنها تدرك خضوع صاحبها ، لحكم القدر ونزوله على قضائه الذي لا يرد . وفي هذه المفارقة ، ليس الروح التي لمستها في متطوياته السابقة ، من تحديد ورسم لتلك الديار فهي بشبوة . وعريقات . قال :

أَلَا ظَمَنَ الْحَالِيطُ غَدَاةَ رِيَمٍ      بِشَبْوَةٍ . فَلَمَطَى بِهَا خَضُوعُ<sup>(٥)</sup>  
أَجَدَّ الْبَيْنُ فَاحْتَمَلُوا سَرَاعًا      فَمَا بِالْدارِ إِذْ ظَمَنُوا كَتِيعُ<sup>(٦)</sup>

( ١ ) عنيزة ، وذرات نخيم : مواضع . والرقاع : جمع الرائعة ، من رقت الماشية ، أكلت ما شاءت . وفي البيت لقوام .  
( ٢ ) مطال : أي سحاب يهطل منه المطر . الهزيم : السحاب الذي لوعده صوت .  
( ٣ ) بانوا : بعدوا . والرتوع : هفة امرأة من الروع ، وهو مصحة الجمال الذي يسحب روع من يراه فيسره .

( ٤ ) الديوان : ١٢٩ .

( ٥ ) ظمن : رحل . وريما : هجوا السفر . وشبوة : موضع . والمطى : خضوع : أي واقفة خاضعة أعناقها .

( ٦ ) أجدَّ البين : بلغ مبلغ الجد . والكتيع : المنفرد من الناس ، وما بالدار من كتيع . أي ما بها من أحد .

كَأَنَّهُ حُدُوجَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا      نَحِيلٌ نَحْلَمُ فِيهَا يُنُوعُ<sup>(١)</sup>  
 مَنَازِلُ مِنْهُمْ بِعُرَيْذَاتٍ      بِهَا الْغَزْلَانُ وَالْبَقَرُ الرُّنُوعُ<sup>(٢)</sup>  
 تَحْمِلُ أَهْلُهَا مِنْهَا قَبَانِوَا      بَلِيلٌ ، فَالَطَّلُوعُ بِهَا خَشُوعُ<sup>(٣)</sup>  
 كَأَنَّ خَوَالِدًا فِي الدَّارِ مُسْفَعًا      بِرَضَّتِهَا حِمَامَاتٌ وَقُوعُ<sup>(٤)</sup>

أنظر إلى الصورة الرائعة في بيته الأخير ، نتيجة لبعده المسافة والوقت الذي بين هذه الديار وبين أهلها ، وقد شبه الأثافي التي سودت جوانبها الدار بحمامات وقمن في مساحة الدار .

ونستطيع أن نؤكد ما قررناه من أن بشراً كان يحسن إلى الأوطان ، التي قضى فيها ردها من الزمن ، من خلال حنينه إلى أحيائه . في مقطوعته التي يسائل بها نفسه : ما بكثرة في الأطلال ؟ وما وقوفه على الآثار ، التي عهد بها عهداً ، ففضى ذلك العهد ، وأضحت خلأ ، قفاراً ، ليس فيها من أنيس ، إلا الطيور التي جعلتها مرثداً تبيش فيها بعد أن خلت من أهلها ، فهي تأتي وتروح عليها دون أن تخشى أحداً . ووقف فيها قلوقة ، كي تجاوبه الديار : وأنى لها أن تجيب ، وهي خلو من أهلها ! — أو بخبره الرسم ، عن الوجهة التي إليها انصرفوا . قال (٥) :

( ١ ) الجُدُوج : جمع الحدج بكسر الحاء ، مركب من مراكب النساء . واستقلوا : احتملوا للرحيل . رحل : نهر بالبحرين . والينوع : من ينوع القم إذا أدرك وتضجع . ( ٢ ) عُرَيْذَات : اسم واد .

( ٣ ) الطَّلُوع : جمع الطلوع ، وطالع الرادى . ناحيته ، والطلع من الأرضين : كل مطس في كل ربو ، إذا ظلمت رأيت ما فيه .

( ٤ ) الخوَالِد : الأثافي في مراعيها . وقيل لما خوالد لطلول بقائها بعد عروس الأطلال . وسفعا : جمع أسفع وسفعا ، من السفعة السرداء المشروقة ، ومنه قيل للأثافي سفعا ، وهي التي أوقدت بينها النار ، فسودت صفائحها التي تلي النار ، وبقى صائر ما على لونه .

( ٥ ) للديوان : ١٣٧ — ١٣٨ .



أى المنازل بعد الحى تعترف أم ما صبا لك وقد حكمت مطرف<sup>(١)</sup>  
 أم ما بكاؤك فى دار عهدت بها عهداً فأخلف أم فى آيها تقف ؟  
 كأنها بعد عهد العاهدين بها بين الذنوب وحزمى واحف صُحف<sup>(٢)</sup>  
 أضحت خلاء قفاراً لا أنيس بها إلا الجوازي والظلمان<sup>(٣)</sup> تختلف<sup>(٤)</sup>  
 ونفت فيها قلوصى كى تجاوربنى أو يخبر الرّسم عنهم أية صرفوا

هذا ، ولا يكاد يخار شعر بشر ، من ذكر المنازل التى كانت هى فى الجاهلية ،  
 والحياة البدوية ، وطن القوم .

فيظهر هذا فى قصيدته ومنازل من حى عفت<sup>(٥)</sup> (٥) فمنازله عفت ، بعد أن لما ولعب  
 فيها ودحاً من الزمن ، ولم يبق فيها إلا آثار بالية ، وأصبحت ملاذاً لحيوانات  
 الصحراء ، الأبقار الوحشية ، تمرح فى ساحاتها ، وقد وجدت فيها مأناً لها ، بعد أن  
 خلّت من أهلها ، منذ زمن بعيد ، فها هى تلك فيها ، وتربى أولادها بين جنبايتها . قال :

منازل من حى عفت بعد ملعب ونوى كحوض الجريرة<sup>(٦)</sup> التيهلهم<sup>(٧)</sup>

تظلّ النعاج العين فى عرصات<sup>(٨)</sup> وأولادها من بين فداً وتؤم<sup>(٩)</sup>

ففى هذين البيتين يذكر الشاعر ، بأنه قد لب آونة فى هذه الديار ، مما يدفعه إلى  
 الاشتياق إليها ، والحنين لربوعها .

(١) الصبا : جملة الفتوة واللمه والغزل ، وحكمت مطرف : أى صرت حكماً .

ومطرف : جديد مستحدث .

(٢) الحزم : السابط المرتفع من الأرض ، والذنوب وواحف : موضعان .

(٣) الجوازي : بقر الوحش ، والظلمان : جمع الظلم ، وهو الذكر من النعام .

(٤) الديوان : ١٩٣ .

(٥) الجريرة : بكسر الجيم المزرعة .

(٦) الفدا : الفرد .

وانظراً لكثرة تنقل القبائل البدوية ، من مكان لآخر ، فإن بعض المعالم ،  
تختلط بالبيض الآخر ، فيقف الشاعر ، يتساءل عن هذه الديار ، هل هي  
ديار حبيبته التي يحن إليها ، أم أنها ديار غيرها ، وقد اشتبه عليه الأمر ؟  
حتى يعود أخيراً إلى نفسه ، ويخرج من ولحه ، ويتذكر أن هذه الديار ، هي  
ديار حبيبته — البيضاء المعاصم ، الطفلة المهضومة الكشجين . ويحمد الحنين في  
نفسه قوياً ، وقد لعبت رياح الصبا في هذه الدار ، وأزالت منها المعالم إلا بقية  
نزيها المتهدم . قال (١) :

لمن الديارُ غَشِيَتْهَا بِالْأَنْعَمِ      تبدو معالمُها كَلَوْنِ الْأَرْقَمِ (٢)  
لَعِبَتْ بِهَارِيحِ الصَّبَا فَتَنَكَّرَتْ      إِلَّا بِبَقِيَّةِ نُؤْيِيهَا الْمُتَهَدَّمِ (٣)  
دارُ رَيْيَضَاءِ الْمَوَارِضِ حَفَلَتْ      مَهْضُومَةُ الْكَشَجِينَ رَبَّاءُ الْيَوْمِصَمِ (٤)  
بشر بن أبي خازم ، كما لحظناه قبل قليل ، كان ذا حنين طاغ ، قوى ، إلى  
كل مكان ومزل قضى فيه ردهاً من شبابه ، وساعات من أيام عمره . إلا أن هذا  
الحنين الطاغى ، كان غالباً ما ينتهى بالدمع واليأس ، فلا عجب أن نراه من آن  
لآخر ، يعاتب نفسه على وقوفه في هذه الديار . ويحاول أن ينهى نفسه عن طول  
هذا الوقوف فيقول (٥) :

تناهيت عن ذكر الصبابة فاحكم      وما طربى ذكر أليهم بسهم؟ (٦)

(١) الديوان : ١٧٧ — ١٧٨ .

(٢) غشيتها : أقيتها . والأنعم ، بفتح العين وضمها : اسم موضع . ومعالم الدار :  
آثارها وعلاماتها . والأرقم : الحية التي في جلدتها نقط .  
(٣) تنكرت ولم تعد مبروفة .

(٤) الموارض : جانب الفم من اللسان . والطفلة : الرضعة اللينة . والمهضومة  
الضامرة : والكشج الحفاصة . وربا : دابة .  
(٥) الديوان : ١٩٢ .

(٦) تناهى : كف وامتنع . والصبابة : الشوق والهوى . وفاحكم : كن حكماً  
عاقلاً ، وأترك الجهل والطيش . والطرب : يكون بمعنى الفرح والحزن ، وهذا بمعنى  
الشوق ، وسهم : موضع .



وامرو القيس (١) ، كان كثير التنقل ، في شبه الجزيرة العربية ، على عادة العرب البدو ، لذا حفل شعره بالحنين إلى المنازل التي كان يظن عنها . كما تمتاز حياته بميزات خاصة ، باعتباره صاحب سلطة ومنزلة في قبيلته ، إذ هو ابن حجر ، شيخ كندة آنذاك . مما دفعه هذا إلى تجواله خارج الجزيرة العربية ، وزيارته لقيصر ، تلك الزيارة التي صورها تصويراً رائعاً ، في قصيدته الرائية وبكى صاحبي : إذ صور الحنين إلى الوطن عند البدوي أجلى تصوير . ولنا عود إلى بعض أبيات هذه القصيدة ، نستجلي منها روح الحنين إلى الوطن .

ولعل أروع ما في شعر امرئ القيس ، مما يتصل بموضوعنا ، قصيدته الذائقة الصيت ، ألا أبلغ بني حجر بن عمرو (٢) . فلاننا نلصق فيها بهللاً ووضوح ، صدق التجربة الشعرية ، حين يبتعد الشاعر عن أهله ومنازله ، ويهلك بعيداً عنها . وليس كالحظة الموت لحظة ، يمكن أن تتجلى فيها المواقف الإسمائية : ناهيك عن أن تكون هذه المواقف ، مما يتصل بسبب قوي ووثيق ، من حياة الشاعر وذاكراته ، حين يعرضه ألم الغربة ، ويشعر بالوحدة وتجاه ذلك المربع ، الذي نسيه الميراث .

ففي مطلع القصيدة ، يقرر أنه إنسان له مشاعره الصادقة ، التي تدفعه دفعاً ، إلى تذكر ما كان من أمره ، بين أهله وأحبائه في وطنه . كما أنه يقرر ، أنه إنسان له قلب يشعر ، وما هو بالحديد ولا الصخر . ويبدو أن أشد ما يشير ألم الشاعر ، ويستحث دمه ، أنه يهلك بأرض قوم غرباء ، بعيداً عن دياره ، وهو يحاول انتزاع الملك ، ملك أبيه . انظر إلى اللوعة في قوله :

بأرض الروم لانسب قريب ولا شاف فيسند أو يعودا

وما لنا نتعجل ذكر بعض الأبيات ، وما نحن معها :

ألا أبلغ بني جرير بن عمرو وأبلغ ذلك الحى الحریدا<sup>(٣)</sup>

(١) توفي عام ٨٠ ق . هـ تقريباً .

(٢) ديران امرئ القيس : ٣١٣ وما بعدها .

(٣) الحرید : الذي : تاحية منفرداً .

بأنى قد بقيتُ بقاء نفسٍ ولم أخلق مِلاًماً أو حديداً<sup>(١)</sup>

فلو أنى هلكتُ بدار قومى لقلتُ الموتُ حقٌ لا خلاوذاً

ويزداد عمق المعنى ، في تجاوز بنا مع الشاعر ، إذا علمنا أنه ترك قومه ، وقد غصبه حقا في ملك أبيه . فخرى به أن يكرههم ، ويمقت عشرتهم . إلا أنه يذكرهم ، ويحبهم ، ويتمنى أن يموت بين أيديهم ، وبذلك في ديارهم !

فيا للحنين إلى الوطن ! من عاطفة جياشة عاصفة بكل مشاعر الغضب ، التي قد تتولى على القلب الإنسانى . فيستمر الشاعر يقول :

ولكنى هلكتُ بأرض قومى بعيدٍ من دياركم بعيداً

نحس ونحن نقرأ هذا البيت ، بجلال المعنى . وصدق التجربة ، خاصة في هذا التكرار الذي يفرغه الشاعر علينا فرحاً ، وكأفه يريد أن يلفت الانتباه إلى ما يملأ قلبه من ألم وعذاب : « بعيد من دياركم بعيداً » فكأنها الحسرة التي ينقشها المغترب المحنصر ، وهو ينقش معها روحه . فكأن الروح ، وهذا الحنين الطاغى ، كأن واحد ، لا يستطيع الشاعر أن يتخلى عن أحدهما ، إلا أن يتخلى عن الآخر ! ولزيادة تصوير هذا الألم ، يحاول الشاعر أن يذكّرنا . بأنه لم يبتعد عن أهله مختاراً ، وعن وطنه مجبداً ، لكن الظروف هي التي ألجأته . وهل للشاعر اليدوى ، ألا وطنه وأهله ؟

أعالجُ ملكَ قيصرٍ كلَّ يومٍ وأجدرُ بالمنية أن تعوداً

وهناك يموت الشاعر وحيداً ، إذ تخلى عنه الجميع — أو هذا ما تخيله على أقل تقدير — فلا نسب قريب ، ولا آس لجراحاته . وليس له إلا الضربة والناس ، الذين لا يفهمهم ، ولا يفهمونه .

بأرض الروم لا نسبٌ أبٌ ولا شافٍ فيستند أو يعوداً

هو ذا الشاعر ، بأصدق صورة ، وعلى أجلى ما يمكن أن تفهم العواطف الإنسانية لأنه في لحظة احتضاره ، وفي هذه اللحظة الجليلة ، لا يملك الشاعر إلا أن يقول معبراً



عما يحسن ، فينبعث من صميم قلبه ، مصوراً ما هو عليه من سرور وألم ، وتصويره  
لحاله يمثل هذه الصورة المؤثرة ، نحسه دمة حزينة ، يذرفها ، وييمت بها إلى حبه ،  
وإلى وطنه ، اللذين لا يملك عنهما فكاً ، مهما أراد ذلك :

ولعل الأبيات التي يفتتح بها معلقته ، تلي هذه القصيدة في الأهمية ، فيما نحن بصدد  
الحديث عنه من أمر الحنين إلى الوطن . ففي هذا المطلع المشهور ، الذي قال عنه  
القدماء : أنه بكى واستبكي فيه ، حين دعا صاحبيه إلى البكاء معه ، من ذكر حبيبته  
ومنازله ، ما قلح فيه الحنين إلى الوطن فيقول (١) :

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول وحومل (٢)

فترضح فإلى قرارة لم يعف رمتها

لما نسجتها من جنوب وشمال (٣)

فلذلك نجد امرأ القيس ، قد حدد لنا بصورة دقيقة ، حدود هذه الدار ، التي  
وقف فيها ، وهو لم يقل هذا ليحدد الدار ، ولكنه بقوله : وكأنه يجد لذة في إدارة  
هذه الأماكن على لسانه — والله ابن الفارض الشاعر الصوفي الكبير إذ يقول :

أدر ذكر من أهوى ولو بعلام  
فإن أحاديث الحبيب مداى (٤)

أجل ، لقد بكى امرؤ القيس واستبكي ! . كيف لا ؟ وهي ديار حبيبته التي  
رحلت عنها . تلك الديار الواقعة ، بسقط اللوى ، بين الدخول وحومل ، وأمرؤ

(١) الديوان : ١٠ وما بعدها .

(٢) السقط : منسقط الرمل واللى : حيث يلتوى ، ويرق الدخول وحومل

موضعان .

(٣) توضح والمقراة : موضعان . يعف : يدرس ، الرسم : الأثر ، الجنوب :  
الريح القبيلة ، والشمال : الريح الشمالية . نسجتها : تعاقبت عليها فحلت آثارها .

(٤) ديوان ابن الفارض : ١٨٤ .

القيس لا يدرك هذه الأماكن ليعرفها للناس ، ولكن يديرها على لسانه لما يجد في نفسه من المتعة في النطق بها ، ويمضي امرؤ القيس شوطاً أبعد في ذكر حبيبته ، وحينئذ إلى وطنها ، إذ يرى بحر الآرام في عرصاتهما كحب الفلفل ، أنظر إلى هذه الحسرة في البيت :

تري بحر الآرام في عرصاتهما      وقيماً أنها كأنه حب فلفل<sup>(١)</sup>

وانظر إلى دموع الشاعر التي نلحها في بيته التالي ، وحاله كذلك الذي يتغف الحنظل ، حين فراقه لأجبابه ، وبعاده عنهم :

كأنني غداة البين يوم تَعَمَّلُوا      لدى سمرات الحمى نائف حنظل<sup>(٢)</sup>

ونظرة إلى عشقة قصيدته ، ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي ، (٣) وهي النصيدة التي أثنى عليها أبو العلاء المبري في رسالة الغفران (٤) . واعتبرها من عيون الشعر وبما يتباهى به . ترىنا بوضوح ، أن الشاعر قد اتخذ من شعر الأطلال ، متنفساً لآلامه ؛ وفي هذه النصيدة ، نلاحظ الشاعر ، يحاول أن يحيى دياراً لسلوى ، عفاها المطر ، ولكنه يعود فيتسأل ، كيف يستطيع للطلل أن يعن ؟ وهو قد أضحي بخلا مهجوراً . فارق أهله منذ ثلاث سنين ، أو منذ ثلاثين شهراً :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي      وهل يمين من كان في العصر الخالي<sup>(٥)</sup>

نعم ، وكيف يعمن هذا الذي أضحي من ذكريات الزمن ، طلالاً بالياً ، ترقع فيه الآرام والوحوش ؟ وكيف يستطيع أن يسعد ، إلا من كان مخلداً ، قليل هموم ، ما يبيت بخوف ، ولا يظل بوجل ، وإتاما منه أن يكون مأهولاً ، أي سعيداً ، ترقع فيه الحياة والأحياء ، ويضعفهم حبيبته سلوى ؟ وأنه ليتسأل :

( ١ ) الآرام الظباء البيضاء

( ٢ ) السمر : شجر أم غيلان ، وهي شجر الريح . النائف المستخرج

حب الحنظل ، والحنظل له مرارة تدمع منها العين .

( ٣ ) الديوان : ٢٧ وما بعدها .

( ٤ ) رسالة الغفران المبري : ٢٢٢

( ٥ ) عم يعم : في معنى نعم يعم



وهل يمين إلا سعيدٌ مُخلدٌ      قليلُ الهجومِ ما يبيتُ بأوجالٍ<sup>(١)</sup>  
 وهل يمين من كان أحدثُ عهدِهِ      ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوالٍ  
 ديارُ لسمي عافياتُ بذى خالٍ      ألحَّ عليها كلُّ أسحَمٍ هطالٍ<sup>(٢)</sup>

وفي تضاعيف قصيدته البرائية المشهورة ، التي نظمها وهو في طريقه إلى قيصر ،  
 يفصح لنا الشاعر عن هذه العاطفة الجياشة ، التي تأخذ على الإنسان لبه . وفيها نرى  
 صورة الرجل الهدوى ، المعتز برجولته . نراه فإذا بدموعه تنهل وهو يغادر مرائع  
 حباء ، ويرحل إلى ديار غريبة بعيدة ، لا يدري ما الذي يواجهه فيها . قال (٣) :

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ      وأيقن أنا لأحقانٍ بقيجرا  
 فقلتُ له : لا تبك عينك إنما      نحاولُ مُلكاً أو نموتُ فنعذرا

هذا هو السبب إذن ، الذي دفعه إلى التغرب . فكان أمرؤ القيس ، يؤمن أن  
 الوطن عزيز وغال ، ولكنه مضطر إلى هجرته ، من أجل الملك الذي يحاول الحصول  
 عليه أو يموت .

ويستمر الشاعر في هذه النصيدة ، فيصور هذا الصراع الخالد ، بين البادية  
 والمدنية ، حين يطل على بعلبك ، فيجد الشاعر نفسه غريباً في رحابها . وكذلك هو  
 في قرى حمص ، ويتطلع إلى ما اعتاده في البادية ، فلا يجد من ذلك شيئاً ، فتستثار  
 عاطفته تجاه وطنه ، وتغلبه عاداته ، فيشتم البرق أين مصابه ؟ وأين رحاب الصحراء ؟  
 وأين الأفق الذي يطالعُه أينما اتجه ؟ لا شيء من ذلك . لأن الحاضرة ، تختلف عن  
 البادية . ومهما يرى في دمشق ، وحمص ، وبعلبك ، من ضروب الجمال ، فإنه لا يشقى  
 قلبه إلا أنه جفوز ، التي هي البدوية ، شاغلة خياله :

- ( ١ ) سعيد مخلص : المخلد في الدنيا . والأوجال : جمع وجل وهو الفرع .  
 ( ٢ ) الأسحَم : السحاب الأبيض .  
 ( ٣ ) الديوان : ٥٦ وما بعدها .

لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي بِعَلْبِكَ وَأَهْلُمَا

وَلَا بِنُ جُرَيْجٍ فِي فَرْيِ حَمَصٍ أَنْكَرَا<sup>(١)</sup>

نَشِيمُ بُرُوقِ الْمَزْنِ أَيْنَ مَصَابِهِ

وَلَا شَيْءٌ يُشْفِي مِنْكَ يَا بَنَّةَ عَفْزَرَا<sup>(٢)</sup>

وفي قصيدته : غشيت ديار الحى<sup>(٣)</sup> ، لا نخطى الروح التي سبق أن رأيناها في الأبيات السابقة . فهو ينشئ دياراً يحدد أبعادها حين يقول :

غَشِيتُ دِيَارَ الْحَى بِالْبَكِرَاتِ فَعَارِمَةٍ فَبُرْقَةٍ الْعَبِيرَاتِ<sup>(٤)</sup>

فَقَوْلٍ فَعَمَلِيَّتٍ فَزَفٍّ فَمَنْعَجٍ إِلَى عَافِلٍ فَالْعَجِبُ ذِي الْأَمَرَاتِ<sup>(٥)</sup>

ونمضى في مطالعة القصيدة ، فنجد ابرو القيس ، قاعداً متظللاً بردائه ، يعد حصي الأرض ، وقد خنته عبراته ، من ذكريات حباه في هذا المكان :

ظَلَمْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِداً أَعْدُ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي عِبْرَانِي<sup>(٦)</sup>

ونحن لا نريد أن نؤاخذ الشاعر ، على هذه العاطفة ، فإن المخزون الحقيقي ، الذي ترفع بالسواد قلبه ، لم يهد يهمه شيء في الدنيا ، وهو ينزوي واضعاً على رأسه رداءه ، يظلمه من حرارة الشمس ، ويعينه على حمل الأحزان والأشجان ، وانظر إلى التصريح في بيته هذا :

( ١ ) بعلمك وحمص : مدينتان بالشام .

( ٢ ) نشيم بروق المزن : أي تنظر إليها لتعلم أين مصاب المطر ومصبه .

( ٣ ) الديوان : ٧٨ وما بعدها .

( ٤ ) البكرات : جبهيلات بخاريق مكة . والبرقة : أرض فيها حجارة ورمل .

والعيرات هنا : مواضع الأعيار . وعارمة : موضع

( ٥ ) غول وحليت واقف ومنعج : كلها مواضع . وعافل : جبل . والأمرات .

الأتلام . وأحدها أمره ، وهي الجبل الصغير .

( ٦ ) عبراني : دموعي .



أَعْنَى عَلَى التَّهْمَامِ وَالذُّكْرَاتِ كَيْبِثْنَ عَلَى ذِي الْهَمِّ مَعْتَكِرَاتٍ<sup>(١)</sup>

وكأنه يوحى لسامعه به أنه ابتداءً بداية جديدة . فسكانه سكنت ونهته هبته ثم عارده أحزانه فعماد من حيث انتهى . وانظره يعبر بصيغة الأمر التي أخرجها مخرج الانتقام والرجاء ، يقول : يعنى على التهمام ! وانظر إلى حمله ، الذكرات ، وكيف يوحى إليك ، إنها فعلت بنفسه فعل التهمام هذا . ثم انظر لطول الليل ، وإلى هذه الحسرة التي جعلته يراه بليل التمام ! قال :

بَلِيلُ النَّعَامِ أَوْ وَصِلْنَ بِمَثَلِهِ مُقَايَسَةً أَيَّامُهَا نَكِرَاتٍ<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا المنوال ، ينسج امرؤ القيس قصيدته ، قفا نبلك من ذكرى حبيب وعرفان<sup>(٣)</sup> ففيها رسوم عفت ، وفيها ذكريات ، وفيها دموع وبكاء واستبكاء . فكأننا نطالع مملته ، أو أية قصيدة أخرى ، اللهم إلا الصورة الفنية ، التي تختلف من قصيدة لأخرى . وهذا بطبيعة الحال ، شيء بديهي . لنقرأ مملته ، ثم لنقرأ هذه الآيات :

قفا نبلك من حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان<sup>(٤)</sup>

أنت حجيجٌ بعدى عليها فأصبحت

كنطاً زبور في مصاحف رهبان<sup>(٥)</sup>

( ١ ) أعنى على التهمام : أى ساعدنى على مناساة همومى . والذكرات : ما يذكره من الآحبة . ومعسكرات : دائمات متتابعات .

( ٢ ) ليل التمام : أطول الليل ، وقوله وصلن بمثله . يريد وصلت الحسوم والذكرات بليل التمام فى الطول . وقوله مقايسة أيامها : أى قيست أيام همومى بلياليها فى السدة والانكار . ونكرات : شذوبات معسكرات .

( ٣ ) الديوان : ٨٩ وما بعدها .

( ٤ ) عرفان : ما عرف من علامات الدار .

( ٥ ) الزبور : اسم الكتاب .

ذَكَرْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ فَهَيَّجَتْ عَمَّا بَيْلَ سَقَمٍ مِنْ ضَمِيرٍ وَأَشْجَانٍ<sup>(١)</sup>  
فَسَجَّتْ دُمُوعِي فِي الرُّدَاءِ كَأَنَّهَا

كُلُّ مَنْ مَشَّيْبٍ ذَاتَ مَسْجٍ وَتَهْتَانٍ<sup>(٢)</sup>

والذي لاحظناه عند بشر بن أبي خازم الأسدي ، من تذكر وتساؤل ، ومحاولة  
لاستعادة الذكريات ، حين يشاهد ظللا من الأطلال . فلاحظه عند امرئ القيس ،  
حيث أنه يشاهد ظللا فيقف عليه . وكذلك معاني شعراء البادية ، إنها تتكرر في كل  
قصيدة ، وعند كل شاعر ، ولا فرق فيها بين هذه وهذه ، إلا هذه الروح العاطفية  
الحزينة التي تنضح على قارئها وتشجيه .

يشاهد امرؤ القيس ظللا ، فيقف عليه ، يتساءل لمن هو ؟ حتى يتذكر هنداً  
والرباب . ويقوده تداعي المعاني ، إلى تذكر لياليه ، حين كان الهوى يدعو  
فيجيئه ، ويصون أحبه إليه روان . فما أحلى تلك الليالي ! وما أعنف الحنين إليها .  
ثم انظر إلى هذا الاستفهام الاستنكاري ، بحسب القارئ . وكأن الشاعر يفخر ويصيح  
من شدة الوجد : قال (٣) :

لَمَنْ طَالُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِ زَبُورٍ فِي عَسَبِ يَمَانٍ<sup>(٤)</sup>

دِيَارُ لَيْلِيٍّ وَالرَّبَابِ وَفَرَّتَنِي لِيَالِيهَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانٍ<sup>(٥)</sup>

لِيَالِي يَدْعُونِي الْهَوَى فَأُجِيبُهُ وَأَعِينُ مِنْ أَمْرِي إِلَى رَوَانٍ<sup>(٦)</sup>

(١) الجميع : المجتمعون زمن مرتبهم . والعقاييل : البقايا .

(٢) سجت : مالت وصبت . والشعيب : المازادة . كلاهما : وقع تكون في  
أصول عراها . والتهتان : السيلان .

(٣) الديوان : ٨٥ وما .

(٤) عسب يمان : كان أهل اليمن يكتبون في عسب النخل عهدهم وحكوكهم .

(٥) النعف : ما انحدر من الجبل ، وارتفع عن الوادي . وبدلان موضع .

(٦) روان : دأمت النظر في مكون .



وانظر إلى اللمحة الصادرة عن العاطفة الصادقة في قوله (١) :

أَلَيْسَ عَلَى الرَّبِّ الْقَدِيمِ بِمَسْمُوعًا      كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِّمُ أَخْرَسًا (٢)

وانظر إلى لفظة ، القديم ، وكيف توحى بهجرانه من بعيد . فالشاعر يستعين بصاحبيه ، على الإلمام بذلك الرب القديم . لماذا ؟ عليه يمين عن تكليم هذه الديار ، إذ هي خرساء لا تنطق ، صماء لا تسمع ، وقد رحل أهلها عنها . فمن يجيبه ؟ ومن يقضى على هذا الاستفهام المستكن في صدره ؟ ومن الذى يستطيع أن يغمض عينه ساعة من الزمان ؟ فهو يخشى أن يعود إليه داؤه القديم ، فيبكي من جديد . وهو بعد ذلك كله ، يطالب ألا ينكره الناس ، وهو باق كالمو ، حين كان الحى هاهنا معرماً . ألم تسمعه يقول :

أَلَيْسَ عَلَى الرَّبِّ الْقَدِيمِ بِمَسْمُوعًا      كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِّمُ أَخْرَسًا

فلو أن أهل الدار فيها كهدينا      وجدت مقبلاً عندهم ومهرماً (٣)

فلا تنكروني إنني أنا ذاكم      ليالى حل الحى غولا فألمسا (٤)

فإما ترينى لا أغضض سامة      من الليل ألا أن أكب فأنعسا (٥)

تأوبنى دائى القديم فقللسا      أذاذير أن يرتد دائى فأنسكا (٦)

وهكذا يجرى حديث امرؤ القيس عادة عن الديار . مخاطبة لها ، وتسأولا

( ١ ) الديوان : ١٠٥ وما بعدها .

( ٢ ) صعب : موضع .

( ٣ ) المقيل : النزول في القائلة : والمعرس : النزول في أول الليل أو في آخره للاستراحة .

( ٤ ) غول والهمس : موضعان .

( ٥ ) الأكباب : ملازمة الشيء مع انعطاف عليه واسأام .

( ٦ ) تأوبنى دائى : أى جأنى مع الليل . وظلساً : أى أتاء ليلاً في الغلب وهو الظلمة . وأنسكا : من انسكس المرض . وهو الرجوع إليه بعد البرء .

عنها ، وحولا تغدوا ، وحولا تروح ، وبطول الزمان عليها ، فيحاول أن ينسام وينساها ، ولكن لا سبيل إلى النسيان ! وتهيجه الربوع التي أفترت من أهلها ، فقد رحلوا في الغداة ، أو في العشي . فعميد عليه الديار حديث الأشجان ، وتذكره مرة بليل ، وأخرى بنهبانية ، وثالثة بيني ثمل .

وبعد فإن الغربة ألم ممض . والالم يحفر حروفه في أعماق العواطف الإنسانية ، وفي القلب البشري ، الذي يتدفق بالحزن إلى الوطن . ويقرر امرؤ القيس هذه الحقيقة ، بطريقة غير مباشرة ، حين يرى أن الغربة سبب من أسباب التآلف الروحي ، الذي يربط بين الغرباء بوثاقة ، فيكون مدعاة لانتقاماتهم . لأن كل غريب مقسب للغريب نسيب ! أي حبيب وقريب . قال (١) :

أَجَارَتْنَا أَنْ الزَّارِ قَرِيبٌ      وَأَنْي مَقِيمٌ هَا أَقَامَ عَسِيبٌ<sup>(٢)</sup>

أَجَارَتْنَا أَنَا غَرِيبَانِ هَاهُنَا      وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

كان هذا حين أوشك امرؤ القيس على الموت ، وهو بعيد عن وطنه ، غريب عن أهله ، مشاهد لقبر امرأة غريبة مثله .

ونجاء امرؤ القيس إلى شاعر آخر ، هو طرفة بن العبد البكري (٣) .

وفي قصيدة له تطلع علينا بالروعة والالام والاحساس بالحزن الذي يلزم الإنسان ، حين يقف على ربح فيشجيه . ثم يحار في هذا الذي شجاه . أهو الربيع أم قدومه ، أم الرماد الدارس اللحم ، ويعدى طرفه عن هذا التساؤل الملح ، الذي يظل دون جواب ، وينصرف إلى وصف هذا الطل ، وكيف هو كسطر الرق المرقش . بعد أن لعبت به السيول ، ونالت منه ريب الزمان ، وأخير آيحيى الشاعر نفسه في هذا الربيع ، ولو كانت المقادير تجري كما يشئ لما زايلاه . أنها قصيدة حافلة بالمعاني ، والحزن فيها واضح جلي . يقول (٤) :

( ١ ) الديوان ٢٥٧ .

( ٢ ) عسيب : اسم جبل

( ٣ ) توفي عام ٦٠ ق . هـ تقريباً

( ٤ ) الديوان : ٦٨ وما بعدها .



أَشْجَاكَ الرَّبْعُ أَمْ قَدَّمَهُ أَمْ رَمَادُ دَارِسٍ حُمَمُهُ <sup>(١)</sup>

كَسُطُورِ الرِّقِّ رَقَشُهُ بِالضُّحَى مُرَقَّشٌ يَشْمُهُ <sup>(٢)</sup>

لَعَبْتُ بَعْدَى السُّيُولُ بِهِ وَجَرَى فِي رَوَاقٍ رَهْمُهُ <sup>(٣)</sup>

فَالْكُتَيْبُ مُقَشِّبٌ أَنْفٌ فَتَنَاهِيهِ فَرْتُكَبُهُ <sup>(٤)</sup>

جَعَلْتُهُ حَمَّ كَلْكَلَاهَا لَرِيحٍ دِيمَةُ تَشْمُهُ <sup>(٥)</sup>

حَابِئِي رَسْمٌ وَقَفْتُ بِهِ لَوْ أَطْيَعُ النَّفْسَ لَمْ أَرْمُهُ <sup>(٦)</sup>

وعنترة بن شداد (٧)، واحد من فرسان العرب وشعرائهم، يشعر بتلك المشاعر التي نلسمها لدى الشعراء الجاهليين جميعاً — والبدو منهم خاصة —، خاصة ما يتعلق بالحنين إلى المربع والديار، والمنازل والآثار، وما يستثيره من الذوى والأحجار، ومعالم الطبيعة. ولو صح شعر عنترة في نسبه إليه، لوجدنا فيه صوراً غاية في الوضوح والجلال، مما يتصل بموضوعنا هذا. فني بيتين له، تذكرنا باللوحة التي يجابه بها الإنسان، حين يفقد وطنه وأولاده. تلك اللوحة التي أحالت شعر رأس

(١) أشجأك: أحزنك. دارس حمة: ذهب أثر فخذه.

(٢) كسطور الرق: كسطور الكتاب. ورقشه: زينه وحسنه بالنقط.

يشمه: ينقشه ويزينه كالوشم في المعصم.

(٣) الرواق: هنا حسن النبات وأوله. والرهم جمع رهم وهي مطر ضئيف

كالديمة.

(٤) الكتيب: رمل يجتمع. الأنف: الذي لم يروع. التناهي: جمع تنهية وهي

بطن ينتهي إليها السيل فيحتبس. مرتكبة: بجمعة ومتركة.

(٥) حم كلكها: قصد: ومعتد. كلكها: حذرهما، أي تاحت. تشمه: تدقه وتكسره.

(٦) لم أرمه: لم أبرحه.

(٧) توفي عام ٨٠٨م تقريباً.

عنزة أبين اللون، بعد أن كان حالكا بالسواد، فكان فقد الوطن عند عنزة، سبب مهم من أسباب الألم العنيف، الذي يملك حتى على الأقوياء. زمام مشاعرهم، فيحسون بالحرق، ويميشون بالألم حتى يشيب شعرهم. وهذا متناسق مع نفسية عنزة لأنه عربي بدوي، يندفع مع عاطفته بقوة، فيمرح حين يمرح من كل قلبه، وبكل مشاعره. ويتألم حين يتألم بكل قلبه، وبكل ماتملك مشاعره من عنفوان، حتى ليسير معها، مهما كانت مشيوبة الضرام، قوية الآثار. قال (١) :

أحرقتنى نَارُ الجَوَى والبُعَادِ      بعد فَقْدِ الأوطَانِ والأولادِ  
شَابَ رَأْسِي فَصَارَ أبيضَ لونَا      بعد ما كَانَ حالِكَا بالسَّوَادِ

ولا ينسى عنزة عادة الشعراء الجاهليين في قصيدة له ينهج بها نهجهم. لكنه خضوع على كل حال مشبوب العاطفة، يكفي أن نقول عنها أنها عاطفة شاعر فارس عاشق. والذي يهمنا منها، أنه يرسم لنا صورة جليلة الملاح، مستبانة القسائم، لا طلال عبلة، بين العقيق وبين برقة شمد، تلك الأطلال التي هجرها أهلها فأضحت مسرحاً للأرام، إذ ليس فيها من يروح ويقتدى. وليس فيها ما يطفئ نار الشوق من قلب الشاعر. ذلك الشوق الذي أوهى جلده، وحمله على النجاد حملاً، وهو الشاعر الذي لم يعرف إلى النصر سبيلاً، بل القوة طريقة لتحقيق مشاعره، وأحراز انتصاراته. نقارن بين تلك العاطفة المشيوبة القرية العنيفة، التي تملك على الشاعر نفسه. فيرمى بها إلى مهاوى الردى، وهو يرد العار عن قومه، غير هباب بالموت، ولا يحب للحياة — وبين تلك العاطفة الأخرى، التي تملك عليه نفسه — أيضاً — فتجعله شخصاً ضعيفاً، لا يستطيع تحقيق آمانيه، فيضعف جلده، ويبين تجلده. إلا أنه لحب عاشق إلى وطنه، كان له فيه في يوم من الأيام، ذكرى مع عبلة، قال (٢) :

بين العقيق وبين برقة شمد      طلالُ أمبلة مُستَهْلُ المعهدِ (٣)

يا مسرح الأرام في أدي الحمى      هل فيك ذو شجن يروح ويقتدى (٤)

(١) ديوان عنزة ٦٧. (٢) الديوان : ١٣٦.

(٣) العقيق، وبرقة شمد : موضحان. (٤) الشجن : الهم والحزن.



## في أيمن المعلمين درس معالم أو هي بها جلدى وبان تجلدى<sup>(١)</sup>

والآن لننظر أبياتاً من معلقته<sup>(٢)</sup> ، يتضح لنا في مطالعها ، أنه لم يأت بجديد ، سوى أن يتساءل عن الشعراء ، هل غادروا من متردام ؟ . يقف عنقرة على هذا الطلل يسأل نفسه ، هل عرف الدار ، أم أنه واهم في هذه المعرفة ؟ فإذا كانت هذه الديار ، هي ديار عبلة ، فلتكلم ولترد تحيته ، وقد وقف فيها نائفة ، ليقضى حاجة يجدها في نفسه . ترى ما هي هذه الحاجة ؟ إنها الحنين إلى هذه الديار ، حيناً توقده الذكريات ، ويوقده ما بقي في هذا الطلل من بقايا ، كما توقده - أيضاً - وأم الهيم ، التي يتنزل بها ، والتي حلت بعيداً عن هذه الدار ، فأصبح من العسير عليه طلابها .

في هذه الأبيات ، نجد أن الدافع الأول - والأهم - للحنين إلى هذه الديار ، هو الحب الذي عاناه الشاعر ، حين كانت هذه الديار مأهولة بأحبائه . وبهذا يصدق ما سبق أن قررناه ، من أن الدوافع التي تدفع الإنسان إلى الحنين كثيرة ، ومنها ، بل وعلى رأسها : ذكريات الصبا والشباب . قال :

هل غادرَ الشعراء من متردِّم أم هل عرفت الدارَ بعد توهم<sup>(٣)</sup>

أعيانك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم

ولقد حبستُ بها طويلاً نائفي أشكو إلى سفع رواق كيد جثم<sup>(٤)</sup>

يا دارَ عبلة بالجواء تكلمي وعمى صباحاً دارَ عبلة واسلمي<sup>(٥)</sup>

(١) (١) الدرس : الغناء ، والمعلم : ما يستدل به ، وأو هي : كل وضف . وبان : انفصل

والتفت .

(٢) الديوان : ١٤٣ وما بعدها .

(٣) متردِّم : من قولك : ردمت الشيء إذا أصلحته .

(٤) السفع : الأثافي ، وهي أحجار الموقد .

(٥) الجواء : موضع . وعمى : انعمى .

دارُ لآنسَةٍ فضيضٍ طرفها طوع العناقِ لذئمة المتبسم<sup>(١)</sup>  
فوقفتُ فيها نائتي وكأنها فدنُ قضي حاجة المتلوم<sup>(٢)</sup>  
وتحملُ عبلةً بالهواءِ وأهلنا بالحزنِ فالصمان فالمثلُم<sup>(٣)</sup>  
حييتُ من طالٍ تقادمَ عهدُهُ قوي وأنقر بعمائم الهيثم<sup>(٤)</sup>  
حلتُ بأرضِ الزارين فأصبحت عسيراً على طلابك ابنة مخرم<sup>(٥)</sup>

وعلى هذا المنهج نفسه ، ينهج عنبرة في كثير من قصائده ، ونعني به الوقوف على  
المنازل ، ورسومها ، وتحديد أماكنها ، وبقاها ، والتجرد في معرفتها ، والتساؤل  
عنها وعن سكانها الطاعنين ، الذين تركوها للأنواء ، وللرأسات ، ثم تدمع عين  
المشاعر ، إذ يشرها بكاء حامية من أيتها ، فكأنها تشير أقوى عواطفه ، فتعلقه امتلاكاً ،  
وتقوده قيادة ، وتليكي ، وهو الذي ما اعتاد إلا أن يكون قوياً صديداً ، وقارماً  
يدفع الدموع إلى عين غيره ، ولا يترك لها سبيلاً إلى عيونه . لكنها العاطفة القوية ،  
مضطربة ، أقوى منه ، بحيث دفعت إلى البكاء . قال (٦) :

طال الثواء على رسوم المنزل

بين اللسكيك وبين ذات الحرمل<sup>(٧)</sup>

(١) الآنة : الظبية تؤنس شخصاً ؛ أي تبصره وليس يجار على الفعل ؛ وإذا  
أبصرت شخصاً مدت عنقها وأشرأت نحوه فبانت محاسنها ؛ تشبه بها المرأة لذلك .  
وفضيض ظرفها ؛ أي قاتر نظرها . وطوع العناق : أي طيبة عند العناق .

(٢) القدن : القصر ، شب به الناقة في كمال خلقتها .

(٣) الحزن والصمان والمثلُم : مواضع .

(٤) أقوى : شجلاً ، وأنقر : بمعناه .

(٥) الزارين : الأعداء .

(٦) الديوان : ١١٨ . (٧) الثواء : المسك .



فَوَقَفْتُ فِي عَرَصَاتِهَا مَتَحَبِّراً      أَسَلُ الدِّيَارَ كَفَعَلٍ مَنْ لَمْ يَذْهَلِ  
لَعِبْتُ بِهَا الْأَنْوَاءَ بَعْدَ أَنْبَسِهَا      وَالرَّامِسَاتُ وَكُلَّ جَوْنٍ مُسْبِلِ<sup>(١)</sup>  
أَفَنَ بَكَاءِ حَامِئَةٍ فِي أَيْكَةٍ

ذَرَفَتْ دُمُوعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ الْمَعْمَلِ<sup>(٢)</sup>

ويبلغ حنينه ذروته ، حينما يكون بعيداً عن الدار والوطن ، ثم تجببه أشياء ،  
ما يذكره بذلك الوطن ، فلما أخذ مثلاً قصيدته ( أرض الشربة )<sup>(٣)</sup> فهو يخاطب فيها  
هذه الأرض ، بشعبها وواديها ، وقد رحل أهلها عنها ، ولكنهم عاشوا في فؤاده ،  
وبعدوا عنه ، وهم في قلبه وعيونه ، فإذا خفق البرق من حريم ، أرق ليله ، وبات  
مسهكاً ، ولريح الخزامى أثر عظيم ، في تذكره نسيم عذاري ، وذات الأيادي ، ويبدو  
لنا أن عنبرة ، قد نسج على منوال مغاير . لسائر الشعراء البدو الجاهليين ، لأنه كثيراً  
ما يذكر الرياح ، والنسيم ، والبرق الذي يخفق ، وطيب روائح ما كان في البادية ،  
وكان هذه الحواس ، دافعة لعواطفه إلى الظهور ، بقوة وعنف ، وكأنها تثير في  
قلبه ، مكان الشوق والحنين إلى أوطانه وأحبابه . فعجيب عنبرة في فروسيته ،  
وفي حنينه اللاهب ، الذي يذكره برق يلعب ، أو ريح خزامى تفوح ، أو نسيم عليل  
يجري محملاً بالرائحة المطرية فقرأه يقول :

أَرْضُ الشَّرْبَةِ شَعْبٌ وَوَادِي      رَحِلْتُ وَأَهْلِيَّاءُ فِي فُؤَادِي  
يَحْمِلُونَ فِيهِ وَفِي نَظَرِي      وَأَنْ أَبْعَدُوا فِي حِلِّ السَّوَادِ<sup>(٤)</sup>

( ١ ) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والعرب تضيف الأمطار  
والرياح والحر والبرد إليها . والأنيس : الفاطن ، يريد أهلها الذين أنسوا بها .  
والجرون : الأسود المشرب حمرة ، يريد سبحانه متكاثفاً . ومسبل : منظر .  
( ٢ ) الأيكة : الشجر الملفف الكثير . والشمل ( كجلس ) : شتان على البعير  
يحمل فيهما العديلان .

( ٣ ) الديوان : ١١٩ .

( ٤ ) في حِلِّ السَّوَادِ : يريد سواد العين .

إذا خَفَقَ البرقُ من حَيْمٍ أَرِقْتُ ، وَبَتُّ حَلِيفَ الشَّهَادِ  
وَرِيحُ الخُزَامِي يُذَكِّرُ أَنِّي نَسِيمَ عَذَارَى وَذَاتِ الأَيَادِي<sup>(١)</sup>  
ويقول (٢) :

إذا الريحُ هَبَّتْ من رُبَى العلمِ السَّعْدَى  
طغَا برُدِّهَا حرُّ الصَّبَابَةِ والوَجْدِ<sup>(٣)</sup>

وَذَكَّرَنِي نَوْمًا حَفِظْتُ عَهْدَهُمْ فَأَعْرِفُوا قَدْرِي وَلَا حَفِظُوا عَهْدِي  
ويقول (٤) :

أَرْضُ الشَّرِيفَةِ تَرْبِيهَا كَالْمَنْبَرِ وَنَسِيمُهَا يَسْرِي بِمَسْكِ أَذْفَرِ<sup>(٥)</sup>  
وَقِبَابُهَا تَسْوِي بِدَوْرًا طَالِمًا مِنْ كُلِّ فَاتِنَةٍ بِطَرْفِ أَحْوَرِ

وفي البيتَيْن الأخيرين ، سبب قوى وجديد ، يضيفه عترة إلى أسباب الحنين إلى الوطن ، ذلك هو ربح العراب الجميل ، الذي يشبه العنبر في طيبه . وتلك ديار عترة ، تمتع بتلك الرائحة الزكية ، التي قلبا يحمد الشاعر مثلها ، في أي مكان آخر ، فإذا ما رحل عنها ، أو ابتعد ، غلبه الشوق إليها ، والحنين إلى ربوعها ، وإلى ترابها الذي لا شبيه له ولا مثل ! (٦) .

(١) الخزامى : تبت زهرة أطيب الأزهار .

(٢) الديوان : ١٣٩ .

(٣) الرُبَى : جمع ربوة ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(٤) الديوان : ٨٦ .

(٥) أذفر : جيد إلى الغاية .

(٦) لم أكن أتصور أن للتراب رائحة — بهذا الشكل — على الرغم من ذكر

الشعراء لذلك ، إلى أن أخبرني أستاذي الجليل الدكتور جميل سعيد ، بأن للأرض والراب في الحجاز نكهة معينة ، ورائحة جميلة ، إذا ما أمطرت عليها السماء .



ويستحق منهج عنبرة ، بتكامله ، مع بيتين رائيين رائعين ، يذكر فيها ، أن المنزل الذي يقف عليه حزينا ، قد يحل السحاب عليه بالمطر ، فهو يسقيه بدموعه ، فكان دموعه هي المطر . ولا غرو في ذلك ، فقد قضى في ( أرض الشربة ) أوقاتا سعيدة مع الفيد الحسان ، وقضى منهن أوطاره ، قال (١) :

يا منزلاً أدمعى تجري عليه إذا

ضنَّ السُّحَابُ عَلَى الاطِّلالِ بالمطرِ

أَرْضُ الشَّرْبَةِ كَمْ قَضَيْتُ مَبْتَهِجاً

فيها مع الفيدِ والأترابِ من وَطَرِ<sup>(٢)</sup>

وفي شعر النابغة الذبياني (٣) ، لوحة وحسرة يثيرها ابتعاده عن الديار التي أحبا وقضى فيها أياماً سعيدة مع حبيبته ، يقول (٤) :

أمن آل مئة رائحٍ أومقتدٍ عجلاً ذا زادٍ وغيرِ مزودٍ<sup>(٥)</sup>

والغد ، ذلك الشبح الخفيف ، الذي يتهدد الشاعر ، بالهجر والفراق ، لا مرحباً ولا أهلاً به ؛ لأنه سيفرض حكمه القاسى على هذا الشاعر ، الذي يكاد يقضى عليه الحزن فلا يجد له متسعاً في هذه الأرض ، بل أنها لتضيق به على سعتها :

زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً وبذلك تنساب الخرابِ الأسود<sup>(٦)</sup>

لا مرحباً بغير ولا أهلاً به ان كان تفريقُ الاحبةِ في غداً

أفدَّ الترحُّلُ غيرَ أن ركبنا لَمَّا نزل بِرَحَالِها وكأنَّ قد<sup>(٧)</sup>

(١) الديوان : ٨٥ .

(٢) الرسر : الحاجة .

(٣) توفي عام ١٨ ق . ه تقريباً .

(٤) ديوان النابغة : ٢٨ — ٣٠ .

(٥) عجلاً : من العجلة . والزاد : ما كان من تحية ورد سلام أو وداع .

(٦) تنساب الخراب الأسود ، يقال : نساب الغراب ينساب ونعباً ونعباً وتنساباً .

(٧) أفدَّ : دنا . ركب : وقوله : وكان قد ، أى : وكان قد زال .

كأنه لا يصدق أنهم راحلون ، وكم يتمنى أن يظل في هذه البلاد ، ولا يحب ، فأنها  
بلاد حبيبه التي هي عنده أعز بقاع في الدنيا :  
تَسْمُ البلاد إذا أنتك زائراً وإذا هجرتك ضاق عني مقعدى  
وهنا لك جانب آخر ، من جوانب الحنين إلى الوطن ، في شعر النابغة الذبياني ،  
ألا وهو ، جانب الأطلال ، وفيه يصف النابغة الديار والمنازل ، ويذكر ما يتصل  
بها من مشاعر وأفكار ، تنثال عليه حين يقف فيها يسألها ، وهي لا تستطيع أن تجيبه .  
أنها صم . وينظر إليها ، ويطل النظر فيها ، فلا يجد إلا نوى وإلا بقايا من الآثار  
قد عفت عليها السيول ، فتضحى هذه الديار قفاراً ، إذا احتمل أهلها عنها . وحين  
يبلغ به اليأس مباحه ، يمدى عنها ويتصرف عن الدار ، ويلتفت إلى ناقته ، فيذكر  
ما يذكر من صفاتها . قال (١) :

يا دار مية بالعلياء فالسند (٢)  
أقوت وطال عليا سالف الأمد (٣)  
وقفت فيها أصيلاً لأسائلها  
عميت جواباً وما بالربع من أحد (٤)  
ألا أوارى لآيا ما أيدنها  
والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد (٥)  
رُدَّتْ عليه أفاصيه ولبدته  
ضرب الوليدة بالمسحاة في الشاد (٦)

(١) ديوان النابغة : ٢ - ٥

(٢) العلياء : مرتفع الأرض . والسند : منذ الجبل ، وهو ارتفاعه . أقوت :  
صار في قواء وقفر .

(٣) أصيلاً : هو تصغير أصلان ، وأصلان : جمع أصل ، والواحد . أصل .  
وقد قيل أصل وأصال في أدنى العدد . وأصل للكثير . ويقال : أصلاً فحين موصلون ،  
أي : بجاننا الشيء .

(٤) الأوارى : جمع أرى ، وهو محبس الدابة . والنوى : الحاجر من تراب  
حول الخباء لتلايدخله السيل . والمظلومة : الأرض التي لم يكن بها أثر فاحتاج  
أهلها أن يحفروا فيها حوضاً لمطر أصابهم ، أو سيل ذراً عليهم فحفروا فيها ، والجلد  
من الأرض : الغليظ الصلب .

(٥) أفاصيه : أفاصى النوى . ضرب الوليدة : هي الأمة الشابة . لبدته : طامته .  
الشاد : الندى .



خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَى كَانَ بِحَبْسِهِ وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَضَدَّ<sup>(١)</sup>  
أَضْحَتْ قَنَارًا وَأَضْحَى أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا

أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ<sup>(٢)</sup>

فَمَدَّ عَمَّا تَرَى إِذَا لَارْتِجَاعٍ لَهُ وَأَنَمَ الْفُتُودُ عَلَى عَيْرَانَةِ أَجْدٍ<sup>(٣)</sup>

ويُلجأ إلى رسم صور فنية أخرى ، لدار من تلك الديار ، التي يطول وقوفه عليها ، حتى يتعرف على ملامحها ، فيجرفه سيل الذكريات ، من قبل ستة أعوام أو سبعة ، وقد تعدت رسومها بفعل كر السنين والأعوام ، قلم يبق فيها إلا (رماد ككهمل العين) والآثوى (كجندم الخوض) . هذا كل ما تبقى من وطن عاش فيه زمناً ، وهجره زمناً آخر . ولاستطيع أن نتجاهل فنية الصورة ، التي يرسمها النايفه لهذه الدار ، فهو لم ينس أن يذكر حتى آثار ذيول الرامسات ، فيصفها بتضميم تيممه الصوانع . وإنما وإن كنا لا نلج حيناً واضحاً إليها ، لكننا يمكن أن ندرجها في موضوعنا ، لما لها من موقع في النفس حين تطل لها ، باعتبارها دياراً كانت للشاعر فيها ذكريات هاجت عليه ، رغم مرور هذه السنين السبعة . وطبيعي أن الإنسان لا يذكر داراً بعد مرور هذه المدة ، إلا إذا كانت في قلبه ذبالة من الحنين إليها ، يذكرها حينه لهذه الدار وذكرياته فيها . قال (٤) :

( ١ ) سبيل : طريق . الآتى : الدهر الجفور ، والآتى : السيل من حيث كان .  
ورفعت : بادت بالحفر وقدمته إلى موضع السجفين ، والسجفتان : متران يكونان في مقدم البيت ، والفتود : ما تضد من متاعهم .

( ٢ ) أخنى عليها : أفسد عليها الدهر . لبس : فسر من سرور لسان ، وله حديث حسن .

( ٣ ) عما ترى : انصرف عما ترى من تغير الدار . وأنم : أرفع : والفتود : عيدان الرحل . والجد : الموثقة الخلق من النوق .

( ٤ ) ديوان البائية : ٤٢ - ٤٣ .

عفا حُصْمٌ مِنْ قَرْتَنَا فَالْفَوَارِعُ      فُجْنِبَا أُرَيْكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَافِعُ<sup>(١)</sup>  
 فَتَمَرَّجُ الْأَسْوَاقُ عَنِّي رَسُومَهَا      مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ<sup>(٢)</sup>  
 تَوَهَّمَتْ آيَاتِهَا فَحَرَفَتْهَا      لَيْسَتِ أَعْوَامٌ وَذَا الْعَامُ مَسَامِعُ<sup>(٣)</sup>  
 رَمَادُ كَكُجُلِ الدِّينِ مَا أَنْ تُبَيِّنَهُ

وَأُوَيُّ كَجَذَمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ<sup>(٤)</sup>  
 كَانَ مَجْرُ الرَّامِسَاتِ ذِيُولَهَا      عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَقَتُهُ الصَّوَانِعُ<sup>(٥)</sup>

وفي قصيدة أخرى ، ينهج الشاعر النهج نفسه ، فلا سماء ديار لم تبق إلا رسومها ،  
 وقد هاجت ذكريات الشاعر ، ولكنه أين منه تلك الديار ؟ ! حيث أن المطر  
 الأنواء قد عملت على تعني تلك الرسوم ، فلم يستطع الشاعر أن يتبين إلا آثار الأرام ،  
 وإلا الحصى المثار ، ووجاف الرمل ، وإشعاعات الشمس ، التي تغمر هذه الرسوم .  
 كل هذا من بعد عهده لساكنيها الكرام ، ولذلك الحى ، الذي قضى فيه فيما يبدو لنا ،  
 ردمًا من الزمن السعيد . قال (٦) :

( ١ ) - حُصْمٌ : بلد من بلاد بني مرة . وأُرَيْكَ : موضع . والتَّلَاعُ : مجارى الماء  
 إلى الأودية ، وهى مصابيل عظام . والدَّوَافِعُ تدفع الماء إلى الميث ، والميث تدفع  
 الماء إلى الأعظم من الرادى .

( ٢ ) - تَمَرَّجُ الْأَسْوَاقُ : مسابيل فى الأرض صلبة . مَصَايِفُ : جمع مصيف .  
 ومَرَابِعُ : جمع ربيع ، وإنما أراد مواضعهم فى الصيف والربيع .

( ٣ ) - تَوَهَّمَتْ : تفرست . وآيَاتِ : علامات .

( ٤ ) - كَجَذَمِ الْحَوْضِ : أى باغية وأصله هذا جذم الحائط أى أصله . وخاشع : لا ط  
 بالأرض اطمأن وذهب خشوعه . وأثلم : أى متكسر .

( ٥ ) - الرَّامِسَاتُ : الرياح الشديدة الهبوب . والرَّامِسُ : الدفن . وذبولها :  
 مآخيزها . وذلك أن أولها يحى بسرعة ، ثم تسكن . فشبه آثار هذه الرياح فى هذا  
 الرسم بحصير من جريد أو آدم ترملة الصوانع وتخرزه .

( ٦ ) - الديوان : ٦٥ : ٦٦ .



أَهَابَكَ مِنْ أَسْمَاءِ رَسْمِ الْمَنَازِلِ      بِرُقَّةٍ نَعْمَى فَرَوْضِ الْأَجَاوِلِ<sup>(١)</sup>  
 أَرَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحَ حَتَّى كَأَنَّمَا      تَهَادَيْنَ أَعْلَى تَرْبِهَا بِالْمَنَاخِلِ<sup>(٢)</sup>  
 وَكُلُّ مِلْثٍ مَكْفَهَرٌ مَحَابِهِ      كَيْشِ النَّوَالِي مُرْتَمِنِ الْأَسَافِلِ<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا رَجَفَتْ فِيهِ رَحَا مُرْجَحِنَةٍ      تَبْهَجُ نَبْجًا غَزِيرَ الْخَوَافِلِ<sup>(٤)</sup>  
 هَدَتْ بِهَا حَيًّا كَرَامًا فَبُدِّلَتْ

خَنَاطِيلَ آرَامِ الظُّبَابِ الْمَطَافِلِ<sup>(٥)</sup>  
 تَرَى كُلَّ ذِيَالٍ يَمَارِضُ رُبْرَبًا      إِلَى كُلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَّمْلِ هَائِلِ<sup>(٦)</sup>  
 يُبْثِرُنَ الْحَصَى حَتَّى يُبَاشِرُنَ بَرْدَهُ

إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيَّتَهَا بِالْكَلَاكِلِ<sup>(٧)</sup>

وفي مطالع قصيدة من قصائده ، تعرض لها الآن ، نستطيع أن نتبين بوضوح .

- ( ١ ) برقة نعى وروض الأجاويل : موضعان .  
 ( ٢ ) أربت : لومت وألحقت فلم تبرح . وقوله تهادين : كأن الشمال تهدي إلى الجنوب والجنوب إليها .  
 ( ٣ ) ملث : سحاب مطر دائم . ومكفهر : متراكب غليظ . كيش النوالي : ما ينلوه من السحاب سريع إليه خفيف . والمرتمن : المسترخى .  
 ( ٤ ) رجفت : اضطربت . والرجف : الرعد . ورحا الفيث : معطيه . ونجاجا : صبابا . ومرجحنة : ثقيلة كثيفة الغيم . وتبهج : تشقى . والخوافل : السحاب الكثير الماء .  
 ( ٥ ) خناتيل : جماعات . الواحدة خنطلة وخنطل . والمطافل : أولاد الظباء .  
 ( ٦ ) الذيال : الثور الطويل الذنب . والررب : جماعة البقر . والرجاف : الذي يتحرك إذا وطئته . وهائل : سائل لا يتأملك .  
 ( ٧ ) الكلاكل : الصدور ، أى بصدرهن يباشرن برد الحصى ، ومجت : أخرجت . وريق الشمس : لعبها تراه في الحجرة كأنه يسيل وهذا مثل .

أرقى عواطف الحنين إلى الديار . فالنابغة يتساءل عن رسم يصادفه ، وقد عفت ريح الجنوب والصبأ والمطر الغزير ، آياته ومعالمه ، حتى لم يبق فيه إلا ما عهدناه في كل طلل حين يكون قد أكل الدهر عليه وشرب . وبعد هذه المرحلة التصويرية للديار ، يطالعنا الشاعر بوجه آخر ، ألا وهو موقفه هو ، إزاء فعل الزمن بهذا الوطن الصغير ، الحبيب إلى قلبه ، فحين وقع قلبه عليه ، تناوبته الآلام والهواجس ، حتى بات في فراش من الشوك والبوسج . كيف لا ، وهو يرى الديار قد تبدلت ، فلم يبق إلا دآل خيم منصّب ، وإلا مربط أفراس ، — فيا لهذه الصورة ، حين تجمع الضدين : آثار بالية عتيقة ، ليس فيها غناء العاشق — وعهد كان يرتفع فيه بالهوى والعيش الغرير . غير أن النابغة ينسج على منوال الشعراء الجاهليين ، لذا سرعان ما يحاول نسيان هذه العواطف الإنسانية الجياشة ، الغياضة ، فيترجمها لنافته وباليته ما فعل ذلك ، إذن لا عطانا صورة فريدة ، من صور الحنين الرائعة ، خاصة وأن مطلع القصيدة يؤكد رأينا هذا ، إذ نلح فيه استرسالاً فنياً ، ونفساً طويلاً :

قال (١) :

أرسمًا بجديداً من سعاد تَجَنَّبُ      عَفَتْ رَوْضَةُ الْأَجْدَادِ مِنْهَا فَيَتَّقِبُ<sup>(٢)</sup>  
عفا آية رِيحُ الْجَنُوبِ مَعَ الصَّبَا      وَأَسْحَمُ دَانٍ مُزْنُهُ مُتَصَوِّبُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَبْدَتُ سَوَارًا عَنْ وَشُومِ كَأَنَّمَا      بَقِيَّةُ الْوَالِحِ عَلَيْهِنَّ مُذْهَبُ<sup>(٤)</sup>  
فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشَنِي      هَرَامًا بِهِ يُطَلَّى فَرَاشِي وَيُنْشَبُ<sup>(٥)</sup>

(١) الديوان : ٧٣ — ٧٥ .

(٢) الأجداد خلأقي : تكون فيها المياه ، أو أنبار مما حثرت عاد . يتقَب : أرض . جديد : دار من مجدود .

(٣) آية : علامته . واسحم : سحاب أسود . مزنه : مطره . والمتصوب المنديل القريب من الأرض .

(٤) وأبدت سواراً : يعني الريح . وقوله : سواراً ، يعني مساورة ، عن آثار الدار كالوشم ، شبهها بالوشم والألواح المذهبة من نقشها .

(٥) فرشني (كذا في الديوان) : ولما فرشني لي . الهراس : شوك يؤذي .



فلم يبق إلا آل خيم مُنْصَبٍ وسُفْعٌ على أسٍ ونوى مُنْثَلَبٍ<sup>(١)</sup>

ومقعدُ أيسارٍ على ركبائهم ومربطُ أفراسٍ ونادٍ وملعب<sup>(٢)</sup>

عهدتُ بها سعدى وفي العيش غيرة فأصبح باقى حبلها يَنْقَضِبُ<sup>(٣)</sup>

فَسَلُّ الهوى ومستحملِ الهمِّ عِرْمًا خروما بحاجاتي تخبُّ وتنب<sup>(٤)</sup>

ويبلغ الحنين أشده عند النابغة ، حين يضحى كهلا . فيقف على ديار كانت في

يوم من أيام الشباب ، ملاعبه وجمال أنسه . كيف لا ، وهي دار لسعدى ، وقد

مرت سنون سبعة ، منذ أن فارقها ، وفارق ديارها . فيقف عليها حين يدعو الهوى .

فلا ترحب به الديار ، وكأنها لا تعرفه ، بل وكأنه لا يعرفها إذ غيّر الزمان معالمها .

يتساءل عن سعدى . وليس له من يجيب ، لأن الدار تجهل أين سعدى . قال (٥) :

دعائك الهوى واستجبهاتك المنازل وكيف تصابى المرء والشيب شامل<sup>(٦)</sup>

وقفتُ بربع الدارِ قد غيرُ البلى معالمه والسارياتُ الهواطلُ<sup>(٦)</sup>

أسائلُ عن سعدى وقد مرَّ دونها على حُجرات الدارِ سبعُ كوامل<sup>(٧)</sup>

وتهيجُه معاهد سعدى ، مرة أخرى . تهيجُه وقد اختلطت ، فليس فيها ما يشير

الحواطف اللهم ما تبقى من الآثار ، ومن الذكريات ، ومن الحنين إليها . ذلك أنه

(١) الآل : عمود الخيمة . والسفعة : سواد يضرب إلى الحمرة . والمنثلب : المهذوم .

(٢) النادى : المجلس . أراد بذلك مجالس الملوك .

(٣) خرب : حيش : أيام الشباب . وينقضب : ينقطع .

(٤) الحرمس : الشديدة . والخروس : التي لا ترغو ، وهو أتمب لها . والنعب :

تحريكها رأسها . والخب : ضرب من السير فوق القريب ، والماشية السريعة .

(٥) الديوان : ١١٣ .

(٦) الساريات : الأمطار التي تسرى ليلا . أى تمطر ، وهواطل : ماطرة .

(٧) دونها : بسما . وحجرات : وأحدها حجرة .

عهد سعدى فيها ، حين كانت غريرة عروبا تنهادى مع خرائد القبيلة . فلنعم ذلك الحى  
ولنعم تلك الأيام ، التى يبدو أنها لن تعود . قال (١) :

أهاجك من سعداك معنى المعاهد  
تعاورها الأرواح ينسفن تربها  
بروضة نعى فذات الاساور  
وكل ملث ذى أهاضيب راعد<sup>(٢)</sup>  
بها كل ذبال وخنساء ترعوى  
إلى كل رجاف من الرمل فارد<sup>(٣)</sup>  
عهدت بها سعدى ، وسعدى غريرة  
عروب تنهادى فى جوار خرائد<sup>(٤)</sup>  
لعمري لنعم الحى صبح سربنا  
وأياتنا يوما بذات المرائب<sup>(٥)</sup>

وتارة يارق الشاعر ، وأصحابه قعود على ربوة . ترى لماذا يارق ؟ . أنه يحس  
بذكرى مجدد ذا كرتة ، حين كان يرق فى تهامة يلمع ، ويقعد له يطيل إليه النثر .  
وأصحابه يتساءلون ما له ؟ فإذا به يطلب منهم أن يتأملوا ، أين يقع هذا البرق ، الذى  
وأجاد على ذى فرتنا فالتقوارغ ، فلماذا يجود على هذه الديار ؟ أهى دياره ؟ أنها  
ديار سعاد ، وأحبب بسعدى ، من خليط مواعع . قال (٦) :

أرقت وأصحابي قعود بربعوة  
لبرق تلالا فى تهامة لامع  
يجد فيستشرى كأن وميضه  
وميض سرف فى أكت قواطع

(١) الديوان : ١٦٧ — ١٦٨ .

(٢) تعاورها : تداولها هذه مرة ، وهذه مرة . والملث : السحاب يكون مطره  
دائما . وأهاضيب : دفعات من مطر .

(٣) كل رجاف ، رمل يتحرك لينهار .

(٤) غريرة : حدث لم تجرب الامور . عروب : مزاج سخاكة محبة لزوجها .  
وتنهادى فى جوار : أى تمشى قد اكتفتها الجوارى . وخراند : حبيبات .

(٥) السرب : القطيع من البقر والظباء والشاء . ذات المرائب : موضع .

(٦) الديوان : ١٨٧ .



قعدتُ له ذاتَ العشاءِ فلم أنم      لدى مرّ فب من هَضْبِ نخلةٍ فارح  
وقلتُ: تأملْ صاحِبَ ابنِ مصابه ۱      أجادَ على ذى فَرْتَناً فالقوارح  
لترعَ سعادَ حيثَ حلتْ بناته ۲      وأحِبُّ بسُعدى من خَلِيطِ موادع

وينشئ الشاعر منازلًا ، يعرّينات ، وقد تعاورها صرف الدهر ، فيقف بها  
قلوصة مكثها ويسائلها وقد صفحت دموعه ويرامى له من شدة ولوعة وحزنه ، أن  
الطبيعة تشاركه ذلك الحزن فتبكي الحمامة ، وتهلل مفرجة .

كما أن الشاعر انطلاقاً من هذه العاطفة القوية ، يحاول أن يطرد أصحابه عنه حين  
يحاولون تعزيتة . قال (١) :

غشيتُ منازلًا بعرّيناتٍ      فأعلى الجزعِ بالحى المين  
تعاورينُ صرفُ الدهرِ حتى      عَفَوْنَ وكلُّ منهرٍ مرّ  
وقفتُ بها القلوصَ على اكتئاب      وذاك تفارطُ الشوقِ المَعْنَى  
أسائلُها وقد صفحتْ دموعى      كأن مفيضَهنَّ غروبُ مشن  
بكاءِ حمامةٍ تدعو هديلاً      مفجّمة على فنين تغنى  
ألكنى يا عينَ إليك قولاً      سأبديه إليك ، إليك عنى

وقال النابغة (٢) :

عوجوا فحجوا لنعم دمنة الدار      ماذا تحيون من نوى وأحجارا ؟  
هذا يطالع الإنسان نفسه ، ويقرأ ماضيه ، ويأسف على أيامه المنقضية . يطلب  
من صحبه أن يحجوا الدار ، لكنه سرعان ما يصطدم بالحقيقة المرة : ألا وهى أن الدار  
ليست الدار . فيسائل : ماذا تحيون من نوى وأحجارا ؟ . نعم . لقد أقرت  
الدار ، ولم يبق فيها إلا آثار ، قد حلت فيها الطبيعة عملها ، وامتدت إليها يد الإهمال

( ١ ) الديوان : ١٩٦ - ١٩٧ .

( ٢ ) الديوان : ٢٣٣ - ٢٣٤ .

وكيف لهم أن يحيوا دمنة الدار ، وصاحب الشأن يقف سراة اليوم يسألها عن آل  
نعم ، فلم تحير جواباً ، فلا علك إلا التني ، وليتها كلمته ، اذن لتزود منها بأخبارهم .  
وكل هذا يهون ، لو كان في الدار شيء يعوج به غير الثمام ، وغير موقد النار . وماذا  
يتنى الثمام ؟ وماذا يغنى موقد النار ، وقد بعد الأحبة ، ولا سبيل إلى اللقاء ! قال :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار      ماذا تهيئون من نوى وأحجار  
أقوى وأغفر من نعم وغيره      هوج الرياح بهابي الثرب مؤار  
وقفت فيها سراة اليوم أسألها      عن آل نعم أمونا عبر أسفار  
فاستعجبت دار نعم ما تسكنا      والدار لو كلمتنا ذات أخبار  
فما وجدت بها شيئاً أعوج به      ألا الثمام ، والا موقد النار

وحاتم الطائي (١) معروف بالكرم ورقة العاطفة الصادقة ، التي تشده إلى الناس  
لذا نراه حين يحن إلى جبال طيء ، يخوض في عالم غير العالم الاعتيادي ، حتى أنه ليخال  
أن ناقة نحن معه — أيضاً ، لكنه يقول لها : أن الطريق أمامنا ، وإنا لمكرهان  
على السير فيه . قال (٢) :

حننت إلى الأجبال أجبال طيء      وحننت فلوح أن رأيت سوطاً حجراً  
فقلت لها : أن الطريق أمامنا      وأنا لمحيو ربنا أن تبسراً (٣)  
فياراكبي علياً جديلة أنما      تسامان صدياً مستبيناً فتظنرا (٤)  
ويسيطر عليه الحنين ، وتسوقه الماطمة سوقاً فيتمنى الموت حين حل الحى  
أكناف جابر ، ولا غرو في ذلك ، فإنه قد تذكر ليالى الهوى ، حين يدعو فيجيبه  
حيثاً ، ولا ينصت إلا لأجبرين . قال (٥) :

(١) توفي عام ٦٠٥ م تقريباً (٢) ديوان حاتم الطائي : ٤٧ .  
(٣) محيو ربنا : واجدوه . (٤) علياً جديلة : موضع . (٥) الديوان ٥٣ .



ألا ليت أن الموت كان حمامة ليالى حل الحى أكناف جابر<sup>(١)</sup>

ليالى يدعوني الهوى فأجيبه حديثاً ولا أرعى إلى قول زاجر<sup>(٢)</sup>

ويبكى حاتم الطائي . ومم يبكى ؟ أنه يبكى من طلل قفر : هذا الطلل القفر ، يحدده لنا الشاعر ، تحديدأ كاملاً . ولا نرى دافعاً لهذا التحديد ، إلا الحنين ، وشدة الشوق ، والرغبة العظيمة في ترديد أسماء هذه الأماكن على لسانه من جهة لها . وأنه يعود ليتأسى بالقضية المعروفة ، وهي أن الموت ، لابد أن يأتي على كل كائن حى ، فلا عجب إذا نالت يد الفناء من هذه الدار ، ومن أهلها . قال (٣) :

بكيت وما يبكيك من طلل قفر بسقف اللوى بين عموران فالغمر<sup>(٤)</sup>

بمنعرج الغلان بين سيرة إلى دار ذات الهضب فالبرقي الحمر<sup>(٥)</sup>

إلى الشعب من أعلى سبتار قترمد قبلدة مبنى منيس لابنتى عمرو<sup>(٤)</sup>

وما أفل طود مكفهر حصونه

من الموت الأمثل من حل بالصهر<sup>(٥)</sup>

ويطرح حاتم الطائي في بعض قصائده ، متأسلاً حين يقف على طلل ، يعيد إلى ذهنه ملامح من الماضي ، ملامح مقبضة بالنسيان ، والطلل قد تهدم ، حتى أخفى كالكتاب المسح ، فليس فيه إلا الدوارج والآخرة المتغيرة ، ولا ما غيرته الأيام من معالمه ، التي غيرتها الأيام ، في حقبة من الزمن عاشها الشاعر ، كانت له فيها ساعات

(١) أكناف : جوانب . جابر : موضع .

(٢) حديثاً : سريعاً ، أرعى : أصغى .

(٣) الديوان : ٤٥ .

(٤) بسقف اللوى . وعموران . والغمر . ومنعرج الغلان ، وسيرة . ودار

ذات الهضب . والبرقي الحمر . والشعب . وسبتار . وقترمد . وبلدة مبنى منيس : كلها

أسماء مواضع . (٥) الطود : الجبل .

مشهورة ، تغيرت الديار بفعل الزمن ، الذي يمتلئ ولا يرحم الكائنات ، فنال منها  
الأمطار والرياح ، وهوج الأمواء ، قال (١) :

أَتَمَرُفُ أَطْلَالًا وَتَوَيَّا مَهْدَمَا      كَخَطَاكَ فِي رَقٍّ كِتَابًا مِنْعَمًا<sup>(٢)</sup>  
أَذَاعَتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ بَعْدَ أَيْدِيهَا      شَهْوَرًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجَرَّمًا<sup>(٣)</sup>  
دَوَارِجٌ قَدْ غَيَّرْنَ ظَاهِرَ تَرْبَةٍ      وَغَيَّرَتْ الْأَيَّامُ مَا كَانَ مُعْلَمًا<sup>(٤)</sup>  
وغيرها طولُ النقادِمِ واليلى      فَمَا أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ إِلَّا تَوَهُمًا  
تَهَادَى عَلَيْهَا حَلْيُمَا ذَاتَ بِهِجَةٍ      وَكَشَحًا كَطَى السَّارِيَّةِ أَهْضَمًا<sup>(٥)</sup>

وزهير بن أبي سلمى (٦) طالما وقف على المربع ، والدمن ، والديار ، وهو يتساءل  
لمن هي ؟ ديار قد أفقرت وأفقرت بها الرياح وغيرها المور والقطر . قال (٧) :

لَمَنْ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ      أَتَرِينَ مِنْ حَجِيجٍ وَمِنْ دَهْرٍ<sup>(٨)</sup>  
لَعَبَ الرِّيحُ بِهَا وَغَيْرَهَا      بَعْدَى سَوَافِي الْمَوْرِ وَالْقَطْرِ<sup>(٩)</sup>  
قَفَرًا بِمَنْدَفَعِ النَّجَائِثِ مِنْ      صَفْوَى أُولَاتِ الضَّالِّ وَالسُّدْرِ<sup>(١٠)</sup>

(١) الديوان : ٧٩ .

(٢) التوى : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . والرق . الجلد الرقيق يكتب فيه  
والمنعم : المنقش المرقوم .

(٣) المجرم : الكامل .

(٤) دوارج : نمت للأرواح ، أى تحمل التراب وتدرج به ، أى تمشى . المعلم :

المعروف .

(٥) الكشح : الحاصرة . السارية : ثياب رقيقة . الإهضم : اللطيف . الدقيق :

(٦) توفي سنة ٦٠٩ م تقريباً .

(٧) الديوان : ٨٦ وما بعدها .

(٨) القننة : الجبل الصغير . الحجر : موضع . أتوين : شحون .

(٩) سوافى : ما تسفى الريح من التراب . المور : التراب تشبه الريح .

(١٠) النجائث : آبار فى موضع يقال لها النجائث . صفوى : موضع أولات :  
يريد النجائث ذوات السدر البرى . الضال : السدر البرى .



ويستأمل مرة أخرى عن دمن أم أرفى ، بحومانة الدراج فالمثلّم ، هذه الدمنة ،  
التي لم يبق منها ، إلا آثار كمر اجع الوشم في المعاصم ، وليس فيها إلا العين والآرام ،  
وأطلاؤها اللآئي ينفض من كل بجثم ، ينف بها زهير بعد أن فارقها عشرين سنة ،  
حتى عرف الدار وما كاد . إذن ما الذي بقي منها ؟ ليس إلا الاثنائي والثوي ، وكيف  
يستطيع زهير أن يعرف الدار ، التي لم يتبق منها غير هذه الآثار ؟ وخين يعرف زهير  
أنها دار ملي ، يحيطها تحية الصباح ، تحية يثيرها الحنين ، وتذكر ذبايتها  
الذكريات . قال (١) :

أَمَنْ لَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ      بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَثَلَمُ (٢)  
دَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا      مَرَجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مَقَصَمِ (٣)  
بِهَا السَّيْنُ وَالْأَرَامُ يَتَشَبَّهُ خِلْفَةً      وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (٤)  
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حَبَّةً      فَلَا يَأْخُرُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْشَمِ (٥)  
أَنَايَ مُفْعَاً فِي مُعْرَسٍ مِرْجَلِ      وَثَوِيَا كَحَوْضِ التَّجْدُّ لَمْ يَتَلَمَّ (٦)  
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ أَرَبِهَا      أَلَا أُنِيمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَأَسْلَمُ

(١) الديوان : ٤ وما بعدها .

(٢) الحومانة : الجمع حوامين . أما كن غلاظ . المثلّم : مرضع . البعنة : آثار الدار .

(٣) الرقمتان : موضعان . أحدهما قرب المدينة ، والآخر قرب البصرة ، وهنا

أراد بليغها . النواشر : عصب الذراع ، الواحدة ناشرة . المعصم : موضع السوار .

(٤) الدين : البقر الوحشي . الواحدة عيناء ، والذكر أعين . الآرام : الظباء

البيض . قوله خلفة : أي إذا مضى فوج جاء آخر ، أطلاؤها أبناء البقر والظباء .

بجثم : من جثم ويجثم : حتى لا يصح .

(٥) لا يا : بعد جهد .

(٦) معرس مرجل : حيث أقام الرجل ، وأراد موضع الاثنائي . المرجل : القدس

الشفعة : سواد تخلط به حمرة . الجسد : البئر . والمعرس : موضع تعريس النجوم .

وفي القصيدة التالية ، حنين طاع ، وذلك حين يتأوبه ذكر الأحياء ، فجميع وقد أقسم أن يلحق بهم . وباحتهم مرتحلاً ، بالفجر ، دائماً إلى الليل ، أنهم المعشر الذي يحبهم قال (١) :

تأوبني ذكر الأحياء بعدما هجعت ودوني قلة الحزن فارملي (٢)  
فأقسمت جهداً بالمازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل (٣)  
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن إلى الليل إلا أن يمرجني طفل (٤)  
إلى معشر لم يورث اللؤم جدثم أصغرهم وكل فعل له نجل (٥)

ورب متسائل يسأل : أين الحنين إلى الوطن ، وهو مرتحل في أثر الأحياء ؟ وفي رأينا ، أن هذا التساؤل غير وارد ، لأن الرسيل في أثر الأحياء ، بحث عن وطن جديد ، سيكون له شأن عند الشاعر ، إذا ما سمح الزمن له بالوقوف عليه ، وقد تعفت آثاره ، واندرست آياته . أنها طبيعة الحياة الجاهلية ، وهل لزهر فكاك عنها ؟

وتهمج مدارق الرسوم فؤاده ، وأية رسوم تلك ؟ أنها دياره التي كان يقيم بها وهي قنر — الآن — كالوشم ، وقد تعدها العيث ( واقتحرت ذواخره بتهاول ) ويراعها زهير ، وقد صرعه سكانها ( عكرا ) ، وابتعدوا عنه ، واستأثر بهم الدهر ، وطال ما كان هو هدف الدهر في رعيه ، وكيف لزهر أن يناضل هذا الدهر ؟ أنه لا يملك إلا أن يعانبه على كثرة التفجائع وعلى سلبه ما ليس يعقبه ويختتم زهير قصيدته

( ١ ) شرح الديوان : ٩٨ وما بعدها .

( ٢ ) تأوبني : أناني مع الليل . القلة : أعلى الجبل . والحزن : ما غلظ من الأرض

( ٣ ) سحقت : حطمت . الممازل : حيث ينزل الناس من منى . المقادير : مقادير

الرؤوس . مفردة مقدم الرأس . القمل : الشعر الذي فيه القمل .

( ٤ ) أدأبن : من الدواب ، أي المشاة . يمرجني طفل . يقول ألا أن تبهتن

بناتي فتحبيني أقوم عليها ، أو أقدم النار فتحبيني .

( ٥ ) النجل : النسل .



بصرخته المروقة : يا دهر ما أنصفت في الحكم . قال (١) :

هاج الفوادَ معارفُ الرسمِ - قفرٌ بذى الهضباتِ كالوشمِ<sup>(١)</sup>

نمتاده عينٌ مَلَمَّةٌ - تُرجى جاذرها مع الأدمِ<sup>(٢)</sup>

القفرُ يعطنها أقبٌ ترى - نسفاً بِلَيْتَيْهِ من الكدمِ<sup>(٣)</sup>

في عانةٍ بذلَ العهدُ لها - وسمى غيثٍ صادقِ النجمِ<sup>(٤)</sup>

فأتمَّ وافتخرتْ زواجره - ابتهاولَ كتهاولِ الرِّقمِ<sup>(٥)</sup>

ولقد أراها والمُهلُولُ بها - من بعد صرمٍ أيما صرمِ<sup>(٦)</sup>

عَكَراً إذا مراحَ مَرَامُهم - وثنوا عُرُوجَ قنابلِ دُهمِ<sup>(٧)</sup>

(١) شرح الديوان : ٣٨٢ وما بعدها .

(٢) معارفه : علاماته . الهضبات : جبال في هذه المواضع .

(٣) ملمة : بها لمع تخالف ساثرها . والجاذر : أولاد البقر والظباء . الأدم :

الظباء البيضاء : ترجى : تسوق .

(٤) القفر : الخالي من الأرض . وأقب غير ضامر الخاضرتين . ونسفاً : آثار

المضاض من الحمير . وليتاه : صفحتا عنقه . وقوله : يعطفها أقب : أي أراد إخمار  
أن يلثى البقر ويغلبها على المراعى .

(٥) عانة : قطعة من الحمير . العهد : الواحدة عهدة ، وهي المطرة تجي . بعد

الآخرى . والوسمى : أول المطر . وغيث : نبت . والنجم من النبت : مالا ساق له .

(٦) أتم النبت : التفت وطال . افتخرت زواجره : ظهر جمال ما طال منه

والتف . وتهاول : ألوان زهرة . الرقم : نقوش الوشي .

(٧) الحلول : جمع حال ، يقال رجل حال من قوم حلول . الصرم : الإبيات

عن الناس أو الجماعة .

(٨) العكر القطعة من الإبل ما بين الخدين إلى المسائمة . والعروج : جمع عرج

وهو حيث شاء وراج من المرعى . والسرب : مال القوم الراعى .

فاستأثر الدهرُ الغداةَ بهم والدهرُ يرميني ولا أرمى  
لو كان لي قرناً أناضيه ما طاش عند حفيظةٍ مهمي  
أو كان يعطى النصفَ قلتُ له أحرزتَ قسمك فإلهُ عن قسمي<sup>(١)</sup>  
يا دهرُ قد أكرتَ فجعتنا بسرّاتنا وقرعتَ في العظم<sup>(٢)</sup>  
وسلبتنا ما لست مُثَقِّبُهُ يا دهرُ ما انصفتَ في الحكم  
وطفيل الغنوي<sup>(٣)</sup> يفتح قصائد كثيرة له، يذكر الاطلال ، ويشوب هذا الذكر ،  
شيء من الحنين إليها وإلى سكانها ، ويظهر في شعره — أحياناً — قوة وصدقاً ،  
مردّها إحساسه الأصيل بالحنين ، وتوقه إلى الديار وسكانها . فهو يقول<sup>(٤)</sup> :  
بالعفرِ دارٌ من جملة هيجت \* سوائف حُبٍّ في فؤادك مُنصب<sup>(٥)</sup>  
وَكنتَ إذا بانَتْ بها غُرْبَةُ النوى

شديد القوي لم تدرِ ما قولُ مُشغِب<sup>(٦)</sup>

وتفيض دموعه من رسم قد بلى ، ويمتلك هذا الفيضان ، ويصور ذلك الاستنكار  
في شعره ، إذ يقول<sup>(٧)</sup> :

أمن رموم بأبلى الجِنج من شرب  
فاصت دموعك فوق الخلد كالشرب

(١) النصف : الانصاف . (٢) السرّاة : الأشراف .

(٣) توفي قبل بدء الدعوة الإسلامية بقليل تقريباً .

(٤) الديوان : ١٧٠ وما بعدها .

(٥) العفر : كتمان حمرٍ بالعالية في بلاد قيس . سوائف : مواضع . مُنصب : متعب .

(٦) بانَتْ : بدت . الشغِب : الاعتراض .

(٧) الديوان : ٩٥ .



وهكذا يظل الشاعر بين عرفان واستبصار . تارة يعرف الدار فيقول (١) :

عرفتُ ليلي بين وقطٍ فضائعٍ منازلُ أقوتُ من مصيفٍ ومربحٍ (٢)  
إلى المنحنى من واسطٍ لم بين لنا بها غيرُ أعوادِ الثمامِ المنزعِ

وتارة يحفل الدار ، فيتساءل مخفياً (٣) :

لمن طالُّ بذى خيمٍ قديمٍ يلوحُ كأنَّ باقيهٍ وشوْمُ  
كأغلبٍ من أسودٍ كراءٍ وردٍ يشدُّ خشاشه أرجلُ الظلومِ (٤)

ومن هنا ، فإننا نكاد نخرج من دراستنا لشعر الطفيل الغنوي ، بما خرجنا به من دراستنا لغيره من الشعراء . ففي كثير من الأحوال ذكر الديار والأطلال ، وقد يشوبه حنين إليها ، وفي قليل من الأحيان نحس بصدق العاطفة في ذلك الحنين عنده .

وأمية بن أبي الصلت (٥) يعرف الدار وقد أقوت سنين ، أنها دار لزيب ، لكن زيب رحلت عنها وتركها ، وأتت عليها السنون ، وعصفت بها الرياح ، فقف عليها ، ويظهر حنينه إليها ، وإلى أيامه الحواري التي انقضت بين جنبااتها . حيث يقول (٦) :

عرفتُ الدارَ قد أقوتُ سنينا أزيبُ إذ تعلُّ بها قطينا (٧)  
وأذرتُها حوافلُ مصفاتٍ كما تدرى الملممة الطحينا (٨)

(١) الديوان : ١٠٣٩ - ١٠٤٠ . (٨) وقطٍ وضائع : موضعان .

(٢) الديوان : ١١١ . (٤) الخشاش والخشاش : الخفيف الروح الذكي .

(٥) توفي عام ٦٢٤ م تقريباً .

(٦) جمرة أشعار العرب : ١٨٥ وشعراء النصرانية : ٢٢٢/١ .

(٧) النطين : سكان الدار . والقطون : الإقامة ، قطن بمكان : أقام به وقوطن .

(٨) الحوافل : النوق أو الشياخ وقد حفل ضرعها باللبن .

وسافرت الرياحُ بهنَّ عُصراً بأذيالٍ يرحنَ ويفتدينا

فابقيْن الطلولَ محبَّياتٍ ثلاثاً كالحمائم قد بلينا

والبراق هو أبو نصر البراق بن روح بن أسد بن بكر بن مرة من بني ربيعة .  
وهو من قرابة المزلزل وكليب ، وكان شاعراً مشهوراً من أهل اليمن ، من شعراء  
الطبقة الثانية ، وهو جاهلي قديم توفي عام ٤٧٠ م [ شعراء النصرانية ١/ ١٤١ ]

والبراق ينادر دياره ، ويصبح غرباً في ديار لا يجيد فيها أنخاً يواسيه ، أو صديقاً  
يشد أزره . ويسفح دماً . ويرجع العبرات التي من يسمعها . قال (١) :

وقد أصبح البراق في دارٍ غريبةٍ وفارق اخواناً له ومواليا

حليفٌ نوى ، طارى حشاً ، سافحٌ دماً

يرجعُ عبراتٍ بهجت البواكيا

فمن مبلغٌ عني كريمة أمه - لشديب غرسانا وبراق ثانيا

وينادي عميرة التغلي هو عميرة بن جمل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن حبيب  
بن حرقمة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن شتم بن ثعلب شاعر جاهلي ، ووعميرة ،  
يفتح العين ، [ المنقليات شرح شاكر وهارون : ٢٥٧ ]

وينادي عميرة التغلي ، ديار الحى بالبردان ، التي أتت عليها حجج ثمان ، بعد  
بعاده عنها ، فلم يبق فيها إلا بقية من الآثار والدمع ، وقد لعبت بها الريح والأمطار ،  
فأضحت قفراء يحاربها القطا ، وتمترك فيها السباع . قال (٢) :

ألا يا ديارَ الحى بالبردان أنت حججٌ بعدى لمن ثمان<sup>(٣)</sup>

فلم يبق منها غيرُ نوى مهلم وغيرُ ارارٍ كالركى دقاني<sup>(٤)</sup>

(١) شعراء النصرانية : ١/ ١٤٧ : (٢) شعراء النصرانية : ١/ ١٩٥ .

(٣) البردان : موضع . (٤) الركى : جنس للركبة . وهى البئر .



وغيرُ حطوباتِ الولائدِ عزعتُ بها الريحُ والأمطارُ كلَّ مكانٍ<sup>(١)</sup>

قفارٍ مروّاةٍ بحارٍ بها القطا يظلُّ بها السبعانُ يعتركانُ<sup>(٢)</sup>

يشيرانِ من نَسِجِ الترابِ عليهما قيصينِ اسماطًا ويرتديانِ

ويتسامل الحارث بن عباد هو أبو بجير وقيل أبو المنذر الحارث بن عباد بن قيس

بن ثعلبة البكري ، من أهل العراق ، من فحول شعراء الطبقة الثانية ، كان من سادات

العرب وحكمتها وشجعانها الموصوفين : توفي عام ٥٥٠ هـ . [شعراء النصرانية ١/ ٢٧٠] .

ويتسامل الحارث بن عباد ، عن رسم درس بعد أهله ، هذا الرسم ، قد عزعته

الصبا ، وهاجت عليه الدبور ، وأمّرت به الجنوب ، وأنهالت عليه السجالات

المكفهرات ، ويبدو أن هذه هي سنة الزمن فكلما عفت ديار سلى ، كذلك عفت ديار

الرباب التي كانت مأهولة بها ، لكن السنين والرياح ، قد غيرت معالمها . قال (٣) :

هل عرفتَ الدداة رسماً محيلاً دارساً بعد أهله مجهولاً

لُسلمى كأنه سَمِيقُ بُردٍ زاده قِلَّةُ الأندلسِ محولاً

زعزعت به الصبا فأذرج سهلاً ثم هاجت له الدبورُ نحيلاً

فكان اليهودُ في يومٍ عيدٍ ضربت فيه روقشاً وطُبولاً

وأمّرت به الجنوبُ حتى إذا ما وجدتُ فودّةً عليها ثقيلاً

ثم هالت عليه منها مِجْبالاً مكفهرًا فتستقيه سحياً

وتذكّرتُ منزلاً لربابٍ أنه كان مُرّةً ماءً هولاً

غير أن السنين والريح أبقت تربةً في رُسمِهِ منحولاً

(١) الولائد : الشواب من الجوارى .

(٢) المروّاة : الأرض أو المفازة التي لا شيء فيها .

(٣) شعراء النصرانية : ١/ ٢٧٩

هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة . . . كان من أقدم شعراء بكر في الجاهلية ويعد من شعراء الطبقة الثانية . ولد نحو ٤٦٩ م وتوفي نحو ٥٦٠ م [ شعراء النصرانية ١/ ٢٩٢ ]

وعمر بن قميئة . تسأله ابنته عن وجهه هجرته ، وتذكر أرضاً بها أهلها ، وأخوالها وأعمامها فتبكي حزيناً إليها ، وتنكر الأرض التي تجهل أعلامها . ولا يخفى على القارئ . حنين الشاعر نفسه إلى دياره وإلا فلم قال ( لله در اليوم من لامها ١ ) أرايت إذن ؟ فهو يحزن ، ويود أن يفصح ، إلا أن بنته سبقتة . قال (١) :

قد سألتني بنتُ عمرو عن الأُر ضينَ إذ تُنكرُ أعلامُها

لما رأتُ سائداً استعبرتُ لله درُ اليوم من لامها (٢)

تذكرتُ أرضاً بها أهلُها أخوالُها فيها وأعمامُها

والمثقب ، بكر الغاف : وهنا لقب لُقِّبَ به لقوله في قصيدة . ( وثقب بن الوصاوص للعيون ) والوصاوص : البراقع . واسمه : عائذ ، ويقال عائذ الله بن محض بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن عرف بن رهن ابن عذرة : . شاعر لحل قديم جاهلي كان في زمن عمرو بن هند .

[ المنشليات تحقيق شاكر وهارون : ١٤٩ ] .

والمثقب العبدى ، يوصل إلى صاحبيه أن يقفوا على الدار ، التي قد حالت رسومها فيحييها . ويستقي الغواذى ، وقد وقف فيها ، يرد عينه من عبراتها الواكفة ، كأنه يقاسى من سوابق شجن ، ومن ليلة ضاق فيها صدره . قال (٣) :

ألا حييا الدارَ المحيلَ رسومُها تهيجُ علينا ما يهيجُ قديمُها

سقى تلك من دارٍ ومن حلٍ ربيعها ذهابُ الغواذى وبأنها ومديها (٤)

(١) شعراء النصرانية ١/ ٢٩٥ (٢) مائيد ما : جبل .

(٣) ديوان المثقب العبدى : ٤٧ : ٤٨ .

(٤) الذهاب : الأمطار ، واحداً ذهبية . والويل . المطر الشديد . والمديم

ما كان خادماً . وهي المطر الذي يسكن في سكوف بلا رعد وبرق .



ظلمت أرد المين عن عبراتها إذا نرفت كانت سريعا جومها<sup>(١)</sup>  
 كاني أقاسي من سوابق عبرة ومن ليل قد صاف صدري همومها

ويقف عرف بن الاحوص على ديار قد هدمت حياضها ، ويذكر أنها كانت  
 لحولة ، وقد كان أهلها قد ساكنوا أهلها فيها ، والله در الأيام ما تفعل ، فيفسر عليه  
 أن يتبين آثار الدار ، قال (٢) :

هَدَمَ الحِياضُ فلم يغادر الحوض من نصائبه إزاه<sup>(٣)</sup>  
 لحولة إذ هم مني وأهلي وأهلك ساكنون مما رثاء<sup>(٤)</sup>  
 فلا يا ما يتبين رسوم دار وما أبقى من الحطب الصلاء<sup>(٥)</sup>

وربيعة بن مقروم . وهو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو  
 وهو أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام ، أسلم بحسن إسلامه ، وشهد  
 الفنادسية وغيرها من الفتح . وعاش ١٠٠ سنة .

[ المفضليات تحقيق شاكر ودارون : ١٨٠ ]

وربيعة بن مقروم ، ويعرف ديار آل هند ، وهي قفراء ، حتى كأنك تخال معارفها  
 كرسوم الوشوم . فيقف ناقه عليها يسألها ، وما سؤاله للرسوم ؟ أنها خبر ما  
 لا يجيب ، يكاء لا تنطق ، إلا أنه يتذكر العهد الذي قضاها فيها ، فيشتعل قلبه ،  
 وتفيض دموعه على لحية وردائه فينهنها . (٦)

أمن آل هند عرفت الرسوم ما يجمران قفرا أبت أن أريها<sup>(٧)</sup>

(١) الجحوم تجمع الماء بكثرة

(٢) المفضليات ٣٤١ - ٣٤٢

(٣) النصائب : حجارة يشترف بها الحوض ، والإزاء ، مصب الدلو .

(٤) المغنى : الموضع الذي ينام فيه . والرثاء . المقابلة .

(٥) فلا يا بطيئا . (٦) المفضليات : ٣٥٥ (٧) جمران : موضع .

تَنخَالُ مَعَارِفَهَا بِـ\_\_\_\_\_ دَمَا أَتَبُ سِنَتَانِ عَلَيْهَا الْوَشُومُ<sup>(١)</sup>  
وَقَفْتُ أَسَائِلُهَا نَاقِي وَمَا أَنَا أَمْ مَا مَوْءَا إِلَى الرَّسُومِ<sup>(٢)</sup>  
وَذَكَرْنِي الْعَهْدَ أَيَّامُهَا فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْبًا مَسْقِيًا  
فَقَضَيْتُ دَمْعِي فَهَنَهْتُهَا عَلَى الْحَيِّ وَرَدَائِي سُجُومًا<sup>(٣)</sup>

د والمرقش (لقبه واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة . وهو ابن  
أخي المرقش الأكبر . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولها عمراً . وكان أحد  
عشاق العرب المشهورين وفرسانهم . وهو جاهلي .  
[ المفضليات تحقيق شاكر وهارون : ٢٤١ ] .

والمرقش الأصغر ، يستغرب كيف يسفح ماء عينيه ، من رسم الدار التي فارقها  
أهلها ورحلوا عنها ، فلم يبق فيها إلا خنس الخبباء . لا شيء في نظرها يدعو لذلك  
إلا الحنين والشرق . قال (٤)

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَاءَ عَيْنِيكَ يَسْفَحُ خُداً مِنْ مَقَامِ أَمَلِهِ وَتَرَوْحُوا<sup>(٥)</sup>  
تُزْجِي بِهِ خَنْسُ الْخُبَّاءِ بِخَالِهَا جَا ذَرْعُهَا بِالْجُرِّ وَرْدُ وَأَصْبَحُ<sup>(٦)</sup>

ويصف خراشة بن عمرو العبدى . لم تثر له على ترجمة ، رسمها بالجوهرين أبي أن  
يتحول ، وقد تبذل من ليل ، يحتاج الملا ، ترعى الدخول وسوملا . وهي معلقة  
بالشام ، وتحدودها سفح أنها صورة فنية جيدة يرسمها خراشة لرسم هذه الدار ،  
مستكلاً عناصر الصورة ، من ظلال وضوء ، بخينه إليها . قال (٧) :

(١) الوشوم : جمع وشم ، وهي الخصرة تكون في اليد من فعل المعجم .

(٢) الرسوم . آثار الديار . (٣) نهنتها . كنهكتها .

(٤) المفضليات : ٤٩٣ . (٥) مقام . موضع .

(٦) تزجي . تسوق سوقاً غنياً . والباء أثر : جمع جزر ، ولد البقر . والورد

والأصبح في أرائها : هي الوردة والصبيحة .

(٧) المفضليات : ٨٢٣ .



أَبَى الرَّسْمُ بِالْجَوْنَيْنِ أَنْ يَتَحَوَّلَا

وَقَدْ زَادَ بَعْدَ الْحَوْلِ حَوْلًا مَكْمَلًا<sup>(١)</sup>

وَيُذَلَّ مِنْ لَيْلَى بِمَا قَدْ تَحَلُّهُ<sup>(٢)</sup> نَعَاجَ الْمَلَا تَرعى الدُّخُولَ فَحَوْمَلَا<sup>(٣)</sup>

مَلَمَّةً بِالشَّامِ ، مُفْعَمًا خَدُودَهَا كَانَ عَلَيْهَا سَابِرٌ يَا مُذَيَّلًا<sup>(٤)</sup>

ويقف بشامة بن الغدير ، هو بشامة بن الندير ، والغدير هو عمرو بن هلال بن سهم بن مره بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، شاعر جاهلي محسن مقدم . وهو خال زهير بن أبي سلمى . ولد متعمداً ولا ولد له ، وكان مكثرأ من المال ، وكان أحزم الناس رأياً ، كانت غطفان تستشيرهُ إذا أرادت الغزو . [ المنطليات تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . ص ٥٥ ] .

ويقف بشامة بن الغدير ، على ديار عنت بالجزع ودرست بمضى سنين سبع عليها ، فلم تبق فيها إلا بقايا خيمة درست ، فيقف فيها وقد جالت دموعه من الشوق والحنين . قال (٤) :

لَمِنْ الدِّيَارِ عَفُونَ بِالْجَزْعِ بِالدُّومِ بَيْنَ بُحَارٍ فَالشَّرْعِ<sup>(٥)</sup>  
دَرَسَتْ وَقَدْ بَقِيَتْ عَلَى حَجِجٍ بَعْدَ الْأَيْسِ عَقْرُوتُهَا سَبْعُ  
إِلَّا بَقَايَا خِيَمَةٍ دَرَسَتْ دَارَتْ قَوَاعِدُهَا عَلَى الرِّبْعِ<sup>(٦)</sup>

( ١ ) الجوتان : موضع .

( ٢ ) النعاج : البقر . الملا : المتسع من الأرض . الدخول وحومل : موضعان

( ٣ ) السفحة : سواد يضرب إلى الحرة . والسابري : ثياب .

( ٤ ) المنطليات : ٨٢٦ - ٨٢٧ .

( ٥ ) الجزع : شلف الوادي حيث انحنى . والدوم وبحار والشرع :

كلها مواضع .

( ٦ ) قواعدها : دعائمها التي تدعّم بها . والربيع : المنزل .

فوقفت في دار الجميع وقد جالت مشئون الرأس بالدمع<sup>(١)</sup>

ويقف العباس بن مرداس السامى<sup>(٢)</sup>، وقفة تمكنه من رسم صورة رائعة، لدار أسماء، بين السفع والرحب، وقد أقوت، وعفا عليها ذاهب الحقب، وليس في هذه الدار، إلا راسيات بعدها الشاعر، فيجدها ثلاثاً حول منتصب: أنه لا يغفل صغيرة أو كبيرة في هذه الصورة التي يلتقطها لهذه الدار، يضاف إلى هذا، أن عرصة الدار، تستن الرياح بها، فكأنها تحن (حنين الوله السلب) هذه الدار، قد كلف بها العباس بن مرداس فحشها، وحن إليها قال<sup>(٣)</sup>:

يا دارَ أسماء بين السَّفْعِ فالرَّحْبِ أقوت وعنى عليها ذاهب الحَقْبِ<sup>(٤)</sup>

فما تبين منها غير مُنتَصِدٍ وراسيات ثلاث حول منتصب

وعرصة الدار تستن الرياحُ بها نَحْنُ فيها حنين الوله السُّلبِ<sup>(٥)</sup>

دارُ لأسماء إذ قلبي بها كلف وإذ أقرب منها غير مقترب<sup>(٦)</sup>

والاعشى، شاعر كبير، ومن الرعيل الأول في الشعر، وهو عظيم متمكن، ولعل سر عظمته يكن في رسمه الصور الجميلة، وفي إحساسه الأصيل بالأشياء، ذلك أنه تنقل من بادية إلى حاضرة، ومن حاضرة إلى بادية، فامتلا ذهنه بضروب من الثقافات التي تلوح لنا بين آونة وأخرى في شعره. ولعل من أسباب عمق رؤية الأعشى،

(١) المشئون: جمع شأن وهي شعوب قبائل الرأس الأربع ومنها: متحدر الدمع إلى العينين.

(٢) توفي في خلافة عثمان بن عفان (رضي).

(٣) ديوان العباس: (٣١).

(٤) السفع والرحب: موضعان. أقوت: نخلت. عنى: درس. الحقب: السنون، والحقب: الشعر.

(٥) الوله جمع والهة. والوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوله. السلب: اللواتي في السلاب وهي ثياب المسآتم السود.

(٦) كلف: مولى.



أنه يخوض في النفس الإنسانية ، مستخرجاً أدق خلجاتها ، مصوراً أسباب ما تزخر  
به من انفعالات . ترى هذا في بيتيه اللذين يقول فيهما (١) :

حَبُوتٌ تُظِلُّ الْفَتَى جَازِيَا عَلَى وَاسِطِ السَّكُورِ عِنْدَ الذَّقَنِ (٢)

ترى الشيخ منها لِحُبِّ الْأَيَّا بٍ يَرْجُفُ كَالشَّارِفِ الْمُسْتَعْقِ (٣)

أنه يذكر الحنين ؛ ويجعله صورة للتشبيه به ، نجسها إحساساً قوياً ، ينقلها إلى  
العالم الذي يريده الشاعر . هذا وأن الحنين إلى الوطن في شعر الأعشى ، جزء من  
هذه العبقرية التي لا تنفك تأتي بالفرايب .

تراها في تشوقه إلى الاطلال التي غير المطر آياتها فمادت خلاء . ليس فيها إلا  
ذكرى ، من ذكريات حب الأعشى لقبيلة ، التي طال ما تغزل بها . يقول (٤) :

شَاقَتِكَ مِنْ قِتْلَةٍ أَطْلَلُهَا بِالشَّطِّ فَالِرِّتِ إِلَى حَاجِرِ (٥)

فَرُكْنٍ مِهْرَاسٍ إِلَى مَارِدٍ فِقَاعٍ مَنفُوحَةٍ ذِي الْحَائِرِ (٦)

دَارُ لَهَا غَيْرَ آيَاتِهَا كُلِّ مِلْثٍ صَوْبُهُ زَاخِرِ (٧)

وَقَدْ أَرَاهَا وَسَطَ أَتْرَابِهَا فِي الْحَيِّ ذِي الْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ (٨)

(١) ديوان الأعشى : ٢٢ .

(٢) الحجون . - الغزوة البعيدة الطويلة . السكور : الرجل بأدائه .

(٣) الشارف : الجمل الحرم .

(٤) الديوان : ١٣٩ . (٥) الشط والوتر وحاجر : مواضع .

(٦) ركن مهراس ، ومارد ، وقاع منفوحة : مواضع . الحائر : يجتمع الماء  
والموضع المظلم من الأرض .

(٧) آيات جمع آية . والآية العلامة . ملث : مقيم . الصوب : السحاب  
ذر الصوت زخر البحر : طم وكثر ماؤه .

(٨) الترب : من ولد ملك . السامر : اسم فاعل من سمر أي لم يتم وتحدث ليلاً .

وهناك دار لميثاء ، قد تعفت طاولها ، بفعل الصبا ومسيل المطر ، تعفت فيكي عليها . ويعود الشاعر الفهري بالذكى مسنين إلى الورا ، فيخال نفسه مع ميثاء ، وأهله جيرة لها ، وهو تمن أن تعود تلك الايام ، تمن ملح إليه غير مصرح به قال (١) :

لميثاء دارٌ قد تعفَّتْ طاولُها عفتها نضيضاتُ الصبا فسيلُها (٢)  
لما قد تعفَى من رماذٍ وعرصَةٍ بكريتُ وهلْ يبكي إليك مُحيلُها (٣)  
لميثاء إذ كانت وأهلكَ جيرةٌ رثاءٌ وإذ يفضي إليك رسولُها (٤)

ولميثاء هذه — أيضاً — دار تعفت ، فيتعرف عليها الشاعر ، في صدقة من صدف الزمان ، فيرتاح فؤاده حين يرفها ، وتتهيج على نفسه أذكارها ، حيناً وشرقاً إليها . قال (٥) :

لميثاء دارٌ عفا رُسمُها فما إن تبينُ أَسْطارَها (٦)  
وربعَ الفؤادِ لعرفانِها وهاجت على النفسِ أذكارُها  
ديارُ لميثاء حلت بها فقد باعدتْ منكم دارُها

(١) الديوان : ١٧٥ .

(٢) النضيضة : المعطر القليل . والريح التي تنص بالماء فيسيل دأوهى الضعيفة .

تعفى : انطمس .

(٣) العرصه : ساحة الدار ، وهى كذلك البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها

بناء . محيل : دائر مطروس .

(٤) قوم رثاء يتأيل بعضهم ببعضاً ، أفضى إليه : وصل إليه ، وأصله أنه صار

في فضائه .

(٥) الديوان : ٢١٧ .

(٦) تبين : أبى تبيين أنت ، تميز وتعرف .



وهناك شوق عند الأعشى إلى قومه ، يشواقهم إذا شط الحبيب ، وبعد المزار ،  
يشناق إليهم ، لأنهم منه ، وهو منهم ، هذا الشوق إلى الأهل ، بثبوت بطبيعة الحال  
— أن لم يكن ممزوجاً به — شوق إلى الأرض والوطن . قال (١) :

فلى مثلها أزورُ بني قبه من إذا شطَّ بالحبيبِ الفراقِ<sup>(٢)</sup>  
أنى منهم وأنهم قو مى وأنى إليهم مشتاقُ

وتفيض دموعه بفزارة من ديار ذكرته ما ذكرته من أيامه الخوالي . قال (٣) :

من ديارٍ بالهضْبِ هَضْبِ القلبِ فاص ماء الشئون فيض الغروبِ<sup>(٤)</sup>

وفي يوم من أيام الأعشى يعرف مقام ( تيا ) ، ويعرف خيامها ، مساجر عليه  
هياج الشوق المحزون الطروب ، فأنهلت مدامعه انهلالاً ، ويبدو أنه كان عاطفياً ،  
فبعد انهلال دموعه ، من حامية حاجت صباه ، يشوب إلى رشده ، فتسامل ، هل يجدر  
به الشوق إلى رسوم عفت ، ولم يبق فيها ، إلا الأياصرى الثمام ؟ وفي رأينا — نقول  
عنه — نعم ، لا شيء — إلا للحنين الذي دفعه إلى ذلك دفعا . قال (٥) :

عرفت اليوم من تيا مقاماً بجوٍّ أو عرفت لها خياماً<sup>(٦)</sup>

فما جت شوق محزونٍ طروبٍ فأسبَل دمعهُ فيها سِجَاماً<sup>(٧)</sup>

ويوم الخرج من قرماء حاجت صباك حامية تدعو حماماً<sup>(٨)</sup>

(١) الديوان : ٢١٣ (٢) شط : بعد (٣) الديوان : ٢٢٢ .

(٤) القلب : البئر ، لأن ترابها قلب ، وقد تطلق على القديم العادي منها .

وهضْب القلب جبل . ماء الشئون ، مجازى الدمع ، جمع شأن الغروب . جمع

غرب ، انهلال . (٥) الديوان : ١٩٥ .

(٦) تيا : اسم إشارة تصغيري ، الخيمة بيت بني من عيذان الشجر ويلي عليه

ثمام ويرد به في الحر ، والثمام : نبت خفيف له خوص .

(٧) انسجم الدمع : سال .

(٨) الخرج . السحاب أول ما ينشأ . قرماء : موضع بالليامة . الصبا : الشوق

وَمَلْ بِشْتَاقُ مُثْلِكَ مِنْ رَسُومِ عَفْتُ أَلَا الْيَاصِرَ وَالْثَمَامَا<sup>(١)</sup>

وتجلى في شعر لبيد<sup>(٢)</sup> ظاهرة الحنين إلى الوطن متداخلة بالوقوف على الأطلال  
قهر يتف على الدمن الخوالي ، ولا يجد فيها إلا ما لا يبلى على مر الأزمان ، هذه  
الدمن الخوالي ، قد تحمل أهلها ، وأصبحت مرتعا لنعاج الصيف ولغير ذلك من  
حيوانات البادية التي تزورها طلباً للظلال ، أو للكلأ ، يقف عليها لبيد ، فيخرج  
جزعا شديداً ، يقطع مداه حين يزجره أصحابه من شدة الجزع . قال (٣) :

أَلَمْ تُلِمْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي لِسَامِي بِالْمَذَانِبِ فَالْقُقَالِ<sup>(٤)</sup>

فَجَعَتْنِي صَوَارٍ فَنَعَافٍ قَوْ خَوَالِدَ مَا تَحَدَّثُ بِالزَّوَالِ<sup>(٥)</sup>

تَحْمَلُ أَهْلَهَا الْأَمْرَارَ وَغَزَا بِدَ أَهْيَا حِلَالِ<sup>(٦)</sup>

وَحَيْطًا مِنْ حَوَاضِبٍ مَوْلَاتِ كَأَنَّ رِثَالَهَا أَرْقُ الْإِفَالِ<sup>(٧)</sup>

تَحْمَلُ أَهْلَهَا وَأَجْدَ فِيهَا نَعَاجُ الصَّيْفِ أَخِيبةَ الظَّلَالِ<sup>(٨)</sup>

رَقَعْتُ بِهِنَّ حَتَّى قَالَ صَبِي جَزَعْتُ وَلَسَ ذَلِكَ بِالنَّوَالِ<sup>(٩)</sup>

(١) الأيسر والاحمار : الحشيش . (٢) توفي عام ١٠٤ هـ تقريباً .

(٣) شرح ديوان لبيد : ٧٢ - ٧٣ .

(٤) تلّم : تنفّ . الخوالي : الخالية من أهلها . المذانب والقنّال : موضعان .

(٥) النعاف : رؤوس الأودية ، واحدها نعف . خوالد : باقية قو وجنبا .

صوّار موضعان .

(٦) الامرار صوت ذكر النعام ، والزمار . صوت الأتشي . العرف ، صوت الجن .

الحى الحلال : المقيمون في سلمهم وفسان لهم .

(٧) الحيط : القطيع من النعام . الحواضب : قد خضبها الربيع ، صبغ أطراف ريشها . رثالها : فراخها . الأورق : الرماد . الإفال : الفعلان ، واحدها أفيل .

(٨) أجد فيها . أي اتخذت أخيبة جديدة .

(٩) النوال : الثواب .



وتعفو الديار ، فيقف متسائلاً : لمن هي ؟ حتى تعود به الذكريات ، إلى روابطه  
بهذه الديار ، حين يذكر الفوارس والندامى ، وكأن هذه الذكرى . كانت حافزاً  
لدموعه . قدسح وتنهل . قال (١) :

لَمَنْ طَالَتْ تَضَمُّنُهُ أَثَالُ فسرحةُ فالمرانهُ فالخيال (٢)  
فنبعُ فالنبيع فذو مدِيرِ لآرامِ النعاج به سِخَال (٣)  
ذكرتُ به النوارس والندامى فدمعُ العينِ مسح وَأَنْهَالُ (٤)

وينكر الشاعر على قومه شمائل يدلونها فيبتعد عنهم ، ويرحل من ديارهم ، إلا  
أنه مع ذلك - يغلبه الشوق والحنين إلى قومه ، وإلى وطنه . فيدعو لهم  
ولمرايتهم ، بالاسقى والجيب . وكيف لا يتخذ هذا الموقف ، وهم قومه على أية حال ،  
كانوا : قال (٥) :

أَقُولُ رَصُوبُهُ مِنِّي بَعِيدُ يَحْطُ الشَّتُّ مِنْ قُلُلِ الْجِبَالِ (٦)  
سَقَى قَوْمِي بَنَى مَجْدٍ وَأَسْقَى مُبِيرًا وَالْقِبَائِلُ مِنْ هِلَالِ  
رَعْوِهِ مَرَبَّيَا وَتَصَيَّفُوهُ بِلَا رَأْيٍ مُمَيَّ وَلَا وَبَالِ (٧)  
م قَوْمِي وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُمْ شَمَائِلَ بَدَلُوها مِنْ شَمَالِي (٨)

(١) شرح الديوان : ٢٦٧ .

(٢) أثال ومسرحة والمرانة والخيال : كلها مواضع .

(٣) نبيع والنبيع وذو مدير : كلها مواضع . السخال : جمع سخلة وهي ولد  
الشاة من المعز والنظان ، أي قد نتجت تلك النعاج فيه .

(٤) شرح الديوان : ٢٦٥ - ٢٦٤ .

(٥) رصوبة : مصاب مطره . والشت : شجر من شجر السراة . وقُلل : أعالي

(٦) الويا : المرض . والوبال : مثله . مُمَي : أراد سمينة فرخهم .

(٧) الشمائل : الخلائق . والطبائع : شمالي : طبيعتي .

وترتفع نبرات الشاعر ، حين يذكر أهله ( الذين يعيش في أكنافهم ) فيقتله  
الحنين ، شوقاً إليهم . ويتمنى أن يجرى الزمان على ما يشتهي ، فيفضى عمره في تلك  
الديار ، حيث أهله الكرام ، ومعه شره ، وصحبه ، ووطنه . قال (١) :

قضى اللبانة لا أباً لك واذهب

والحق بأسرتك الكرام الغيب<sup>(٢)</sup>

ذهب الدين يعيش في أكنافهم

وبقيت في خلف كجلب الأجر<sup>(٣)</sup>

يتأكلون منالة وخيانة ويهاب قائلهم وأن لم يشغب<sup>(٤)</sup>

يا أريد الخبر الكريم جدوده خلقتني أمشي بقرن أعصب<sup>(٥)</sup>

لولا الاله وسمي صاحب خير وترضى في كل جون مصعب<sup>(٦)</sup>

لتقيظت علك الحجاز مقيمة فجنوب ناصفة لقاح الخواب<sup>(٧)</sup>

أن الرزية لا رزية مثلها

فقدان كل أخ كضوء الكوكب<sup>(٨)</sup>

(١) شرح الديوان : ١٥٢ — ١٥٥ (٢) اللبانة : بقية الحاجة .

(٣) خلف : بقية . يقال فلان في كنف فلان : أي في ناسيته وخيره .

(٤) يشغب . يحور عن القصد . والمخالة : النحس .

(٥) جل أعصب : إذا كان متفرداً ، الأعصب : المكسور أحد قرنيده .

(٦) في كل جون مصعب : في كل ليل شديد الظلمة .

(٧) تقيظت : أي صارت في التقيظ . علك الحجاز : شجر يقال له العلك .

جنوب ناصفة : موضع : لقاخ : ابل . الخواب : رحل .

(٨) الرزية : المحيبة .



والمزود بن مفرار (١) ، يذكر بصراحة ووضوح أن الحنين إلى الوطن ، شعور ملازم للأحياء ، لأنه ينبثق من المشاعر الإنسانية ، مهما تباعدت الأماكن ، وشطت الديار . قال (٢) :

وما خالده منا ، وأن حلَّ فيكم أبائين ، بالذاتى ولا المتباعد<sup>(٣)</sup>  
نسفته عن ماله إذ رأيتُه غلامًا كفصن البانغ المتغابد<sup>(٤)</sup>  
تحنُّ لفاحِ التعلبى صبابة لاوطانها من غيقة فالندافد<sup>(٥)</sup>

والشاعر بن مفرار (٦) يفصح عن جمال حين يتغنى بالوطن ، وحين يقف على الديار وهو يكثر من رسم الصور الفنية المبكرة لتلك الديار . ويبدو لنا ، أن أصل الأسباب التي تدعوه إلى الحنين ، ذكريات لطواء في تلك المنازل التي استججت ، وضاعت معالمها ، في زحمة الأيام : فمثلا . يقف الشاعر على رسم دار من متغير ، وقد أقوى بعد ليل . فيرسمه ويصور أندراسه ، كخط جبر يكتب العبرانية يمينه . قال (٧)

أتعرفُ رسماً دارمًا قد تغبَّرا بذروة أقوى بعد ليلى وأقفرا<sup>(٨)</sup>  
كما خطَّ عبرانية يمينه بتيماء جبر ثم عرَّض أسطرا<sup>(٩)</sup>

ويتحدث الشاعر ، عن إحدى صويعجاب سفره ، وقد خلبها الشرق والحنين ، إلى أهلها ووطنها ، حينما رأت سهيلا ، وقد بدا لها في السماء ، فذكرها بهم قال (١٠) :

(١) توفي عام ٣٠ هـ تقريباً (٢) ديوان المزود : ٧٧

(٣) أبانان : جيلان .

(٤) نسفته : خدعته . المتغابد : من الغيث وهو الثنى .

(٥) غيقة والندافد : موضعان . (٦) توفي عام ٣٠ هـ تقريباً .

(٧) ديوان الشماخ : ١٢٩ . (٨) ذروة : موضع .

(٩) خط : كتب . الجبر : العالم . (١٠) الديوان : ١٤٣

تحنُّ على شطِّ الفراتِ وقد بدا سهيلُ لها من دونه سرُّو حميرا<sup>(١)</sup>  
ففاتت إلى قومٍ تريحُ رعاؤهم عليمُ ابنَ عرسٍ والأوزَّ المكفراً<sup>(٢)</sup>

وابن مقبل<sup>(٣)</sup>، واحد من الشعراء المتخضرمين، الذين كانوا يجمعون بين المدرستين، مدرسة التقليد الشعري للجاهليين، ومدرسة الخروج الجزئي على هذه التقاليد، لذلك فإننا حين نحال شعره — في الحنين إلى الوطن — نجد فيه المدرستين متأخيان، فإلى جانب الأطلال والوقوف عليها، والبكاء فيها، فهو يفرغ أحياناً إلى نفسه ليستجلى عواطفه. فقرأه يطلب من الناس، أن يتركوا عينه تبكي في الدار، لأن التعزى لا يشفيها، وأن القلب لا يستطيع أن يصحو، وأن الدين لا يخل بدمعها، وأن الشاعر يشنق لدياره، إذ يتذكر إخوانه الذين هجرهم، من غير بغض أو كره ولكنَّ التوايب قد تنوب، وقد يتعنى أن يلتقي بهم، ويومن بحب، من أهله، وأصحابه وخلافه، وأهل مودته. قال<sup>(٤)</sup>:

ذَرِ العينَ تَسْفِجُ في الديارِ فلا أَرَى الـ تَعَزَّى يَشْفِيها ولا تَرَ كها الجهلاً<sup>(٥)</sup>  
ولا يَسْتَطِيعُ القلبُ لو تَمَذُّرُا نِهَ مَسْجُوءاً ولا عيني بِبَعْرِتِها بَغْلاً  
مَرَّتْها فلم تُسَبِّلْ حارِياً ولم تَكِدْ بِدِرَّةٍ ماءَ الشَّانِ تَسْفِجُها حَمَلاً<sup>(٦)</sup>

(١) سهيل: كوكب. السرو: ما ارتفع من الوادي وانحدر من غلط الجبل.  
(٢) فاء: رجع. وتريح: من الراحة وهي رد الإبل والنعم من العشي إلى مراحيها حيث تأوى عليه. ابن عرس: دوية معروفة دون السنور.

(٣) شاعر متخضرم معمر. (٤) ديوان ابن مقبل: ٢٠٢.

(٥) الجهل: الطيش والخفة هنا.

(٦) مرتها: أي مرت الديار عينه، أي أن منظر الديار أبكاه. من مرى ضرع الناقة إذا مسحه لتدر. فلم تسبل: أي لم تسبل بالدمع الشان: مجرى الدموع من العروق إلى العين. وأجمع شئون. والضميل: الماء القليل، مثل الضجل.



تذكرت اخواني الذين هجرتهم

كأن لم يكن شكى لهم مرةً شكلاً<sup>(١)</sup>

هَجَرْتُمْ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَلَا قِلٍّ وَلَكِنْ مَرَّ الدَّهْرُ كَانَهُمْ شُغْلًا<sup>(٢)</sup>

وَنَحْنُ نَرْجِي أَنْ نَلَاقِيَ عِزَّةً عَلَى آخِرٍ لَمْ نَلَقَ قَبْلَ لَهُمْ عِدْلًا<sup>(٣)</sup>

ويقف ابن مقبل ، على دار كبشة التي لم تستطع الجنوب أن تغيرها ، وحينما يغشاها تهيج به الذكريات ، وتلمسك دموعه شوقاً وحنيناً على ما مضى له فيها من أيام وذكرى . قال (٤) :

يَا دَارَ كَبْشَةَ تِلْكَ لَمْ تَنْغَيِّرْ

بِجَنُوبٍ ذِي خَشَبٍ لَحَزَمَ عَصَنَصِرٍ<sup>(٥)</sup>

فَجَنُوبٍ عَرُوي فَالْتِهَادِ غَشِيَتْهَا وَهَنَا فَهَبَّجَ لِي الدُّمُوعَ تَذَكُّرِي<sup>(٦)</sup>

ويتلف شاعرنا على الحى الكريم ، الخفيف ، العزيز ، فيسكن الدار ، وأهل الدار ، وله عذره ، فقد حل فيها ( روادعك وحميرآ ) ، بينما أضحت قومه . مشكين مشردين . قال (٧) :

(١) الشكل : الشبه والمثل .

(٢) القلي : السكر والبغض .

(٣) على آخر : أى على أناس آخر . والعدل : النظير والمثيل .

(٤) الديوان : ١٢٣

(٥) ذو خشب : جبل ، وجنوبه : نواحيه وسفوحه ، جمع خشب : والحزم :

ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته . وعصنصر : موضع وكأنه ماء .

(٦) عروى : هضبة بالعالية ، متاخمة بلاد اليمن . والتهاد : موضع .

(٧) الديوان : ١٣٠ .

ألهني على عزٍّ عزيزٍ وظهري<sup>(١)</sup> وظلُّ شبابٍ كنتُ فيه فأذبراً<sup>(٢)</sup>  
 واهني على حَيٍّ حُنيفٍ كليهما إذا الغيثُ أمسى كابي اللونِ أغبراً<sup>(٣)</sup>  
 يذكُرني حَيٍّ حُنيفٍ كليهما حمامٌ ترادفن الركيَّ المَهوراً<sup>(٤)</sup>  
 ومالي لا أبكي الديارَ وأهلها وقد حلَّها روادُكُ وحميرا<sup>(٥)</sup>  
 فان بني قينانَ أصبحَ مَرَبُّهم بجرعاء عيسٍ آمنّا أن يُنفراً<sup>(٦)</sup>  
 ويستغرب ابن منبل من صحبه ، كيف لا يحبون الدار ، وكيف لا يسائلونها .  
 ويستغرب أيضاً لأنه هو نفسه ، يحيي الدار ، ويسائلها ، وهي عجماء . لا تجيب ، وقد  
 انتهت عليها الرياح ، واندرست معالمها ، فإلتاع شاعرنا ، ويعصف بقلبه الحزن  
 والألم ، حتى تنهل مدامته . فأين القوم ، وأين الديار ، وأين الأيام الحلوّة فيها ؟ !  
 قال (٦) :

هل أنت يحيي الربع أم أنت سائله<sup>(٧)</sup> بحيث أألت في الرّكاء سوائله<sup>(٨)</sup>  
 وكيف يحيي الربع قد بان أهله فلم يبق إلا أمه وجنادله<sup>(٩)</sup>

(١) الظهرة : الأعوان .

(٢) الغيث : الكلاء الذي يلبث من ماء السماء .

(٣) ترادفن : أي أتين يتبع بعضهن بعضاً . الركي : جمع الركية . وهي البئر .  
 والمهور . من عور الركية ، إذا طعمها ودفتها وسد عيونها التي يتبع منها الماء .

(٤) الرواد : جمع لرائد وهو الذي يتقدم القوم في طلب الكلاء ومساقط الغيث .

(٥) السرب : المسال الراعي ، أي الإبل . الجرعاء الأرض الحشنة . جرعاء

عيس : موضع .

(٦) الديوان : ٢٣٨ وما بعدها .

(٧) الركاء : وادي . السوائل : مياه الأمطار .

(٨) أمه : أساسه . جنادله حجارة . واحدها جندل .



عفته صناديد السما كين وانتحت عليه رياح الصيف غير آجاوله<sup>(١)</sup>  
وقد قلت من فرط الأسى إذ رأيته وأمسيل دمي مستهلاً أوائله<sup>(٢)</sup>

إلا يا لقوم للديار بدوة

وأنتي مراح المرء والشيب شامله<sup>(٣)</sup>

والدار من جنبي قروري كأنها وحي كتاب أتبعته أنامله<sup>(٤)</sup>

أنا ليس فيه حزيناً صادقاً ، وشوقاً وتسكيداً لمشكلات الحياة وحكم الدهر القاسي حين يحلو هو وعشيرته وأحبته عن هذه الديار ، ويحلها أعداؤه ، ثم إذا به يلتفت فيطلب من صاحبه ، أن يسائل الأطلال الدارسات التي هي جنة للسؤال ، والدار أحياناً تثير مكان الشوق والحنين ، وتدل سائلها على الجواب بطبيعة حالها بدون أن تنطق أو تتحدث . قال (٥) :

سائل بكبشة دارس الأطلال قد هيّجته رسومها لسؤال

والدار قد تدبّع الحزين لما به ويدل عارفها بغير دلال

وعبيد بن الأبرص (٦) يقف في قصيدته — التي بعدها بعض النقاد الأقدمين من المعلقات على الدار وقد أفترت ، ويسمى لنا الأماكن التي تحدها كما يذكر أنها تبدلت ، كما تبدل سكانها ، حيث حلت الوحوش محلهم ، وغيرت الخطوب حالها

(١) عفته : هدمته . مطر صنديد : عظيم القدر . السماكن : نجان تيران أحدهما السماك الأعزل : والآخر السماك الرامح . المجاول : التراب وسواقه ورق الشجر وحطام البيت .

(٢) بدوة : بطل بنجد لبني العجلان ، وعم رطل بن مقبل . المراح : المرح .

(٣) قروري : اسم موضع ، الروحي : جمع وحي ، وهو الكتابة ها هنا .

الكتاب : الصحيفة المكتوبة ها هنا .

(٤) الديوان : ٢٥٥ . (٦) قتل في منتصف القرن السادس للميلاد .

ويبدو أن هذه الأرض عند الشاعر منحومة ، وكل من يحل فيها محارب ، فإما قتيلاً ، وإما هالكا ، وإما كهلاً لا تنفعه الحياة . ومن خلال هذا الوصف نلحس الحنين عند الشاعر ، إلى هذه الديار ، وإلى أيامه فيها . قال (١) :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ<sup>(٢)</sup> فَالْقَطِيبَاتُ<sup>(٣)</sup> فَالذُّنُوبُ<sup>(٤)</sup>

فِرَاكْسُ<sup>(٥)</sup> فَتُعْمِلِبَاتُ<sup>(٦)</sup> فذَاتُ فِرْقَيْنِ<sup>(٧)</sup> فَالْقَلِيبُ<sup>(٨)</sup>

فَعُرْدَةٌ<sup>(٩)</sup> فَفَقْدًا حَبِيرٌ<sup>(١٠)</sup> لَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبٌ<sup>(١١)</sup>

وَبُذَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَحُوشًا<sup>(١٢)</sup> وَغَيَّرَتْ حَالَهَا الْخَطُوبُ<sup>(١٣)</sup>

أَرْضُهَا تَوَارَتْهَا شُعُوبٌ<sup>(١٤)</sup> فَكُلُّ مَنْ حَلَّهَا مَحْرُوبٌ<sup>(١٥)</sup>

إِمَّا قَتِيلًا وَإِمَّا هَالِكًا<sup>(١٦)</sup> وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ<sup>(١٧)</sup>

ويقف الشاعر على الدار يسأل ، لمن هي وقد أقفرت ، وليس فيها غير نوى ، ودمته كالكتاب ، لمن هي وقد غيرتها الرياح ، والمطر الدائم الرعد ، المرجحان السحاب ، لمن هي وقد أرحشت ، وباتت بجبال للراح ، ومسرحة للعرايب ، لمن الدار ، وكانت منزلاً للكهول ذوى ندى ، وحلوم الشباب غلب شجعان ، هيج الشوق معارفه منها ، ولكن بعد أن حل المشيب دار الشباب ، لمن الدار قد استوطنتها الطباة ، وكانت من قبل مرتبة لمعارفه وأصحابه وأحبابه ، ومن بينهم

(١) ديوان عبيد بن الأبرص : ١٠ وما بعدها .

(٢) ملحوب : ماء لبني الأسد بن خزيمه . والقطيبات : جبل ، والذنوب : موضع .

(٣) فراكس . وتعملبات . وذات فرقين ، والقليب : كلها مواضع .

(٤) عردة : هضبة في أصلها ماء لكعب بن عبد . وقفا حبر : موضع . وعريب :

أحد لا يستعمل إلا في النفي .

(٥) شعوب : اسم للنسبة : محروب : ملوب ، أو ذهب ماله .



واحدة سببه بدلالها : أنه تسأول ، ليس له من يجيب ، فلا الشاعر يجيب عنه ، ولا أحد هناك ، يستطيع إلى الإجابة سبيلا . قال (١) :

لمن الدارُ أفترتُ بالجَنابِ      غيرَ نوى ودمنةٍ كالكتابِ (٢)  
غيرَتها الصَّبَا وتَفجُّ جَنوبِ      وشمالِ تَذرو دُقاقِ التُّرابِ (٣)  
فترأوخنها وكلُّ مُلثٍّ      دائمِ الرِّغْدِ مرجحِ السَّحابِ (٤)  
أوحشتُ بعد ضُمِّرِ كالسَّعالِ      من نباتِ الوجيهِ أو حَلابِ (٥)  
ومراجٍ ومسرحٍ وحُلُولِ      ورعايبٍ كالذُّمى وقبابِ (٦)  
وكهُولِ دوى ندىٍ وخُلُومِ      وشبابِ انجاءِ غلبِ الرُّقابِ (٧)  
هَبَّجَ الشَّوقَ لى معارفٍ منها      حينَ حلَّ المشيبُ دارَ الشبابِ

(١) الديوان : ٢١ - ٢٢

(٢) الجَناب : موضع .

(٣) تَفجُّ : هبوب . تَذرو : تطير . دُقاقِ التُّرابِ : الناعم الذى تطيره الرياح .

(٤) ترأوخنها : تعاقب عليها . الملث : المطر الدائم . المرجح : المهتز .

والثقل أيضاً .

(٥) السعال : جمع سعللة ، وهو الغول ، أو اللاتى منه . الوجيه : فرس

معروف عند العرب بكرم أصله لبني غنى . حلاب : فرس لبني تغلب كريم أيضاً .

(٦) المراج مأوى الإبل . المسرح : مرعاهما . الحُلُولُ الإقامة . ورعاً أطلق على

المقيمين أطلق على الصفة . الرعايب : جمع رعبوبة ، وهى البيضاء الحسنة

الرطبة الحلوة من النساء . الندى : جمع دمية ، وهى الصورة فيها حرة .

(٧) الندى : السخاء . الخُلُوم : جمع حلم ، بكسر الحاء ، وهى الآناة والعقل .

انجاء : جمع نجد ، وهو الرجل الشجاع المداخى السريع الإجابة على ما يدعى إليه .

غلب : الرقاب : غلاظها ، دليل القوة والشجاعة .

أوطنتها عفرُ الظباء وكانت قبل أوطان مُبدنٍ أتراب<sup>(١)</sup>  
خُرْدٍ يدينهنَّ خَوْذُ مبدتني بدلال وهيَّجت أطرابي<sup>(٢)</sup>

ويذكر الشاعر أهله ، فيهلك قلبه ، ويقتله الحنين شوقاً إليهم ، فيتذكركم ، وهو  
بالتالي يتذكر منازلهم ، ويحن إليها . قال<sup>(٣)</sup>

تذكرتُ أهلي الصالحين بما حوبِ فقلبي عليهم هالكٌ جدُّ مغلوبِ  
تذكرتُ أهلَ الخيرِ والباعِ والندى

وأهلَ عتاقِ الجُرْدِ والبرِّ والطيبِ<sup>(٤)</sup>

تذكرتهم ما أن تَجِفَّ مداامي

كأنَّ جَدُولٌ يسقي مزارعَ مخروبِ<sup>(٥)</sup>

ويبدو لنا ، أنه شاعر بكاء ، سرعان ما تستأثر عواطفه ، حين يرى أن الأيام ،  
قد لعبت لعبتها في الديار ، حتى عافتها بأمطارها ، ورعدتها ، ورياحها : ويظل فيها  
وقد فقد مشاعره ، فكأنه شارب مصيباء مدققة من شدة الشوق وكثرة الحنين . قال<sup>(٦)</sup>

أمن رسوم نُوفِها ناهِلٌ ومن ديارِ دمُكِ الهائلِ<sup>(٧)</sup>

( ١ ) أوطنتها . اتخذتها وطناً لها . العفر : جمع أعفر وعفراء وهو يملأ بياضه  
حمرة . البدن : جمع يادن ، وهو السمين . الأتراب : جمع ترب يكسر التاء واسكان  
الراء ، وهو الصديق ، أو من ولد معك .  
( ٢ ) الخرد : الخفرات ، أو العفاري ، جمع خرود وخريدة : الخود : المرأة  
الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . الأطراب : جمع طرب ، وهو الخفة تلجحك ،  
تسرك أو تحزنك .

( ٣ ) الديوان : ٢٤ - ٢٥ .

( ٤ ) العتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم النجيب . الجرد : القليلة الشعر .

( ٥ ) مخروب : موضع لبنى أسد . ( ٦ ) الديوان : ٩٧ - ٩٨ .

( ٧ ) ناهل : البالي . الهائل : الناضج .



قد جرتِ الرِّيحُ به ذيلها      عامًا ، رجَّوْنُ مسبلٌ هاطلٌ<sup>(١)</sup>  
 حتى عفاها صَيَّتُ رعدُهُ      داني النَّواحِي مسبلٌ وابلٌ<sup>(٢)</sup>  
 ظلمتُ بها كائنِي مُاربٌ      صهباءُ مما عَتَّقَتْ بابلٌ<sup>(٣)</sup>

ونجده آونة أخرى ، مخاطب دار هند ، التي عفاها المطر ، وجرت عليها رياح الصيف ، فيحبس أصحابه كي يسائلها ، ودمعه قد بل سرباله . دمع هطال بفعل الشوق إلى الجمع المشتمل . وإلى ديار الحى ، ولكن ، كيف يطرب أو يشناق عبيد بن الأبرص ؟ فكأنه يرى الطرب والاشتياق بعبيدين عنه فخرى به أن يبكي ، وأن يكثر من تهطال دموعه . قال (٤) :

يا دارَ هندية عفاها كلُّ هطالٍ      بالبحرِ مثلَ مسحوقِ اليُسنةِ الهالى<sup>(٥)</sup>  
 جرتُ عليها رياحُ الصيفِ فأطرقتُ

والريحُ مما تمغَّيها بأذيالٍ<sup>(٦)</sup>

حبستُ فيها صحابي كي أمائلها      والدمعُ قد بل مني جيبَ سربالى<sup>(٧)</sup>  
 شوقًا إلى الحى أيامَ الجميعِ به      وكيف يطربُ أو يشناقُ أمثالى

(١) الجون : السحاب الأسود ، أو الأبيض . المسبل : الداني من الأرض .

(٢) عفاها : عفاها . صيت : عظيم الصوت والجلبة . الوابل : المطر الشديد .

(٣) ظلمت : كشت نهاري كله . الصهباء : الخمر .

(٤) الديوان : ١٠١ .

(٥) البحر ، مخرج . المسحوق ، الثوب الخلق . اليُسنة : البرد البتني .

(٦) فاطرقت : فتلبدت . أراد تجر هذه الرياح على هذه الدار التراب كما تجر المرأة ذيلها .

(٧) حبست : ما هنا أوقفت . جيب السربال : طوقه . السربال : التقيص .

وعودة بن حزم (١) ، شاعر من الشعراء العذريين ، وما تبقى من شعره حافل  
بالحب والحنين إلى ديار أحبابه ، وأنتا ذا كروه هاهنا ، لأن شعره يحفل بدافع قوى  
من دوافع الحنين ، ألا وهو الحب الذى ملك عليه فؤاده .

فهو يحب عفرات ، ابنة عمه ، فيحب بالتالى ، كل ما يتصل بها ، وما يربطه معها  
بذكريات الهوى والحب ، ولو رحننا ندرس ما تبقى لنا من شعره ، لوجدنا هواء  
القوى العنيف ، يصور له أن نافته — أيضاً — تحب . وأنها تحن إلى اليمن .  
بينما يحن هو إلى العراق ، البلد الذى ترك حبيبته فيه ، والى رحل عنها ليأتها بمهرها .  
وبدفئة حنينه وشوقه ، إلى أن يتصور أن نافته ، أحسن منه حظاً ، لأنها تحن وتبدي  
حنينها ، أما هو ، فيحن ويخفى حنينه الذى يكاد يقضى عليه ، لولا تأسيه بغيره من  
العشاق الذين رحلوا عن أحبابهم قال (٢) :

هوى نافتي خلى وقْدَامِي الهوى وأنى وأياها لمختلفان

هوى عراقى وثنتى زمامها لبرق إذا لاح النجوم يمان

هوى أمانى ليس خافى مُعَرَّجٌ وشوق قلوبى فى العُدُوِّ يمان

وفى رواية أخرى ، للبرد فى كامله .

فن بك لم يفرض فانى وناقى بهجر إلى أهل الحمى غرضان

هوى نافتي خافى وقْدَامِي الهوى وأنى وأياها لمختلفان

تحن فتبدي ما بها من صباية واخفى الذى لولا الأسى لقضائى

فيا كبدنا أجملا قد وجدتما بأهل الحمى ما لم يجد كبدان

إذا كبدانا خافتا وشك نيم وعاجل بين ظلمات تعبان

( ١ ) توفى زمن عثمان بن عفان أو زمن معاوية .

( ٢ ) من عروة بن سزام : ١٢ - ١٣ .



وسحيم عبد بنى الصبحاس (١) عند ما يقول :

أرقاً وتغنيظاً ونأياً وفرقةً على حين أبصرتُ المِشارِعَ تُنْشَفُ

فإننا نحسن في قوله ( نأياً ) ذلك المحنين إلى الوطن ، الذي يشيره البعد عنه ، وعن أهله وأحبابه ، الذين سكنوا تلك الديار ، وعاشوا فيها ، وهو يرى أن الفراق قد يجر إلى المهلكات ، فالخوف فيما يبدو ، هو الذي أبعدته عن الوطن ، وهذا الخوف هو الذي يجعله لا يستطيع البوح بحقيقته خوفاً من ( باطن الجوى ) على حد تعبيره هو ، وإن باح به و كان مصيره القتل ، وهو يرى أن السيف أحجى للمناسات من الوجد الذي لا يقضى على الإنسان . ففي المقطع التالي : نلحس هذه الروح المتشائمة بوضوح ، ولستطيع أن نقررها بعبارة : أن البين قد فرحنى على الشاعر ، وأنه إن باح بالسبب قتل ، وإذا لم يبح به ، فإن الكتبان سوف يقضى عليه قال (٢) :

خائليَ هذا البينُ قد جدَّ جدُّه فسوذا لنا من شرِّ البينِ مُقرِفُ

وأن لم تبوحا خفيتُ من باطن الجوى

وان بَحَّتْهُ فالسيفُ عُريانُ ينطِفُ

والسيفُ أحجى ان أقاسى والشبّا من الوجدِ لا يقضى على فيرْعَفُ

أرقاً وتغنيظاً ونأياً وفرقةً

على حين أبصرتُ المِشارِعَ تُنْشَفُ (٣)

وما كنتُ أخشى جندلاً خابَ جندلُ

على مثليها ، والظنُّ يُخطئُ ويُخِلِفُ

أعاليَ تنأى فوعدُ يدينا وبين المنايا مررُثرتُ يثارةُ (٤)

(١) توفي عام ٤٠ هـ تقريباً (٢) ديوان سحيم : ٦٣ - ٤

(٣) الغنظ : الغنظ . (٤) الخنثى : زعماء أو نوافذة تخلص بين سبأ بنيك

وعلى المنوال نفسه ، ينساق الشاعر ، فينسج ألياناً أخرى ، يضمها لوعته  
وتشاومه ، من الظروف المريرة ، متى كان يقاسيها ، فيغادر قومه مكرهاً ، ويشتاق  
إليهم رغم ذلك الإكراه ، ويشتاق إليهم ، ولما تمض غير ليلة واحدة على الفراق ، فكيف  
به وقد تسير المطى ليالياً إثر ليال فيستخلفهم بأنه أخوهم ، وبأنه مولى خيرهم وحليفهم  
ومن ثوى فيهم وعاشرهم دهرأ ، وذلك غير عجيب ، لأن سحياً كان عبداً لبني  
الحساس ، قال (١) :

أشوقاً ولما تمضِ بني غيرُ ليلةٍ      فكيف إذا سارَ المطىُ بنا عشرا  
أخوكم ومولى خيركم وحليفكم      ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرأ  
وما خفتُ سلاماً على أن يديعني      بشيء ، ولو أمست أنا ملهً صِفرا  
ويبكي سحيم ، إذ فارقه جارتاه ، فأصبح يبكي طليهما ، ولسكن الدموع لا تجدى  
لأنه لا يرى من أثرها ، حيه دانياً ، فكان الفراق المسنن المتواصل عن أحبابه ودياره  
قد كذب عليه قضاء لا يرد . قال (٢) :

هما جارتاك اليوم شطت نواهما      وأصبح يبيكي ذا الهوى طلالهما  
وفاحشت دموع العين مني ولا أرى      نوى الحى يدنياً جميعاً بكلامها (٣)

وعمر بن الأهتم هو عمرو بن سنان وهو الأهتم بن سمي بن سنان بن خالد  
ابن منقر بن عبيد بن الحارث ، وهو مقاص بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد ،  
مناة بن تميم ، كان سيداً من سادات قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً ، جميلاً ،  
ولقبه : المسكحل ، وكان يقال لشعره : الحلال المشرة ، وقد لما إلى رسول الله (ﷺ)  
في وفد بني تميم ، وسأله الرسول عن الزبرقان بن بدر فمدحه ثم هجاه ولم يكذب في  
الحالين ، فقال رسول الله : إن من الشعر حكمة وأن من البيان سحراً .

[ المفضليات تحقيق شاكر وهارون : ١٣٥٠ ]

(١) الديوان : ٥٦ (٢) نفسه : ٢١ - ٢٢

(٣) النوى : التحول من دار إلى دار .



وعمر بن الأَهم ، يطلب الفنى ، لكنه يحب وطنه . فتصطرع نفسه بين الحنين  
وحب الوطن ، وبين هجرته عنه بحثاً عن هدفه . فهو كريم ، ويؤمن بأن البلاد  
لا تضيق بأهلها ، ولكن أهل البلاد تضيق أخلاقهم ، فتضيق عليهم الدنيا . قال (١) :

ذرينى فإنَّ البخلَ يا أمَّ هيثمٍ      لصالحِ أخلاقِ الرجالِ مروقُ  
لمُركٍ ما ضاقتْ بلادُ أهلِها      ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

ويكون هلال بن الأسعر بأرض اليمن ويقول : أن ناقتي تحن ، وهو أيضاً يحن ،  
وأن الدهر قد فرق بينهما وبين وطنهما وأهلِيهما ، فسقيا لتلك الصحراء ، ولمازن  
حيث حلت ، ولأيامها الغراء . قال (٢) :

أقولُ وقد جاوزتُ نسيَّ وناقتي      تمحُّنُ إلى جَنبي فَلَاجٍ مع الفجرِ  
سقى الله يا ناقيَ البلادِ النى بها      هو الكِ، وإن عانا نأتُ سَبيلَ القطرِ (٣)

فما عن قلى منها خفتِ النوى      بنا عن مراعيها وكشبانها المفرِ  
ولكنَّ صرفَ الدهرِ فرقَ بيننا      وبين الأَداني ، والغنى غرضُ الدهرِ

فسقياً لصحراء الإغالة مربحاً      والوفى من منزلٍ دمتُ مُثري (٤)  
وسقياً ورعيًا حيثُ كنتُ لمازنِ      وأيامها الغرُّ المحجَّلةِ الزهرِ

ويدعو الخمسة القشيري ، أن يسقى الله الحمى وأن يسأل الحمى عنه كيف حاله  
في غربته . قال (٥) :

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦٣٤/٢ .

(٢) الأغاني لابن فرج الاصبهاني : ٦١/٣ - ٦٢ .

(٣) السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .

(٤) الإغالة : موضع . ودمت : سهل لين . ومثري : كثير الثرى نخصب .

(٥) الأغاني : ٥/٦ .

أَلَا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ الْحِمَى      بَلَى فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى وَالْمَطَالِيَا<sup>(١)</sup>  
وَأَسْأَلُ مَنْ لَا فَيْبَ لَهُ مِنْ طَيْرِ الْحِمَى      فَوَلَّ يَسْأَلُنْ عَنْ الْحِمَى كَيْفَ حَالِهَا

ويتعزى الصفة القشيري بصبره ، رغم أن فزاده يهفوه به ريش الطائر إلى أهله

وحماه . قال (٢) :

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجْدُكَ لَا تَرَى      بِشَامَ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ  
كُنَّ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى      وَأَهْلَ الْحِمَى يَهْفُو بِهِ رِيشُ طَائِرِ

ويذكر أيام الحمى ، ثم يثنى على كبده ، مخافة أن تصدع ، لأن أيام الحمى ليست راجعة عليه ، لذا فإنه لا يجد مناصاً من البكاء . قال (٣) :

وَإِذَا كُرُّ أَيَّامِ الْحِمَى ثُمَّ انْتَهَى      عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَمْدَدَا  
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ      عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنُكَ تَدْمَعَا

ويقول وضاح اليمن ، وهو في الشام ، مشتاقاً إلى دياره : أن نفسه أبت أن تطيب بديار الشام ، لأنها تذكرت المنازل والاحبة ، الذين سبوا قلبه ، فارتحل معهم ، ودعاهم ، فلم يلبوا دعوته . فإيأيت الرياح كانت رسولا إليهم ، تعود برجع سؤاله وتحياته ، فيأ أيها الروض لقد عذبت قلبي حتى عاد مكتئباً ، ورفقتك بعد أن كان جلدأ ، وأبديت المشيب في مفارقي ، بعد أن كنت شاباً . قال (٤) .

أَبَتْ بِالشَّامِ نَفْسِي أَنْ تَطْيِبَا      تَذَكَّرْتُ الْمَنَازِلَ وَالْحَبِيبَا  
تَذَكَّرْتُ الْمَنَازِلَ مِنْ شَمُوبِ<sup>(٥)</sup>      وَحَيًّا أَصْبَحُوا قَطَعُوا شَمُوبَا<sup>(٥)</sup>

(١) المطالي : جمع مطال . وهو مسيل ضيق من الأرض ، أو هو أرض

سهلة لينة .

(٢) الأشعري : ٦/٦ . (٣) نفسه : ٧/٦ . (٤) نفسه : ٢٠٤/٦ .

(٥) شُوب : موضع قريب من حماه .



مَسَّبُوا قَلْبِي فَحَلَّ بِحَيْثُ حَلُّوا      وَيُعْظِمُ إِنَّ دَعْوَا أَلَا يُجِيبَا  
أَلَا لَيْتَ الرِّيحَ لَنَا رَسُولٌ      إِلَيْكُمْ إِنْ شَمَالًا أَوْ جَنُوبًا  
فَتَأْتِيَكُمْ بِمَا قَلْنَا سَرِيحًا      وَيَبْلُغُنَا الَّذِي قَلَّمْ قَرِيبًا  
أَلَا يَا رَوْضَ قَدْ عَذَّبْتَ قَلْبِي      فَأَصْبَحَ مِنْ تَذَكُّرِكُمْ كَثِيبًا  
وَرَفَقَتِي هَوَاكِ وَكُنْتُ جَلْدًا      وَأَبْدَى فِي مَفَارِقِ الْمَشِيبَا

ويهرب أبو عدي إلى اليمن ، فيعتاد قلبه عائد الأطراب ، ويتذكر عهد المعالم والأحباب ، وهيئات من معالمه وأحبابه ، لأنه حل بدار ، ليس له فيها إخوان ولا أصحاب ، إذ بعدت به الدار . قال (١) :

هُيَّجْتَ لِلْأَجْزَاعِ حَوْلَ عَرَابٍ      وَاعْتَادَ قَلْبِكَ عَائِدُ الْأَطْرَابِ (١)  
وَذَكَّرْتَ عَهْدَ مَعَالِمٍ بِلَوَى الثَّرَى      هَيْمَاتُ تِلْكَ مَعَالِمِ الْأَحْبَابِ  
هَيْمَاتُ تِلْكَ مَعَالِمٍ مِنْ ذَاهِبٍ      الْمَسَى بِحَوْضِي أَوْ بِحَقْلِ قِيَابِ (٢)

قَدْ حَلَّ بَيْنَ أُبَارِقٍ مَا إِنْ لَهُ      فِيهَا مِنْ أَخْوَانٍ وَلَا أَصْحَابِ  
شَطَطَتْ نَوَادٍ عَنِ الْأَلَيْفِ وَسَاقَتْ      لِقُرَى يَمَانِيَةٍ حَمَامٍ كِتَابِ (٣)  
وقوم أبو زيد (٥) قد شحطوا ، فمن يبلغهم أن النقاد هم متعلق . قال (٦) :

(١) الأغانى : ٢٨٢/١١ . (٢) عراب : اسم جبل .

(٣) حوضي وحقل قياب : موضع .

(٤) شططت بعدت . والنوى هنا : الوجه الذي تقصده أبلد غير البلد الذي أنت فيه . وحمام قياب : قدره وقضاؤه .

(٥) توفي بعد عام ، هـ بقليل قريباً .

(٦) شعر أبي زيد الطائي : ١٠٨ .

مَنْ مَبْلَغُ فَوْمِ الذَّائِنِ إِذْ شَعَطُوا      أَنْ الْفَوَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقُ وَلِيعُ  
فَالِدَارُ مُتَبَيِّهِمْ عَنِّي فَإِنْ لَمْ      وَدَى وَنَصْرِي إِذَا أَعْدَاؤُنِي نَسُوا<sup>(١)</sup>

وأبو كبير الخذل ، يطلب من صاحبه ، أن يقف وقفة بدار الحى ، تلك الديار  
المقفرة ، ويتمنى لها السنى ، ويتمنى أن يكون بها ، وأن يسود العيش الرغد فيها ، مع  
أهله وأحبائه ، وبين بحبات دياره . قال (٢) :

يَا صَاحِبَ قِفْ بِدِيَارِ الْحَى مُقْفَرَةً      مِنْ الْأَحْبَةِ وَأَحْبِسْ أَيْمَقًا قُودَا  
مَتَى الْإِلَهُ وَإِنْ بَانُوا وَقَلَّ لَهُمْ      مَبْنَى الْخِيَامِ ، وَتِلْكَ الْأَجِيلُ السُّودَا  
مَنَازِلًا كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَكُونَ بِهَا

كما مضى لَيْتَ كَانَ الْعَيْشُ مُرْدُودَا

وجميل بن مضر (٣) علم الشعراء العذريين ، وقد وقف شعره على التغزل بحبيبه  
بثينة . وبالنسبة إلى فؤاد شعره كان وقفاً على ذكر ياتهما ، وهذا يتبع ذكر الأطلال  
والديار . لأنه — كما سبق أن ذكرنا — يعود إلى الحياة العربية البدوية ،  
وطبيعتها ، التي من مستلزماتها ، الرحلة والانتقال من مكان إلى آخر ، فيقف الشاعر  
على المنازل ، ويتمنى عودة أيامه ، ويبيكى إذ يأخذ الحنين إليها بهذه المنازل وتلك  
الديار : ويكاد شعر جميل لا يخرج عن هذه السائرة إلا قليلاً ، فهو نارة يقف على  
المنازل فتتهيج أطرافه ، وتستعجم آياتها بجوابه ، لأنها فقراء ، تلوح كسطور الكتاب  
أو كالوشم ، لذلك فهو يبكى ويذكر أيام بثينة التي ذهبت ، كما يذكر أيام شبابه ،  
ويذكر الذكريات المحلوة في تضاعفها . قال (٤) :

( ١ ) نصع الرجل : أظهر عداوته وبينها ، وقبل أظهر عما في نفسه .

( ٢ ) المنازل والديار لأسامة بن مثنى : ٧٣ .

( ٣ ) توفي عام ٨٢ هـ تقريباً .

( ٤ ) درر ابن جميل : ٣١ — ٢٢ .



أَنْ الْمَنَازِلَ هَيَّجَتْ أَطْرَابِي وَاسْتَجَمَتْ آيَانُهَا بِجَوَابِي <sup>(١)</sup>  
 قَفَرٌ تَلَحُّ بِذِي اللَّجَيْنِ كَأَنَّهَا أَنْضَاءُ وَشَمُّ أَوْسَطُورُ كِتَابِي <sup>(٢)</sup>  
 أَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَادَرَتْ مِنِّي الدُّرُوعُ لِفُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ  
 وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بَشِينَةُ شَانِي

إِذْ فَاتَنِي ، وَذَكَرْتُ شَرِخَ شَبَابِي <sup>(٣)</sup>  
 وَتَارَةً أُخْرَى ، يَتَسَامَلُ جَمِيلٌ عَنْ أَيَّامِهِ الَّتِي ذَهَبَتْ مَعَ بَشِينَةٍ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ تَسْقَى  
 دَائِمًا وَأَبَدًا كَيْ تَظُلَّ بِهَا مَعَانِي الْحَيَاةِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الدَّارَ : وَإِنْ بَلَتْ وَضَاعَتْ مَعَالِمَهَا ،  
 وَرَفَعَتْ شُيَاطِمَهَا ، فَإِنَّهَا لَتُثِيرُ مِنْهُ ذَكَرِيَّاتِهِ ؛ حِينَ كَانَ الشَّمْلُ يَجْتَمِعُ . قَالَ <sup>(٤)</sup> :

أَعَانِدَةُ يَا بَشِينَ أَيَّامُنَا الْإِلَى بِذِي الظَّلَمِ أُمُّ لَا لَهْنَ وَجُوعٍ <sup>(٥)</sup>  
 مَسْتَمِي مَنَزَلِينَا يَا بَشِينَ بِحَاجِرٍ عَلَى الْبَحْرِ مَنَا صَيْفَةٍ وَرَبِيعٍ <sup>(٦)</sup>  
 وَدَوْرَكَ يَا بِلِي وَأَنْ كُنَّ بَعْدَنَا بِلِينَ بِلَى لَمْ تَبْلُغْنِي رُبُوعٍ  
 وَخِيَمَاتِكَ الْإِلَى بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ لِقُرَيْبًا بِالْمَشْرِقَيْنِ سَجِيعٍ <sup>(٧)</sup>  
 وَهُوَ تَارَةً أُخْرَى ، يَتَمَنَّى أَنْ يَبْنِيَ بِوَادِي الْقُرَى أَنَّهُ كَانَتْ مَنَازِلًا لِبَشِينَةٍ ، وَهُوَ  
 فِي تَمَنِيهِ لَوْ تَحَقَّقَ لِسَعِيدِ غَايَةِ السَّعَادَةِ . قَالَ <sup>(٨)</sup> :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أُبَدِّنُ لَيْلَةً بِوَادِي الْقُرَى أَنَّنِي إِذْنُ لِسَعِيدٍ

- (١) الْأَطْرَابُ : جَمْعُ طَرَبٍ ، وَهُوَ الشُّرُوقُ ، وَالْآيَاتُ : الْمَلَامَاتُ .  
 (٢) ذُو اللَّجَيْنِ : مَوْضِعٌ . وَأَنْضَاءُ : جَمْعُ نَضْوٍ ، وَأَعْلَاهُ الْبَعِيرُ الْمَرْزُولُ ، وَأُطْلَقَ  
 هُنَا عَلَى مَا تَبَقِيَ مِنَ الرَّشْمِ لِقُلَّةِ رِاحَتِهِ .  
 (٣) شَرِخُ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ وَنَضَارَتُهُ وَقُوَّتُهُ .  
 (٤) الْدِيْرَانُ : ١٢٠ - ١٢١ .  
 (٥) ذُو الظَّلَمِ : مَوْضِعٌ .  
 (٦) حَاجِرٌ : مَوْضِعٌ . وَالصَّيْفُ : مَطَرُ الصَّيْفِ . وَالرَّبِيعُ : مَطَرُ الرَّبِيعِ .  
 (٧) السَّجِيعُ : الْحَدِيدُ وَصَوْتُ الْحَمَامِ . (٨) الْدِيْرَانُ : ٦٥

وهل التَّيْنُ مَعْدَى مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً وَمَا رَثُّهُ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدٌ<sup>(١)</sup>  
وكرة رابته، يقف على الدار، فيتمنى أن يبيت بها، والمسك يفروح عليه من  
أذيال حبيبته<sup>(٢)</sup>.

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْدَتْنِ لَيْلَةً بِأَبْطَاحِ فَيَاحِ بِأَسْفَلِهِ نَخْلٌ  
يَفْرُوحُ عَلَيْنَا الْمَسْكُ مِنْهُ وَإِنَّمَا بِهِ الْمَسْكُ أَنَّ جَرَّتْ بِهِ ذَيْلَهَا جَلٌ  
وتهمجه المنازل والطول التي عنيت، والتي ذكرته بنعيم مع حبيبته بثينة، فوقف  
يسأل الدار، أين حلت بثينة، يسأل الدار، وكأنه ينتظر منها جواباً، وكأنها  
تفهم ما يقول<sup>(٣)</sup>.

أَهَاجَتِكَ الْمَنَازِلُ وَالطَّلُولُ عَقَوْنَ وَخَفَّ مِنْهُنَّ الْجَوْلُ  
نعم، وذكرت دنيا قد تقصصت وأى نعيم دنيا لا يزول  
أَسْأَلُ دَارَ بَثْنَةٍ : أَيْنَ حَلَّتْ؟ كَأَنَّ الدَّارَ تَفْهَمُ مَا أَتَرُلُ

أنها سنة الحياة، في عدم ثبات أى نعيم على حاله، بل كل نعيم في هذه الحياة،  
إلى زوال.

وعند القطامي<sup>(٤)</sup>، شعر صادق العاطفة، حين يشتعل الحنين في ألفاظه، وفي  
صوره وذلك حين يفرغ إلى نفسه، ويستجلى عواطفه، ويرسمها بصورة جميلة،  
وبألفاظ آسرة، تأسرك كما يأسر الحب الصادق صاحبه. ربح شاعرنا إلى منازل،  
وهو بعيد عنها كلما رأى طائراً في أيكة يترنم، يبكي من البين، وهو الصبور  
على تحمل الشدائد، وعلى طمن القنا إلا أن الحنين والشرق قد غلبه. قال<sup>(٥)</sup>:

- (١) كثرة الاختلاف في هذا البيت .  
(٢) نفسه : ١٦٤ .  
(٣) ديوان القطامي : ٢٠٦ .  
(٤) الديوان : ١٥٦ .  
(٥) توفي عام ١٠١ هـ تقريباً .



إِحنٌ إلى تلك المنازلِ كلِّها      غدا طائرٌ في أيكِ يترنم  
بكيتُ من البينِ المشتِ واني      صبورٌ على طمَنِ القنارِ علمتم

ويقف الشاعر على الطلل يحبه ، وإن كان بالياً ، ويعتدى إلى الدمن بعد لاي ،  
حين يجد السيول قد تسجعت أنباتها به ، فأشبه ظاهرها كالخلل الموشى ، بعد أن  
كانت منازلها يحل فيها ، حتى غدر الدهر الخائن الخبل . فعاد الجديد قديماً ، ليست  
فيه بشاشة . قال (١) :

أنا مَحْيُوكٌ فاسلم أيتها الطللُ      وأن بليت وأن طالت بك الطَّيْلُ<sup>(٢)</sup>  
أني اهتديت لتسلم على دمن      بالعمر غيرهن الأعصر الأول<sup>(٣)</sup>  
صافت تميم أعناق السيول به      من بكر سبط أوراخ يبل<sup>(٤)</sup>  
فهن كالخلل الموشى ظاهرها      أو كالكتاب الذي قد مسه بلل<sup>(٥)</sup>  
كانت منازلها قد نزل بها      حتى تنير دهر خان خبل<sup>(٦)</sup>  
ليس الجديد به تبقى بشاشة      إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل

ومن كل هذا ، يستخلص الشاعر ، الحكمة الخالدة في قوله (٦) :

والعيش لا عيش إلا ما تقر به      عين ولا حال إلا سوف تنتقل

ونلج شكايه الشاعر من بعده عن وطنه ، حين يتساءل ، هل سيرى الربوتين ،

(١) ديوان النطاشي : ١٨٩ . (٢) طيلك : عمرك ، ويقال : غيبتك .

(٣) القصر : موضع .

(٤) صاف : عدل . وتممج : قلوى ، وأراد بالسيف : المثل الرابع الكثير .

وابل : أعني فساداً وخبثاً .

(٥) الخبل : الجنون .

(٦) الديوان : ١٧٨ .

وحاجراً ، وسكانهما ، وهل سيجمع بأحبابه على أرض الشربة واللوى ، وهل سيرتفع  
في أكناف تلك المربع ، فابتهاً إلى نسجات البان ، أن مخير عبلة عن الموضع الذي  
يحياه هو . قال (١) :

أيا علم السعدى هل أنا راجعٌ وانظر في قطريك زهر الأراجع

وتبصر عيني الربوتين وحاجراً ومكان ذاك الجزع بين المراتع

وتجمعنا أرض الشربة واللوى ونرتع في أكناف تلك المربع

فيا نسجات البان بالله خبري عبيلة عن رحلى بأي الموضع

وعبد الله ابن الدميثة (٢) ، شاعر سلس الأسلوب ، جيد المبالغة ، لذلك خلط  
شعره الرقيق بشعر غيّر من شعراء هذا الباب ، كالجنون وقصيدته (٣) .

ألا يا صبا نجد متى هيجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجدى

ألا يا صبا نجد متى هيجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجدى  
فقد نسبت له ، كما نسبت البيهقون .

يعترب شاعرنا عن وطنه ، ويخاطب الحمامات في غربته ، ويدعوهم إلى الهدى  
لأنه يريد أن يسمع أصواتهن . قلما استجيب له ، كاد يموت ، وكاد يفصح أسراراً .  
لأن حاله من حالن ، فهو معترب وبعيد عن أهله ووطنه ، وعن كن نصبة ، إلى  
أن قالن يد الفراق . وهو يستغرب منهن إذ يهكين بدون دموع ! قال (٤) :

ألا يا حمامات اللوى فعدن عودة فإني إلى أصراتكن حزين (٥)

فعدن فلما عدن كدت كدتني وكدت بأسراري لمن أئين

(١) الديوان : ١٥٨ (٢) توفي عام : ١٤٢ هـ تقريباً .

(٣) تنظر في حديثنا عن الجنون .

(٤) ديوان عبد الله بن الدميثة : ٣٩ — ٤٠ .

(٥) اللوى : خندق الرمل ، وهو طرفه حين ينشأ .



وعسدى بقرقار الهدير كأنما شربن حُمَيًّا أو بهن جنون  
ولم ترعيني قبائُن حائما بكين ولم تدمع طُن عيون  
فكُن حماماتٍ جيمًا بنعمة فأصبحن شتى ما لهن قرين  
فأصبحن ند فرقن غير حمامة لها عند عهد بالحمام ونين

ونجد أشهر بلاد العرب ، وألطفها جواً ، وأكثرها إقامة لهم . فليس بدعا أن  
تكون معدن الشعر ، وأكثره ترديداً على السنة شعرائها في ذكرها ، من مدح  
لجوائها ، ووصف لرياضها ، وثناء على العيش فيها ، وشرق إليها ، وحنين إليها  
وقد حلت الشعراء لنا قصائد رائعة ، في الشوق والحنين إليها ، تعرض لجمهرة منها  
بالدرس والتحليل :

هذا ابن مقبل ، يأمر أصحابه أن يتأملوا ضوء البرق اليماني ، وقد ساقته ريح  
فجد إلى تهامة . وأما أمره أصحابه بالتأمل ، إلا تعبيراً عن شوقه وحنينه إلى  
دياره . قال (١) :

تأمل خيلي هل ترى ضوء بارقي يمان مَرَنُهُ ربيعٌ نجدٍ ففتراً<sup>(٢)</sup>  
مَرَنُهُ الصَّبَا بالْمَوْرِ ، غَوْر تهامة فلما وَاتَّ عَنْهُ بِشَعْفَيْنِ أَمْطَرَا<sup>(٣)</sup>  
يمانِيَّةُ تُمرى الرِّبَابَ كأنه رثالٌ نعامٍ بيضُهُ قد تَكَثَّرَا<sup>(٤)</sup>

وحيد بن ثور الحلالى (٥) يطلب من صاحبيه أن يعلا ، وأن ينظرا إلى البرق .

(١) ديوان ابن مقبل ١٢٩ - ١٣٠

(٢) بارقي : سحاب ذو برق . ومَرَنُهُ الريح : السحاب : استمره أنزلت منه

المطر . وفتراً : تحير لا يسير وتهايا للمطر .

(٣) الغور : المنخفض من الأرض . وشعفان : أكتنان .

(٤) الرِّبَاب : السحاب الذى ركب بعضه بعضاً وتدلّى . والرثال : جمع رأل ،

وهو الحولى من ذكر النعام . (٥) توفي عام ٤٠٠ هـ تقريباً .

لأن الشاعر مشتك بما أصابه ، لأنه يحن إلى حبيبته ووطنه ، ويطلب من صاحبه  
ألا يفشي سره ، وألا يذيعا حديثه المسكّن اليهما . لأن من يحمل الأمانة ، سينجمل  
إثماً من الله . لذا فعليهما إضافة لذلك ، أن يتخذوا له إلى ليلي العامرية سبيلاً قال (١) :

خَلِيلِي هُبَّا عَلَانِي وَانْظُرَا إِلَى الْبَرْقِ إِذْ يَفْرِي سَنَا وَتَبَسُّمَا<sup>(٢)</sup>

عُرُوضًا تَعَدَّتْ مِنْ تَهَامَةٍ أَهْدِيَتْ لِنَجْدٍ فَسَاحَ الْبَرْقُ نَجْدًا وَأَتَاهُمَا<sup>(٣)</sup>

كَأَنَّ رِيحًا أَطْلَعَتْهُ مَرِيضَةً مِنَ الْغُورِ يُسْمِرُنَ الْأَبَاءَ الْمُضَرَّ مَا<sup>(٤)</sup>

كَتَفَضِ عَتَاقِ الْخَلِيلِ حِينَ تَوَجَّهَتْ

الْيَهْنَ أَبْصَارُ وَأَيْقُظَنَّ نَوْمًا<sup>(٥)</sup>

خَلِيلِي أَنِّي مُشْتَكٍ مَا أَصَابَنِي لَتَسْتَبَيِّقُنَا مَا قَدْ لَقِيتُ وَتَمَلَّنَا

أَمَلِيكُمَا أَنَّ الْأَمَانَةَ مِنْ يَخُنُّ بِهَا يَحْتَمِلُ يَوْمًا مِنَ اللَّهِ مَا نَمَا

فَلَا تُفْشِيَا سِرِّي وَلَا تَخْذُلَا أَخَا أَبَشَكَمَا مِنْهُ الْحَدِيثَ الْمُكَلَّمَا

لَتَتَّخِذَا لِي بَارِكَ اللَّهِ فِيكُمَا إِلَى آلِ لَيْلِي الْعَامِرِيَّةِ مَلَمَّا

ويقف ساجد ، على أطلال حبيبته ، في واد من وديان الجزيرة العربية ، فيحبيه  
لأنه ديار حبيبته أيام كان يلتقيان فيه . وينمى أن يلتقي بها اليوم ، وإن كانت الديار  
قد خلت من سكانها . ثم يحاول أن يتأسى وينسى ، فيصب اهتمامه على سنا البرق ،

(١) ديوان حميد : ٢٧ - ٢٨ .

(٢) يفرى : من فرى البرق ، يفرى فرياً ، وهو كذا . ودر بعد في الساء .

(٣) عروضا : سحائب ، وأحدها عرض . تعدت : أقبلت . فساح : انتشر .

(٤) الغور : غور تهامة . يسمرن : يوقدن . الأباء ( بالفتح ) جمع أباءة ،  
وهي الفصبة أو هي أجنة الخفاء . والمضرم : الذي أضرم بالنار .

(٥) كذا . ولعله : ( كركض عتاق الخيل ) . وعتاق الخيل : كرامها .



الذي ينير (هضب متالع) ، وبأليت هذا الهضب كان دانيا<sup>(١)</sup> :  
 ألا أبا المرام<sup>(٢)</sup> إنا نرى الحسناء حُبَيْتَ واديا  
 فياليتني والعامرية<sup>(٣)</sup> تلتقي نرود لأهلينا لرباض الخوالي<sup>(٤)</sup>  
 فدع ذا، ولكن هل ترى ضوء بارق يضيء حبيباً مُنْجِداً متعالياً<sup>(٥)</sup>

يضيء مناء الهضب هضب متالع

وحُبٌّ بذاك الهضب لو كان دانيا<sup>(٦)</sup>

وهذا أحد المهاجر الفاتحين<sup>(٧)</sup> ، يذكر وطنه — نجد — الذي طال ما كره  
 نحوه طريقه برغمه ، وإن لم يدركه . يكره طريقه حينئذ إليه إلى ذلك التراب الذي  
 إذا أمطر صار مسكاً وعذيراً ، وكيف لا يحن إلى نجد ، وكأنه لا يقدر أن فيه  
 وأفاحيه (وشى برد بحبر) . ! يحن إلى الحجاز ، وطاعة أيام يتجدد — على حد  
 تعبيره — ولا يستطيع أن يراه . إنه التصور الدقيق لدى الإنسان ، ينظر فلا يبلغ  
 طريقه إلا أطراف الأفق ، فأين نجد منه ، وما نفع نظره نحوه ؟ ! وفي كل يوم له  
 نظره ثم عبثاً ، يتحدّر ماؤها ، وأخيراً سرخ متسائلاً : من يترجى القلب ، ومتى  
 يستطيع أن يرى نجده ، بل — وأدنى من ذلك — هل له من نازح يتذكر ؟ وهل  
 من مارة قرب نجد يحمله تحياته ؟ إنها العاطفة الصادقة المشبوبة ، لأحد المجاهدين

(١) ديوان سحيم ٢١ — ٢٢ .

(٢) الرائد : الذي يتقدم القوم ليتخير لهم المنزل .

(٣) حبيباً : أى عالياً على وجه الأرض . ومنجداً : من ناحية نجد .

(٤) الهضبة : الأكمة المساء القليلة النبات .

(٥) هناك قسم من الشعراء لم تنهد إلى أسماهم — على الرغم من الجهد الكبير

الذي بذلناه في هذا المجال — كهذا الشاعر وغيره سيذكرهم . ولهم أشعار جميلة

تتصل بموضوعنا ، ونظن أن السبب في ذلك يعود إلى أن هؤلاء الشعراء من المغمورين

الذين ليس لهم الشعر الكثير ، أو أنهم من الجند الفاتحين الذين أنطقتهم الغربة ، وألم

الحنين إلى الوطن . . .

الخارجين في سبيل الفتح المبين ، وقد نذر نفسه في سبيل الله ودينه الحنيف ، ولكن  
 محب الوطن ، يسر له أن يتركها ، وأحد : الجهاد والوطن ، يرتبطان  
 برباط وثيق ١ . قال (١) :

أَكْرُرُ طَرَفِي نَحْوَ نَجْدٍ وَأُنِّي إِلَيْهِ، وَأَنْ لَمْ يُدْرِكِ الطَّرْفُ، أَنْظَرُ  
 حَنِينًا إِلَى أَرْضٍ كَانَ تَرَاهَا إِذَا أَمْطَرَتْ عَرْدًا وَمَسَكًا وَعَنْبَرًا  
 بِلَادُهُ كَانَ الْأَفْحَوَانُ بِرَوْضَةٍ وَنُورَ الْأَقَاحِي وَشَيْءٌ بِرَوْضَةٍ مَبْنِيٍّ  
 أَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ  
 مَا تَشْرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعٍ أَجَلٌ - لَا - رَأَيْتُكَ إِلَى ذَلِكَ أَنْظَرُ  
 أَفَى كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةٌ ثُمَّ عِبْرَةٌ لَعِينِكَ مَجْرَى مَائِهَا يَحْتَدِرُ

مَتَى يَسْتَرْجِعُ الْقَلْبُ إِمَّا مُجَاوِرًا بِمَحُورٍ وَإِمَّا نَازِحًا يَتَذَكَّرُ  
 وَيَكِي شَاعِرٌ آخِرٌ عَلَى نَجْدٍ ، وَمَا يَذْكُرُ دَمْعُهُ ، أَنَّهُ لَنْ يَرَى نَجْدًا ، وَلَا رِيًّا ،  
 وَلَنْ يَرَى ( أَتْفَارَ وَجْهَةٍ ) ، وَلَنْ يَسْمَعَ لَهُ الزَّمَانُ بَوَاطِيءَ ثَرَاهِنِ الْجَعْدِ ، وَأَنَّهُ لَنْ  
 يَجِدَ رِيحَ الْحَزَامِيِّ ، حِينَ تَسُوقُهَا الصَّبَا . فَيَا لِلْعَاسَاةِ ، حِينَ يَقْبَلُ مِنْ رِيَا وَجَارَاتِ  
 يَدَيْهَا ، بِهَذِهِ الْغُرَى الَّتِي وَصَلَتْ الْفُتُوحُ إِلَيْهَا . وَمَاذَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ ، وَالْمُسَاهِمَةُ  
 فِي الْفُتُوحِ فَرَضُ لَازِمٍ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ يَتَجَهَّزَ إِلَى الْبَرَقِ الَّذِي يَجْلُو دَجَى الظُّلُمَاتِ ، وَالَّذِي  
 ذَكَرَهُ بَنَجْدٌ ، يَخَاطَبُهُ وَكَأَنَّهُ يَسْمَعُ خُطَابَهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : إِنَّ اللَّيْلَ بَنَجْدٍ يَقْصُرُ طَوْلُهُ ،  
 وَأَنَّ الرِّيحَ بِبَارِدَةٍ . إِنَّهُ اتِّجَاهُ الشَّاعِرِ إِلَى الطَّبِيعَةِ ، يَبْشَاهُ هَيْهَ ، وَيَحْكِي لَهَا شِكَايَهُ .  
 قال (٢) :

أَتَبْكِي عَلَى نَجْدٍ وَرِيًّا وَلَنْ تَرَى بَعِيدِيكَ رِيًّا مَا حَيَّتْ وَلَا نَجْدًا  
 وَلَا مُشْرِفًا مَا عَشْتِ أَتْفَارَ وَجْهَةٍ وَلَا وَاطئًا مَنْ تَرَبَّيْتُ ثَرِيًّا جَعْدًا

( ١ ) معجم البلدان : ٢٦٢/٥ - ٢٦٣ .

( ٢ ) شعر الفتوح الإسلامية للنعمان عبد المتعال القاضى : ٢٥٤ - ٢٥٥ .



ولا واجداً ريح الخزامى تسوقها      رياح الصبا تهلوك كادك أو رداً

تبدلت من ربا وجارات يديها      قري أبطال يسعينى مرداً<sup>(١)</sup>

ألا أيها البرق الذى بات يرتقى      ويجلودجى الظلماء ذكرتنى نجداً

ألم تر أن الليل يقصر طوله      بنجد وترداد الرياح به برداً

وربحن بجماد آخر إلى نجد ، وإلى من يحل بنجد ، بسبب عدم انسجامه مع الجند ،  
لأنه لم يند مثل هذه الحياة . قال (٢) :

تبدلت من نجد وممن يحل      محلة نجد ما الأعراب والجند ؟

وأصبحت في أرض البند وقد أرى

زماناً بأرض لا يقال له بند<sup>(٣)</sup> ؟

وَأَدْخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَشْرَةَ مِنَ الْجَوَارِحِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ  
وَكَانَ يَوْمَ غَيْمٍ وَمَطَرٍ وَرَعْدٍ وَبُرْقٍ فَضْرِبَتْ رِقَابَ تِسْعَةٍ مِنْهُمْ ، وَقَدِمَ الْعَاشِرُ لِيُضْرَبَ  
عُنُقُهُ ، فَبَرَقَتْ بَرَقَةٌ فَأَلْشَأَ يَقُولُ :

تَأْتِي الْبُرْقُ نَجْدِيَا فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَيُّهَا الْبُرْقُ أَتَى عَنْكَ مَشْغُولٌ

بَذَاةِ الْعَقْلِ حَيْرَانٌ بِمَتَكْفٍ فِي كَفِّهِ كَحِجَابِ الْمَاءِ مَسْلُولٌ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا أَحْبَبَكَ إِلَّا وَقَدْ حَتَمْتَ إِلَى وَطَنِكَ وَأَهْلِكَ ، وَقَدْ كُنْتَ  
شَاقِئاً ؟ . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَوْ سَبَقَ شَعْرُكَ قَتْلَ أَصْحَابِكَ لَوْ هَبْنَا هَمَّكَ ،  
حَاسُوا سَبِيلَهُ . نَحْلُوهُ (٤) ؟

( ١ ) مرد : بالفارسية رجل .

( ٢ ) شعر الفتوح الإسلامية : ٢٥٥ .

( ٣ ) البند أرض الروم كالجند بأرض الشام والكويت بالعراق .

( ٤ ) معجم البلدان : ٢٦٤/٥ .

ومن هذا الحنين الطاغى ، القوي ، اللاهب المشاعر ، أبيات لابي زياد الطائي ،  
الذى لم ينس داره ولا قومه ، ولا تلك البلاد التى ربه ورعته ، وبها نبطت تمامه ،  
وتضى فيها عصر الصبا ، بين قومه وأحبابه ، والى هجرها مكرها . قال (١) :

أحقاً عباد الله أن لست ناسياً      بلادى ولا قومى ولا ما كنا نجدا

ولا ناظراً نحو الحمى اليوم نظرةً      أسأى بها قلبى ولا شياً تأمدا

بلادُ بها نبطت على تماثى      وكان بها عصرُ الصُّبا نضر أرغدا<sup>(٢)</sup>

بلادُ بها قومى وأرضُ أحبها      وإن لم أجدمن طول هجرتها بدا

ويتميز شعر المجنون (٣) ، بالركة والسلاسة والنعومة . لذا يأسرنا شعره بمحاطفته  
الأنثى ، وحبه الصادق ، وحنانه<sup>(٤)</sup> . دياره وديار أحبابه ، وتنتج بالكرينات  
الجميلة منها والحزينة .

أرى يجب نجدا ، وأنه موشك على مفارقتها ، سيفارقها غداً ، لذا عليه أن يتمتع  
بمن ذرى هضباتها . يقول (٥) :

تسع من ذرى هضباتِ نجدٍ      فإنك موشكٌ أن لا تراها

أودعها الغداة فكل نفسٍ      مفارقةً إذا بلغت مداها

وتارة أخرى ، يتغنى بنجد وطيب ترابها وأرواحها . ثم يتساءل ، هل تغيرت  
نجد بعدة وهل ظلت جارتاه على عهد ، بها ، أم خانتاه ؟ وهل الريح مستمرة في  
جرها بريح الخزامى وهبوبها إلى نجد ، أم تركت تلك العادة الحلوة ؟ قال (٥) :

(١) المنازل والديار : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) نبطت : علفت . والتمام : واحد ما يعلق في المنق لدفع المين .

(٣) توفي عام ٨٥ هـ تقريباً .

(٤) ديوان مجنون ليلى : ٣٥ .

(٥) الديوان : ١٩ .



أَلَا حَبْدًا نَجْدٌ وَطِيبٌ تَرَابُهَا <sup>(١)</sup> وَأُرْوَا حُهَا إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ  
 أَلَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْ عَوِيرِ صُتَيَّ قَنَى <sup>(٢)</sup> لَطُولِ التَّنَائِي هَلْ تَنْيِّرُ تَابِي بِهَدَى  
 وَعَنْ أَقْحَوَانِ الرَّمْلِ مَا هُوَ فَاعِلٌ <sup>(٣)</sup> إِذَا هُوَ أَمْسَى لَيْلَةً بَثْرَى جَعْدِ  
 وَعَنْ جَارَتَيْنَا بِالْبَيْتِ إِلَى الْحَمَى <sup>(٤)</sup> عَلَى نَعْدِنَا أَمْ لَمْ تَدُومَا عَلَى عَهْدِ  
 وَعَنْ عَلَوِيَّاتِ الرِّيَّاحِ إِذَا جَرَتْ <sup>(٥)</sup> بِرِيحِ الْخُزَامَى هَلْ تَهْبُ إِلَى نَجْدِ

ويحس الجنون إلى الحجاز (١) ، وحاجته شيام بنجد ، ولكن طرفه ، لم يستطع  
 أن يراها ، وهو ينظر إلى نجد ، مع علمه بأن هذه النظرة ليست نافعة ، لأنها لا تريحه  
 نجدا ، ومع ذلك ينظر ، ثم يستعير ، ويجري ماء عينه . ويتساءلون متعجبين من  
 جيرانهم . ولكنه يؤكد لهم ، أن الذي يجري من عينه ، ليس ماءها ، وإنما هو  
 ذوب نفسه وتفتارها (٢) :

أَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي <sup>(١)</sup> خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ  
 وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافَعِي <sup>(٢)</sup> أَجَلٌ لَا وَلَسْكَنِي عَلَى ذَلِكَ أَنْظَرُ  
 أَنِّي كُلُّ يَوْمٍ عِبْرَةٌ ثُمَّ نَظَرْتُ <sup>(٣)</sup> لَعِينِكَ يَجْرِي مَائُهَا يَتَحَدَّرُ  
 مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِذَا مَا جَاوَرُ <sup>(٤)</sup> حَزِينٌ وَإِلَّا نَازِحٌ يَتَذَكَّرُ  
 يَقُولَانِ : كَمْ تَجْرِي مَدَامُ عَيْنِهِ <sup>(٥)</sup> لَهَا الدَّهْرُ دَمْعٌ وَكَفَّ يَتَحَدَّرُ  
 وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَائُهَا <sup>(٦)</sup> وَلَسْكَنَهَا نَفْسٌ تَذُوبٌ وَتَقْطُرُ

(١) أرواحها : جمع ريج . (٢) عوير صتي قنى : جبل في بلاد طيء .  
 (٣) أقحوان الرمل : الأفعوان ، نبات أوراقه مغليجة صغيرة تشبه بها  
 الأسنان . بشرى جعد : تراب ندى . (٤) البئيل : جبل . (٥) الخزامى :  
 نبت طيب الزهر . (٦) هناك تشابه كبير بين هذه القصيدة وقصيدة أحد المهاجرين  
 لأننا نحن التي عرفت لنا قبل قليل — كما هو ملاحظ . (٧) ديران الجنون : ٣١ — ٣٢ .

ومن أرق الشعر وأعذبه ، قصيدته التي ترن على صفحات القلوب ، حين يطلب من صاحبه أن يتمتع بشميم عرار نجد ، إذ الشهور تنقضي ولا يشبع منها ، لجمالها لياليها ونهاراتها ( فأما لياليها فخير ليل ) ونهارها كأطول ما يكون . قال (١) :

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار<sup>(٢)</sup>  
تمتع من شميم عرار نجد فما أبد المشقة من عرار<sup>(٣)</sup>  
ألا يا حبذا نفعات نجد ورأى روضه غيب القطار<sup>(٤)</sup>  
وأهلك إذ يحل الحى نجدًا وأنت على زمانك غير زارى  
شهور تنقضين وما شعرنا بانصاف ليل ولا سرار<sup>(٥)</sup>  
فأما ليلهن فخير ليل وأطول ما يكون من النهار

ويحن المجنون الى نجد ، مع يأسه من الرجوع إليه . ذلك اليأس الذي يدفعه الى الظن ، بأنه لن يرى نجدًا ، حتى تقوم القيامة . قال (٦) :

أحن إلى نجد وإني لآيس<sup>(١)</sup> بطوال الليالي من قول إلى نجد  
وأن يك ليلي ولا نجد فاعترف<sup>(٢)</sup> بهجر إلى يوم القيامة والوعد  
ويحن — أيضاً — الى نجد ، إذا رأى جمال قومه . ويبيكي أن سمع حنين تلك  
الجمال . ويدعو بالسقيا لبلاده ، وإن خلت البلاد ، وبليت بها الاطلال . ثم لا يملك  
غير أن يبعث التحية لتلك البلاد وأهلها . يقول (٧) :

(١) الديوان : ٦٣ .

(٢) العيس : الابل لوها أبيض في سرانته تهوى : تسرح . المنيفة والقطار : مرعىان .

(٣) العرار : النرجس البري .

(٤) القطار : السحاب الكثير المطر .

(٥) سرار : الليالي الاخيرة من الشهر القمري .

(٦) الديوان : ٦٧ . (٧) المصدر السابق : ٦٤ — ٦٥ .



أَحْنُ إِذَا رَأَيْتَ جَمَالَ قَوْمِي وَأَبْكَى إِنْ سَمِعْتُ لَهَا حَنِينًا  
سَقَى النِّبْتُ الْمَجِيدُ بِلَادَ قَوْمِي وَأَنْ أَسِرَ الدِّيَارُ وَأَنْ بَلِينَا  
عَلَى نَجْدٍ وَمَا كُنْ أَرْضِ نَجْدٍ نَحْيَاتُ يَرْحُنُ وَيَقْتَدِينَا

وحين يهب الصبا من نجد ، يثبته مسراة وجد الشاعر ( وجداً على وجد ) وإذا  
ما تغنت الخماة ( في رونق الضحى ) بكى كما يبكي الوليد ، مع أنه مبروف بجلده ،  
لكنه يبدى الذى لم يكن ليبديه ، لأنه قضى كل لبانة من تهامة ، واشتاق قلبه إلى  
نجد ، لأنها ديار حبيبته ، التي إذا وعدت زاد هواها ، وإن ضنت بوعدها ، مات  
على الوعد ، وإن قربت دارها بكى ، وإن بعدت حزن ، فلابى القرب ذواؤه ، ولابى  
البياد . وهو في كل الأحوال ليس له إلا الحنين إلى نجد . فيأليه يستطيع إسرانها ،  
ولكن أنسى له ذلك ، ونجد طيبة التراب ا قال (١) :

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى الْأَبْرِقِ الْفَرْدِ وَعَهْدِي بَلِيلِي حَبْدًا ذَاكَ مِنْ عَهْدِ<sup>(٢)</sup>

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَبْتَ مِنْ نَجْدٍ

فقد زادني مسراك وجداً على وجدى

إِذَا مَتَمْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَتَنِ غَصَّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّوْنَدِ

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ أَزَلْ

جَلِيدًا وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ أَبْدِي<sup>(٣)</sup>

وَأَصْبَحْتُ قَدْ قَضَيْتُ كُلَّ لَبَانَةٍ تِهَامِيَةِ وَاشْتَأَى قَلْبِي إِلَى نَجْدٍ

(١) الديوان : ٧٤ — ٧٥ .

(٢) الأبرق الفرد : موضع .

(٣) كذا في الديوان . وفي رواية أخرى ( ولم أكن وليداً ) .

إذا وعدتُ زاد الهوى لانتظارها

وأن بخلت بالوعدِ مُتٌ علي الوعدِ

وأن قرُبْتُ داراً بكيتُ وأن نأتُ

كأنتُ، فلا للقربِ أسلو ولا للبعدِ<sup>(١)</sup>

أحنُّ إلى نجدٍ فياليتُ أني سُميتُ على سلوانةٍ من هوى نجدٍ

ألا حبذا نجدٌ وطيبٌ ترابُهُ وأرواحُهُ إن كان نجدٌ على العهدِ

أنها العاطفة الصادقة ، والحب والشوق إلى الوطن . وإلى من هم في الوطن ،  
من الذليل والاحباب . جسده لنا اختبر ، في أجلى صورة ، وأجمل منظر ،  
واسهل لفظ وأسلم . وهل هذا إلا منهج المجنون ، وأضرابه من الشعراء العذريين ،  
الذين تيسمهم الحب ، وغلبهم الشوق ، وأحرقتهم نار الفارقة والبعاد عن الوطن  
والاحباب ؟

ويخاطب ابن الدميني أخويه في المدينة . أن يسد إليه جولا ، ليرى نجداً . فلما  
فدلاً ، زادت صباه ، كما زاد بعده عن معارفها . حتى يراه الشوق ، فلم يترك منه نظاماً  
ولا جلاء . قال (٢) :

أيا أخوى بالمدينة أشرفاً

بي الصَّمدِ أنظرُ نظرةً هل أرى نجداً<sup>(٣)</sup>

فما زادني الاشرافُ إلا صباهً ولا ازددتُ إلا عن معارفها بسدا<sup>(٤)</sup>

( ١ ) كذا في الديوان . ولعله ( البعد ) .

( ٢ ) ديوان عبد الله بن الدميني : ١٨٧ — ١٨٨ .

( ٣ ) الصمد : ماء للضباب ( ٤ ) الاشراف : الاطلال من عل .



فَإِنْ بَنَجِدِ مِنْ بَرَانِي حُبَّةً      فَلَمْ يَتْرَكْ مِنْ عِظَامَا وَلَا جِلْدَا  
فَقَالَ الْمَدِينِيَّانِ أَنْتَ مُكَافٍ      بِدَاعِي الْهَوَى لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ رَدًّا

والحجاز من أشهر بلاد العرب ، سكنها كثير منهم ، وتعلموا بها ، وكثر ترديد  
اسمها على السنة شعرائها . وحنوا إليها وقت البعاد عنها .

ففي إحدى قصائد عنتره ، تلمح مقارنة في شعر الشاعر ، بين حياته خارج الحجاز  
وحياته فيه . وهو في تلك المقارنة ، يفضل « نعيم الحجاز » على « الآمال » ، وال«آلى»  
وال«بدر» . كما أنه يفضل رؤية وجه حبيبته ، على ملك كسرى .

ونتيجة لحبه هذا ، وولعه العنيف بالحجاز وأهله ، ونسيجه العليل ، فإنه يتدفع  
إلى اللجوء بالسقي للخيام والمنازل التي تطل البدور منها ، وقد تبرقت بالشعر الأسود  
كما أنه يذكر بنجر ، الأسود اللين يسون تلك البوار ، وكأنه فاك عند ، مدعاة من  
دواعي الفخر والسرور ، تلك الدواعي ، التي نراها سبباً وثيق انصلة بختينه إلى منازل  
وأوطانه . كيف لا ! وهو الفخر من البطل ، الذي يفخر بالبطولة والفروسية : قال (١) :

بَرْدُ نَسِيمِ الْحِجَازِ فِي الشَّعْرِ      إِذَا أَتَانِي بِرَيْحِهِ الْمَطَرِ  
اللَّهُ عِنْدِي مِمَّا حَقَّتْهُ يَدِي      مِنْ الْآلَى وَالْمَالِ وَالْبَدْرِ (٢)

وَمَلِكُ كَسْرَى لَا أَشْتَهِيهِ إِذَا      مَا غَابَ وَجْهُ الْحَبِيبِ عَنْ نَظَرِي  
سَقَى الْخِيَامَ الَّتِي نَصَبْنَاهُ عَلَى      شَرِبَةِ الْأَنْسِ وَابِلِ الْمَطَرِ (٣)  
مَنَازِلُ تَطْلُعُ الْبَدُورُ بِهَا      مَبْرِقَاتِ بَظْلَةِ الشَّعْرِ (٤)

( ١ ) ديوان عنتره : ٨٩ .

( ٢ ) البدر : جمع بدره ، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة  
آلاف دينار .

( ٣ ) الشربة : موضع . ( ٤ ) يريد بالبدور الجوارى .

يبيضُ وسمرُ تجمي مضاربها أسادُ غابِ بالبيضِ والشمرِ  
وفي قصيدة أخرى ، يجد الشاعر أن دواءه من بعماده عن أحبابه وأصحابه في  
الحجاز ، التي تمر على كبده الحرى ، المذاثبة من الوجد . يطالنا عنقرة بهذه القصيدة  
بالمظهر الرجولي اللائق بأمثاله من الفرسان . فهو إذا رشقت سهام البعد قلبه ، وإذا  
تبدلت الأحداث ، فأبعدته عن يحب . فإنه سيصبر وسيلاقى جيش الشوق ، بهمة  
وقوة عزيمة . وهو يجد عزاءه عن هذا البعد عن أحبابه ودياره ، بريح الحجاز ،  
والبرق الذي يحمله ، أرق عواطفه لتبيله بنى عبس . قال (١) .

إذا رشقت قلبي سهام من الصدِّ      وبَدَّلَ قُربى حادثُ الدهرِ بالبُعدِ (٢)  
ليست لها درعاً من السَّيرِ مانعاً

ولا فیتُ جيشَ الشَّوقِ مُنْقَرِداً وحدي

وبتُ بليت منكِ يا دياراً      ساءت لي الدنيا بالحبِّ آسداً

فباللهِ يا ریحَ الحجازِ تنفسي

على كبدِ حرِّى تذوبُ من الوجدِ (٣)

و يا برق ان عرَّضت من بجانبِ الصَّحى

فحىُّ بنى عبسٍ على العَلَمِ السَّعدى

وَأَنْ خَدْتُ نيرانَ عبلةٍ مَوْهِناً

فَكُنْ أَنْتِ فِي أَكْثَافِهَا نِيرُ الْوَقْدِ (٤)

(١) الأديبان : ٦٥ — ٦٦ . (٢) شق : الرمي ، بالنبل وغيره .

(٣) حرى : مؤنث حران ، أى ظامئة .

(٤) الموهن : نحو من منتصف الليل ، أو بعد ساعة منه .



وَنَحْلُ النَّدَى يَنْهَلُ فَوْقَ خِيَامِهَا      يَبْذُرُهَا أَنَّى مَقِيمٌ عَلَى الْعَهْدِ  
 عَدِمْتُ اللَّقَاءَ إِنْ كُنْتُ بِمَدْفَرِاقِهَا      رَقَدْتُ وَمَا مَثَلْتُ صَوْرَتَهَا عِنْدِي  
 وَمَا شَاقَ قَلْبِي فِي الدُّجَى غَيْرُ طَائِرٍ      يَنْوَحُ عَلَى غَصْنٍ رَطِيبٍ مِنَ الرَّندِ<sup>(١)</sup>  
 بِهِ مِثْلُ مَا بِي فَهُوَ يُخْفِي مِنَ الْجَوَى

كَمِثْلِ الذِي أُخْفِي وَيُبْدِي الذِي أَبْدِي

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى كَمْ بِسَيْفِهِ      قَتِيلٌ غَرَامٍ لَا يَوْسَدُ فِي اللَّحْدِ

وَعَنَى عَنِ الْبَيَانِ ، أَنَّ الْحَيْنَ إِلَى الْوَطَنِ وَاضِحٌ فِي آيَاتِهِ هَذِهِ ، وَأَنَّ الشُّوقَ إِلَى  
 الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ فِيهَا جَلِي . كَمَا أَنَّهَا تَحْتَلِفُ اخْتِلَافًا بَيِّنًا عَمَّا اسْتَطَاعَ عَلَيْهِ ، بِأَيَّاتِ  
 الْأَطْلَالِ ، وَلَيْسَ فِيهَا وَقُوفٌ عَلَى طُلُلٍ ، وَلَا بَكَاءٌ وَاسْتَبْكَاءٌ ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ مَطَالَعِ  
 الْأَشْيَاءِ الْخَالَةِ ، أَمَّا إِلَّا ذِكْرُ الْيَسْبِ . وَيَقُولُ<sup>(٢)</sup> :

يَا نَسِيمَ الْحَبِيزِ لَوْلَاكَ تُطْفَأُ      نَارُ قَلْبِي أَذَابَ جِسْمِي اللَّهِيْبُ<sup>(٣)</sup>  
 لَكَ مِنِّي إِذَا تَنَفَّسْتُ حَرٌّ      وَلِرَبِّكَ مِنْ عُبَيْلَةٍ طَيْبٌ<sup>(٤)</sup>

وَيُلِيعُ الْبَرْقَ ، فَيُحْدِثُ سَنَاهَ أَثَرٍ فِي نَفْسِ الشَّمَاخِ بَيْنَ ضَرَارٍ إِذْ يَذْكُرُ الْهَوَى ،  
 بِمِثْلِ الْأَهْلِ ، وَالْوَطَنِ ، فَيَشْتَعِلُ الْحَيْنَ فِي قَلْبِهِ إِلَى الْحَبِيزِ . قَالَ<sup>(٥)</sup> :

رَأَيْتُ سَنَا بَرْقٍ فَقُلْتُ لِمَا حَبِي      بَعِيدٌ بِفَاجٍ مَا رَأَيْتُ سَحْبِقُ<sup>(٦)</sup>  
 قَبَاتٍ مُهْمًا لِي يَذْكُرُنِي الْهَوَى      كَأَنِّي لِبَرْقٍ بِالْحَبِيزِ صَدِيقُ<sup>(٧)</sup>

(١) الرند : شجر لب الرامحه .

(٢) تطفا : تطفأ .

(٣) الديوان : ١٠٠ .

(٤) ديوان الشماخ : ٢٤٨ .

(٥) الريا : الرشح الطيبة .

(٦) مهمالي : محزنألى .

(٧) فليج : موضع .

ويشخر جميل بأن الحجاز وطنه ، وهو يضم هواه وشجنه . قال (١) :

أنا جميلٌ والحجازُ وطني      فيه هوى نفسي وفيه شجنى .

وتموج عواطف الفطامى ، وتلوح ذكريات الحجاز في قلبه ، فينتجه إلى ربح الحجاز يستحلفها — بحق الله الذى أنشأها — أن ترد سلامه وتحبسه حين يحبها . أن ترد عليه ، فتخفف من وجده المتأصل في قرارة نفسه وعواطفه ، عسى أن تنطقى . فيران شوقه يبرد هواها ، فيا ربح الحجاز ، لولا أنك تحملين ، بقية من طيب عبلة ، لما قبل أن يلتقاها ! قال (٢) :

ريح الحجازِ بحقٍّ من أنشاكِ      رُدِّى السلامَ وحىً من حيالكِ  
هوى عسى وجدى يخفُّ وتنطقى      نيرانُ أشواقى يبردُ هوائكِ  
ياربح لولا أنَّ فيك بقيةً      من طيبِ عبلةٍ مستُترةٍ لقالكِ

ويحن الشاعر إلى وطنه فيتمنى أن يطير إلى الحجاز . وله بوى ركاباً لجارية تبكى شوقاً إلى وطنها الذى بعد ، وإلى جيرانها قال (٣) :

وطرُ لعلك في أرض الحجاز ترى      ركبا على عاجلٍ أو دون نعمان<sup>(٤)</sup>

يسرُّ بجارية تنهلُ أدمعها      شوقاً إلى وطنٍ ناءٍ وجيرانِ  
ويتذكر الشاعر صباه بعد حين من الفراق ، فيحن القلب إلى الحجاز . فتتهيج دموعه ، ويهيج غرامه ، قال (٥) :

ذكرتُ صباي من بعد حين      فقاد إلى القديم من الجنونِ  
وحنَّ إلى الحجازِ القلبُ منى      فهاجَ غرامه بعد السكونِ

(١) ديوان جميل : ٢٠٦ .

(٢) ديوان الفطامى : ١٦٩ .

(٣) الديوان : ١٢٤ .

(٤) الديوان : ٢١٦ .

(٥) عاجل ، ونعمان : موضحان .



وأنا لنأس الحزن الصادق ، المنهل بماء تجربة الغربة ، عند أدباء السجون .  
ومن الطبيعي أن يحن السجين إلى بلاده ، وإلى أهله ، عائلته وعشيرته ، لأنه مكره  
على الإقامة في السجن .

فيحق إذن ليعلى الأزدي ، أن يارق للبرق اليماني ، الذي يضئ الجزيرة كلها ،  
فيميز السبل والمعالم ، ويدخل في قلبه . لأنه صديق لحى قد فارقته بالاكراه والقصر .  
فتشور أحزانه ، حين يقارن بين حالة تلك ، وبين أيامه في اليمن ، حين كان الحمام  
يتغنى في ظل الأيكة ، وحين كان الفيان يعزفن في حبه . فبالت حجاب الروائي حبيبته  
قد تقضت منذ زمن ، كي يتسنى له أن يعود إلى ذلك الرادى السعيد حيث وثبت الصدر  
في صدره . قال (١) :

أرقت لبرق دونه شدوان	يمان وأهوى البرق كلَّ يمان <sup>(٢)</sup>
فبت لدى البيت الحرام أخيلة	ومطواى من شوق له أرقان
جرى منه أطراف الشرى فشيح	فأبيان فالحيان من زمران
قران فالأقاص أقاص أماج	فما وان من واديهما شطآن
هنا لك لو طوقتما لوجدتما	صديقا من إخوان بها وغوانى
وعزف الحمام الورق في ظل أيككة	وبالحى زى الرودين عزف قيان
ألا ليت حاجتى اللواتى حبسنى	لدى نافع قضين منذ زمان
وما بي بنض للبلاد ولا قلى	ولكن شوقا فى سواء زعانى

(١) معجم الأديان : ٣/ ٣٣٩ . وأدباء السجون لعبد العزيز الحلبي : ٧٨ — ٧٩  
مع خلاف في الروايتين .

(٢) الشدوان : جيلان باليمن .

غلبت القلاص الادم قدو خدت بنا بوادي يمان ذي ربي ومجاني

بواد يمان يثبت السدر صدره وأسفله بالمرخ والشيهان

كما يحق لدراج الضبابي ، أن يهتف بغراب البين ، الذي يسمعه صوته المشوم ،

أن يربع عن الديار ، أو يرحل ، أو أن يقع ، فيطير الغراب . ولكن ما فائدة هذا

الطيران الدمني المغرب المسجون . فهو يبيكي ، إذ ليست لياليه بمرجعات ، فليبيك

ما شاء له البكاء ، وليبلغ السامع تحيانه لبني عمرو . قال (١) :

ألا يا غراب البين اسمعت فأرجع وطير بالذي قد حُمّ وبحك أوقع

فطار بتحقيق ، وجدت بمبرة أتاها رشاش العيني من كل مدمع

فليس ليالي بطائفة والحي بمرجعات ، قابك شجوك أودع (٢)

إذا أم سرباج غدت في ظمائن حوايس نجدا فاضت العين تدمع

فبلغ بني عمرو سلاماً وزحمة بآيات شدائي إذا الخيل تدمع

ومن سجن المدينة ، تنطلق وشاعر خاني البرجي ، حين يدعوه الهوى والشوق ،

وتهدل في سمة حامة طروب ، تجاوبها أصوات الورق الحمام ، فيرق كل شيء لصوتها .

فكيف لا يشوقه هذا الهديل ، وهو سجين غريب ؟ . قال (٣) :

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت

هتوف الضحى بين النصوص طروب

تجاوبها ورق الحمام لصوتها فكل لكل مسعد وحبيب

ومن يك أمسى في المدينة رحله فاني وقيار بها ، لغريب (٤)

(١) أدباء السجون : ٩٧ .

(٢) طائفة والحي : موضوعان .

(٣) أدباء السجون : ٤٣ - ٤٤ .

(٤) قيار : اسم جبل للشاعر .



وما عجلات الطير تدني من الفتى نجاها ولا عن ربهم يخيب  
ويشكو حبيب بن عدي الانصاري ، غربته إلى الله ، وكربته ، بعد أن جمع  
الاعداء جيوشهم ، واحتشدوا من كل جانب ومكان ، وهم لا يألون يسدون له  
المدارة ، في كل منظر ومظهر ، فابتهالا إلى الله ، ذي العرش ، أن يصبر به على  
مصابه . قال (١) :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبايلهم واستجمعوا كل مجمع  
فقد قربوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع  
وكلهم يبدى المدارة جاهدا على لاني من وثاق مضيع  
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما جمع الأحزاب إلا مدارة  
فذا العرش صبرني ما أصابني فقد انضموا لحيي وقد ضل مطمعي

إنها حالة الغريب ، الوحيد ، البعيد عن أهله ووطنه ؛ وهل له منها فكاك ؟  
ويقول قيس بن مسعود في سجنه ؛ أن ليله قد طال ؛ وأن الفكاك منه بعيد ؛ لذا  
فيلج الملاحون رسولا إلى بني ذهل ؛ عن حاله ؛ وهو أنه في الأسر . قال (٢) :

ألا أبلغ بني ذهل رسولا فمن هذا يكون لكم مكاني  
ويا من فيكم الذهلي بعدى وقد ومموكم سمة البيان  
ألا من مبلغ قومي ومن ذا يبلغ عن أسير في الأوان  
تطول لي وأصاب حزنا ولا يرجو الفكاك من المنان

\*\*\*

(٢) المصدر السابق : ٢٥ .

(١) أدباء السجون : ٢٥ .

وبمجيء الإسلام ، وانتشار المسلمين الفاتحين في الأمصار ، أبان الفتوح الإسلامية ،  
زخرف الشعر العربي ، بحنين هؤلاء الفاتحين المقاتلين — الذين حملوه معهم ، أجل مبدأ ،  
وأعظم عتيدة — إلى أوطانهم ، التي لم يندسوها ، بل أن الحنين إليها ، كان يأخذهم ،  
فيظهره حيناً ، ويستره حيناً آخر .

فهذا كثير بن الغريزة النهشلي ، يدعوا لدياره بالسقيا ، ويذكر أنه جزع بسبب  
الحنين ، وإلى من ؟ إلى البرق اليماني ، وإلى أناس يشتاقون لرؤياه ، ويشتاق لرؤياهم ،  
وإلى ديار عاش في رحابها سنين طويلة ، ولكنه لن يراهم ، وأنهم لن يروه . إنها  
قمة المأساة عند الإنسان . قال (١) :

سقى مزن السحاب إذا استقلت مصارع فتية بالجوزجات<sup>(٢)</sup>

إلى النصيرين من رماحهم هناك الأعجمان<sup>(٣)</sup>

وما بي أن أكون جزعاً ألا حنين القلب للبرق اليماني

ومحبور برؤيتنا يرجي ال لقاء ولن أراه ولن يراني

وشاعر آخر من هؤلاء الفاتحين ، يصل مرو الشايجان ، فيشمر بألم الغربة الممض ،

فيبدو قرية الوادي ، التي خان إليها أحداث الدهر وخطوبه ، أن تأتيه ليطارحها

البكاء ، ولماذا ؟ لأنهما كلاهما غريبان في هذا المسكان ، وكل يظله الشوق والحنين .  
قال (٤) :

أقرية الوادي التي خان الفها من الدهر أحداث أتت وخطوب<sup>(٥)</sup>

(١) الأغاني : ١١ / ٢٦٠ .

(٢) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلغ بخراسان .

(٣) النصيرين هنا : مدينة السمرجان بكرمان ، كانت تسمى النصيرين . وخطوب

هنا : من فرى بلح . ورستاقها : رواحها وقراها . والأتراحان : يربط الأتراح بن  
حابس وأخاه .

(٤) معجم البلدان : ٥ / ١١٤ .



تعالى أطار حرك البكاء فإننا ، كلانا بمرور الشاهجان غريب

وبمرور الشاهجان — أيضاً — يقول شاعر آخر ، أنه قد أسف على بر العراق ،  
وأن فؤاده أصبح حزينا معطلا ، وأنه لمذور على هذا الاعتلال والالام ، لأنه فارق  
الأرض التي يحبها ، وعاش فيها قال (١) :

وأرى بمرور الشاهجان تنكرت أرضٌ تتابع ثلجها المذور<sup>(٢)</sup>

أسنى على بر العراق وبحره أن الفؤاد بشحوه ممدور

ففي هذين البيتين ، نلح سدياً من أسباب الحنين ، ألا وهو البيئة الجديدة ، على  
هؤلاء الفاتحين ، فهو يذكر أن البيئة ، قد تنكرت بتتابع ثلجها ، وهذا عالم يعهده

— سابقاً —

ومقرب آخر ، هو ورد بن الرود ، يصبح في راعهرمز ، فيرى كل كمي —  
هناك — غريباً ، لذلك يشتعل الحنين به إلى وطنه ، فيحنف عليه مسحة من الغلسنة  
العملية ، التي عايشها ، حين يقول : أن الدنيا لا تساوي شيئاً ، إذا لم تمتنع فيها بزيارة  
حبيب ، وإذا (لم يطرب إليك حبيب) ، قال (٣) :

أمترباً أصبحت في راعهرمز ؟ ألا كل كمي هناك غريب<sup>(٤)</sup>

إذا راح ركب مصعدون قتلبة مع المصعدين الراحين جنيب

وأن القلب الفرد من أيمن الحمى إلى وأن لم آت به عيب

ولا خير في الدنيا إذا لم تر ربه حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

٢

(١) معجم البلدان : ١١٤/٥ .

(٢) مرو : أشهر مدن خراسان .

(٣) معجم البلدان : ١٧/٣ — ١٨ ، وشعر الفتوح الإسلامية : ٢٥٥ .

(٤) رام بالقارسية : المراد والمقصود . وهرمز : أحد الأكسرة . وهي

مدينة مشهورة بنواحي خوارسان .

ويلوح الحنين الصادق ، بوضوح وجلال ، في أية قصيدة يمكن أن نطالعها ، في هذا الموضوع ، حتى أن الأستاذ النعمان عبد المتعال القضاة يقول : أن بعض الفاتحين ، قد استبدل المطلع الطلبي ، بمطلع الحنين إلى الوطن (١) ويستشهد على ذلك بأبيات أحد الفاتحين ، يقول فيها (٢) :

خليلى هل بالشام عين حزينه	تبكى على نجد لعل أعينها
وهل بائع نفساً أو الأسى	إليها فأخلاها بذاك حنينها
وأسلمتها الباكون إلا حماسة	مطارقة قد بان عنها قرينها
تبارى أخرى على شيرازة	يدانها من الأرض لينها
نظرت بيني مؤنس فلم أكد	أرى من سهيل نظرة امتينها
فكانت نفسي ثم راجعت نظرة	فربيع لى شرقاً لنجد يقينها

خليلى هل بالشام عين حزينه تبكى على نجد لعل أعينها  
ثم يتساءل الأستاذ القضاة قائلاً : ( فهل هناك فرق بين هذه الأبيات ، وأية مقدمة طالية ؟ وهل هناك فرق بينها وبين ما نراه عند العذريين من آلام الشوق والتبرج (٣) ونحن نرى ، أن هذه العطواف الصادقة ، ليست بكثيرة على هؤلاء البدو ، الذين حملوا راية الإسلام إلى العالم ، ذلك الدين ، الذى جعل حب الوطن جزءاً لا يتجزأ من الإيمان .

وهناك مجموعة أخرى من الأبيات ، من هذا الباب ، تظهر مدى تعلق العربي بمظاهر بيته ، حين يخاطب النخلة ويتبنى لها أحلى الأمانى من سقى الفوايد ، وبجواره الجبان لها — — — أنه حنين إلى الوطن ، يتخذ ثوب الشوق إلى كل ما يذكر بذلك الوطن . قال الشاعر (٤) :

ألا يا أسامى يا نخلة بين بركة يجاورك الجبان دونك والرهيل

( ١ ) ينظر شعر الفتح الإسلامية : ٢٥٧ .

( ٢ ) المصدر السابق الصفحة نفسها ( ٣ ) نفسه : ٢٥٨ .

( ٤ ) شعر الفتح الإسلامية ، ٢٥٦ — ٢٥٧ .



وقال آخر (١) :

ألا فاسدسى يا نخلة بين قادس وبين المذيب لا يجاورك النخل

وآخر يقول (١) :

ألا يا نخلة الجرعاء يا جرعة المدا مسقتك الفواذى والغيوث الهواطل

والاعور بن قطبة قال (١) :

ألا يا نخلة الركبان لازلت فائضى ولا زال فى اكشاف جرعائك النخل

وعوف بن مالك التيمى يقول (١) :

أيا نخلة دون المذيب بقلعة مسقيت الفواذى المدجنات من النخل

شعر النخيل هذا ، لم نلله شرحاً ، مثلاً فى القصيدة الجاهلية ، لأنها بداهتها

كانت متعددة الأغراض ، ولأن الشاعر الجاهلى كان يلتزم بالافتتاحية الظلمية ، فى

غالب الأحيان ، ونحن لا نستطيع أن نوافق الأستاذ القاضى حين يقرر ، أنه

لا يعرف لهذا الشعر شيئاً يقابله فى الشعر الجاهلى . فنحن استطعنا أن نستنبط ،

أثناء تحليلنا لكثير من القصائد الجاهلية ، أن تلك القصائد كانت تزخر من حين لآخر

بالحنين إلى الوطن ، تصريحاً أو تلميحاً ، لكنهما على كل حال ، كانت تسير فى نمط

معين ، يختلف عن هذه الشعلة المتوقدة فى شعر الحنين الإسلامى ، ومع ذلك فقد سبق

أن لمسنا شعلاً متوهجة من الحنين إلى الوطن فى الشعر الجاهلى ، نستطيع أن ندلك

عليها بقصائد مرت ، وفى مطلع القصيدة التى سنعرض لها فيما بعد :

كأن لم يكن بين المجرى إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة عامر

ففى هذه القصيدة حنين واضح وقوى ، وحنن شديد . ونحن نؤمن أن الحنين

إلى الوطن ، متشرب بالدعاء ، لا يستطيع الإنسان أن يتصل منه ، حتى ولو أكره

على ذلك .

ومالك بن الربيع التميمي ، يخرج غازياً في جيش سعيد بن عثمان بن عفان  
 ويحاربهم ، فيقتلهم ، ويقتلهم ، ويقتلهم ، ويقتلهم ، ويقتلهم ، ويقتلهم ،  
 ويكون في حالة تذكرنا بحالة امرئ القيس ، حين وافته منيه في غربته ، وكلاهما  
 يشكو من الغربة والبعاد ، ويشعر بالشوق والحنين إلى دياره وأوطانه . مرض  
 مالك ، أو لدغ ، وجعل ينفث أنفاسه الأخيرة ، ولا يتعمى شيئاً في تلك اللحظات  
 الحرجية ، إلا أن يزور بلاده ، وينام فيها ليلة . ينفث أنفاسه وهو يذكر أهله  
 وعشيرته ، وينظر إلى نفسه غريباً وحيداً فيبكيها ، ويحن إلى أولئك الذين كانوا  
 يشفقون عليه ويبكونه . على حين أصبح اليوم يتلفت حوله ، فلا يجد من يبكيه غير  
 السيف ، والريح الرديني ، وغير حصانه الخنذيذ ، الذي لم يعد يجد له من يجرر عنائه  
 ليشهد له أنه غرب ، لا يجد من يأتى إليه ، فيحاول الناس والفتيان ، ويلتس  
 السلوان عند نساءه بأطراف السبيبة ، المراتى يعز قلبي أن يكون غريباً . ووفاء  
 منه لمؤلاء النسوة ، بل ولقومه جميعاً ، يبعث إليهم بردية ومزريه ، ويبعث سلاماً  
 حاراً ، منبثقاً من قلبه ، لابن عمه وخاله . ويعود كرة أخرى إلى النسوة ، فيخال  
 أنهم لو رأينه لبكين عليه . إن الدموع لتندفع إلى العين ، حين تطالع الصورة  
 الحزينة الكئيبة ، لأمه وابنتيها ، وخاله . الباكية الأخرى — ولهاها زوجته —  
 التي تهيج البواكي . وأنه يتلف لرقية سهيل ، الذي يلوح من وطنه ، والذي طال  
 ما طالعه وهو في أحضان أسبابه وخالاته ، وبين قومه ، وعلى ثرى وطنه . قال (١) :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة      بمجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الدرب عرضه      وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا      مزار ، ولكن الغضا ليس دانيا

تذكرت من يبكي على غم جد      سوى السيف والريح الرديني باكيا

وأشقر خنذيذ يجر عنائه      إلى الماء لم يترك له الدهر ساقياً (٢)

(١) جمهرة أمثال العرب لأبي ذؤيب : ١٦٩ وما بعدها .

(٢) الخنذيذ : الجواد الكريم الأصل .



ولكن بأطراف السمينة نسوة عزيز عليهن العشية ما بيا  
أقول لأصحابي : أرفقوني لأنني يقر بيني أن مهيل بداليا  
فيا راكبا أما عرضت قبلن نداماي من نجران أن لا تلاقيا  
وبلغ أخى عمران بردى ومثزرى وبلغ عجوزى اليوم أن لا تدانيا  
وسلم على شيخى منى كليهما وبلغ كثيراً وابن عمى وخاليا  
وعطل قلوصى فى الركاب فانها مستبرد أ كباداً وتبكي بوا كيا  
أقلب طرقي فوق رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعياء  
وبالرملى منى نسوة لو شهدنى بكين وقد بين الطيب المداويا  
فمنهن أمى وابنتاها وخالتى وباكية أخرى تهيج البوا كيا  
وما كان عهد الرمل منى وأهله ذمياً ، ولا بالرمل ودعت قاليا

أرأيت إذن ، ماذا يفعل الحنين والشوق ، فى النفس الإنسانية ، فى لحظة من  
أحرج لحظات الإنسان فى حياته ، ألا وهى لحظة الموت ! .



وبعد ، فهل لنا أن نقول ، بعد هذا الذى مرّ بنا ، أن الشاعر البدوي — على  
الرحم من بساطة الحياة التى كان يحياها ، فى الجاهلية ، أو الإسلام — كان مرتبطاً  
بديار وأوطانه ، ارتباطاً وثيقاً ، ليس له منه فكاك . وأنه حين لى هذه الديار  
والأوطان — إذا ما ابتعد عنها لى سبب من الأسباب — حزناً صادقاً ، ناتجاً  
عن عاطفة قوية ، وخب عظيم إليها ؟ .  
أما نحن ، فهذا ما نراه .

## الفصل الثاني

### ب - الحنين إلى الوطن في شعر الحضرة

وكما كان البدوي شديد الحنين إلى وطنه — وهو كثير النقل والترحال من مكان لآخر — فقد كان الحضري . وهو الأول بذلك ، في حبه لوطنه ، وشوقه إليه ، وولاه الشديد في العودة إلى ربه — إذا ما ابتعد عنه ، وذلك لأسباب عديدة لا تخفى ، منها : الإقامة الدائمة المستمرة في هذا الوطن والذكريات الجميلة ، التي ما تنفك عن الإنسان فيه ، من المولد إلى الممات .

وقد وصلنا — من العصر الجاهلي — من شعر الحنين إلى الوطن ، ما نجد فيه هذا . ففي القصيدة التالية ، نلح حنيناً واضحاً قوياً ، وحرناً شديداً وذلك حينما يتحدث الشاعر عن وطنه مكة ، وقد أخرج منه إخراجاً ، ففى وطنه . وقد كان يعيش فيها ، حياة كلها رخاء ورفاهية ، إلى أن بدله الدهر منه بالرحيل والبعاد . فسحت دموع عينه ، من شدة الشوق والحنين إلى ذلك الوطن العزيز ، وعلى ما أصابه من يد الدهر ، ونوائبه التي لا تحصى . قال عمرو بن الحارث بن عمرو بن مناض الأصغر (١) :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسع بمكة سامرٌ<sup>(٢)</sup>  
ولم يتربع واسطاً فجنوبه إلى السر من وادي الأراكه حاضر  
بلى ، نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود الموائر  
وأبدلنا ربى بها دارَ غربة بها الجوعُ باردٌ والعدو الماصرُ

(١) مخرج البلدان ١٨٦/٥ . ومروج الذهب : ٢/٥٠ مع اختلاف في الروايتين

(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة .



وكنّا ولاية البيت من بعد ثابت  
فإن تنثنى الدنيا علينا بمحالها  
نطوف بباب البيت والخير ظاهراً  
فإن لها حالاً وفيها التشاجر  
فأخرجنا منها المليك بقدره  
كذلك يا للناس تجري المقادير  
أقول إذا نام الخلى ولم أنم  
إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر  
وبدلت منها أوجهها أحبها  
قبائل منها حمير وبخائر  
وصرنا أحاديثاً وكنّا بغبطة  
بذلك عضمتنا السنون الخوابر  
فساحت دموع العين تبكي لبلدة  
بها حرم أمن وفيها الشاعر

أنها المروعة الحقة ، والحزين الصادق ، على الأيام السالفة ، يوم كان الشاعر وقومه  
سادة الموقف في وطنهم ، يأمرون ولا يؤمرون ، يطاعون ولا يطيعون ، يهابون  
ولا يهابون ، واليوم يغلبه الحنين ، وأشدّه الذكرى فيزداد بكاءً منها .

\*\*\*

ويهاجر المسلمون - في سبيل الله - إلى المدينة ، وهم يعتقون أجل عقيدة ،  
وأعظم رسالة . ومع ذلك ، فإن حب الوطن يسيطر على مشاعرهم ويبقى قلوبهم  
معلقة به .

فهذا بلال الحبشي يغلبه الحنين والشوق إلى مكة ، فيتنى لو قدر له أن يبيت فيها  
ليلة واحدة ، وتمتلي نفسه بمنظر نباتها الأذخر ، ويشرب من مائها ، ويبدو لعينه  
مناظر جبالها . يقول (١) :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة  
بفج وحولي أذخر وجيل ؟  
وهل أردن يوماً مياه مجنة  
وهل يبدون لي شامة وطفيل ؟

(١) معجم البلدان : ١٨٢/٥ .

وابن مكرم ، يثلبه الحنين وهو آخذ بذياب ناقة رسول الله — ﷺ — وقت  
الاجرة ، فيذكر وطنه مكة ، وأهله فيه ، يذكر الأرض التي شب فيها ، وعمر  
يرفها عن المعرفة ، ولا يحتاج إلى هاد أو دليل ، إذا ما أراد المشي فيها . قال (١) :

يا حبذا مكة من وادي أرض بها أهني وعوادي  
أرض بها ترسخ أوتاري أرض بها أمشي بلا هادي

ويحسن أمية بن أبي عائذ — وهو في مصر عند عبد العزيز بن مروان — إلى وطنه  
مكة ، وإلى أهله فيها . فينظم أبياتاً ، يصور شرقه ، وتساؤل أهله عن وقت رجوعه ،  
ويصور في هذه الأبيات — أيضاً — الضمير التي و تبارى السرى ، — على حد  
تعبيره — التي كثيراً ما أرادت الرواح ، فكأنها تشارك الشرق والحنين إلى وطنها  
قال (٢) :

متى راكب من آل مصر وأهلك بمكة من مسر المشية راجع  
بلى أنها قد تقطع الخرق حشر تبارى السرى والمسفون الزعزع<sup>(٣)</sup>  
متى ما تجزها يا ابن مروان تعترف بلاد سليمى وهى خرصاء ظالع<sup>(٤)</sup>  
وبانت تؤم الدار من كل جانب لتخرج واستدت عليها المصارع  
فلما رأت أن لا خروج وإنما لها من هواها ما تيجن الأصانع  
تمطت بمجدول سبطر فطالعت وماذا من اللوح اليماني تطالع  
فلا ترو بعد ذلك ، أن يقول له عبد العزيز بن مروان ، اشتقت والله إلى أهلك

(١) معجم البشائر : ١٨٢/٥ . (٢) ادغاني : ٦٥/٢٢ .

(٣) الخرق : الأرض الواسعة . والزعزع : من جرى زعزع . أى شديد ،

وزعزع الإبل : حثها . والمسفون : من عصف الرجل : سار بالليل خيط عشواء .

(٤) خرصاء : مرتفعة . وأرض مخوصة التي بها خوص الأرضى والآلاء .



يا أمية ا فقال : نعم والله أيها الأمير ، فوصله وأذن له ، على حد تعبير أبي الفرج  
الأصفهاني (١) .

وقيس لبني (٢) شاعر عاشق ، والعاشق دائم الحنين ، موصول الشوق ، يذكر  
حبيبته وديارها كل حين . فيتساءل في قصيدة له : هل ستمود أيامه السالفات ، حين  
كان مع حبيبته لبني بذى الطليح . يعيشان عيشة العاشقين ، داعياً إلى الدار التي بها  
حبيبته ، بأن يستقيمها الحيا ، وأن يستمر فيها الحصب والنماء . قال (٣) :

أراجعةُ يا لبني أيامنا الألى بذى الطليح أم لا ما لهن رجوع  
مضى طلل الدار التي أنتم بها حيا ثم ويلٌ صيفٌ وريبعٌ

وعند ابن مفرغ الحميري (٤) ، نلمح صدق العاطفة ، وحرارة الشوق والحنين  
إلى الوطن حين يلمع البرق . ويرى الشاعر ، أن يصرخ ذلك البرق نارا ، لأنه ذكره  
بمنزله ودياره ، وديار حبيبته التي أفقرت ، وهاجت ذكرياته ، فلم يملك دموعه .  
فبكى على الطلل الففر ، وقال لصاحبه : أن عرج قليلا ، لينذاكرا شوقيهما ، ويعيدا  
إلى ذمتهم أيام اجتماع الشمع الذي تبدد ، حتى كاد الصب أن ينتحر انحراراً . فقال  
له صاحبه : أن الهى قد سار وأنه لن ينسهما شيئا بقاءهما في هذه الدار ووقوفهما  
على هذه الأطلال ، فلم يسمع الشاعر منه ، لأنه صب ، لا يستطيع إلى هذا الذي  
دعاه صديقه إليه . قال (٥) :

سما برقُ الجمانَةِ فاستطارا لعلَّ البرقَ ذاك يحورُ نارا  
قعدت لها المشاء فهاجَ شوقي وذكرى المنازل والديارا  
دياراً للجمانَةِ مقفراتِ بلبنٍ وهجنَ للقلبِ ادِّكاراً

(١) الأغاني : ١٦٥/٢٣ . (٢) توفي في زمن معاوية .

(٣) قيس ولبني شعر ودواية للدكتور حسين نصار : ١١٣ .

(٤) ذو الطليح : موضع . (٥) توفي عام ٦٩ هـ تقريباً .

(٦) شعر ابن مفرغ الحميري : ٨٨ - ٩٠ .

(٧) سما برق الجمانَةِ : ارتفع من ناحيتها . يحور : يرجع .

(٨) الذكار . التذكر .

فلم أملك دموع العين مني ولا النفس التي جاشت مرا  
 فسرقي فالقري من صهر تاج فدير الراهب الطلل القفارا<sup>(١)</sup>  
 فقلت لصاحبي عرج قليلاً نذاكر شوقنا الدرس البوارا<sup>(٢)</sup>  
 بآية ما غدر وهم جميع فكاد الصب يتحرر انتحارا  
 فقال بكروا فقدك منذ حين زمانا ثم أن الحي ساراً  
 بدجلة فاستمر بهن سفين تشق صدورها اللجج الغمارا<sup>(٣)</sup>  
 كأن لم أغن في المرسات منها ولم أذعر بماعتها صوارا<sup>(٤)</sup>  
 ولم أسمع غناء من خليل وصوت مقرطق خلع العذارا<sup>(٥)</sup>

وفي سجن سجستان ، يتذكر ابن مفرغ دار سلمي وأطلالها . ويسألها على بعد  
 المسافة ، كيف يستطيع أن ينال : وقد كبلته الاغلال ! فهو أسيرها . وأين منه السلام ،  
 وعمر ثامنها ! فلترجع ! . ان كان في اسكانها رجوعاً . وأين منه النجائب  
 والجياد والفرلان ! وأين منه جنته والمطايا التي يسرها لاوتحاله ! . لقد ذهب كل شيء .  
 وهدم الدهر عروشهم . وأبلى وطنهم . وكل الدنيا وكل النعم مستنفذ يوماً وتفتى .

- ( ١ ) سرق . إحدى كور الأهواز ، وصهر تاج ودير الراهب . أما كن قرية منها  
 ( ٢ ) درس الرسم . عفا . البوار . ما بار من الأرض .  
 ( ٣ ) اللجج الغمار : أعالي الموج .

- ( ٤ ) أذعر : أخاف . القاع : أرض سهلة مطمئنة . الصوار : القطيع من البقر .  
 ( ٥ ) المقرطق . لبس خلع . العذار : من خلع عذاره ورسته . أي غدا على  
 للناس بشر .



هو الموت مصير كل حي ، ولو كان الحي مليكاً . أنها محاولة للناسي ، ينطلق الشاعر بها ،  
وهو متردد بين سجين في بئس . قال (١) :

دارُ سلمى بالحبّ ذى الأطلال      كيف نومُ الأسير في الأغلال<sup>(٢)</sup>  
أين منى السلامُ من بعدِ نأى      فأرجمى لى تحيتى ومسوّالى  
أين منى نجائى وجيادى      وغزالى متى الاله غزالى<sup>(٣)</sup>  
أين لا أين جنتى وملاحى      ومطايا يسرّتها لارتمالى<sup>(٤)</sup>  
هدم الدهرُ عرشنا فتداعى      فبلينا إذ كلُّ شىء بالى  
إذ دعانا زواله فأجبنه —      كلُّ دنيا ونعمة أزال  
أم تشبنا حباياتنا ذلى الر      ت مصيرُ الملوك والأقيال<sup>(٥)</sup>

وفي إحدى قصائد عبيد الله بن قيس الرقيات (٦) ، نالح الحب الصادق للوطن ،  
والم قربة الرهيب ، الذى سيطر عليه ، حتى راح يبحث همومه بأروقة وحزن ، فسيطر  
ذكرياته ، حين كان بديار عامر ، حين كان يقف حول ابن شائسة قومه بأرضهم ،  
والملوك قد أفردوا الشعير . حتى لعبت به صروف الأيام والليالى . فيسأل الطلول  
في الماطرون وحوران عنهم . فلا تجيبه . فيبكي ويتذكر معشره ، حين كانوا ملوكاً في  
سالف الزمان . قال (٧) :

(١) شرح ابن مفرغ : ١٢٤ — ١٢٥ .

(٢) الحب : موضع :

(٣) نجائى : جمع نجيب ونجسية ، الناقة الكريمة .

(٤) جنتى : كل ما وثاق ، والجنان والجنانة والجن والجنّة : الترس .

(٥) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك ، أو من هو دون الملك الأعلى .

(٦) توفي عام ٧٥ هـ تقريباً .

(٧) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : ١١٣ — ١١٤ .

واغترابي عن عامر بن لؤي<sup>(١)</sup> بلاد كثيرة الأقال<sup>(٢)</sup>  
كل يوم ألقى ابن شائقة ليس<sup>(٣)</sup> عن الشر ما استطاع بآلى<sup>(٤)</sup>  
حواله قومته وقومي بأرض حرم دونهم حنين الشمال<sup>(٥)</sup>  
وملوك فارقهم أفردوني وصروف الأيام بي والى إلى  
أقفلت منهم الفراديس<sup>(٦)</sup> فالغو طه ذات القري وذات الظلال<sup>(٧)</sup>  
فضمير<sup>(٨)</sup> فالماطرون فحوران<sup>(٩)</sup> قمار بسابس الأطلال<sup>(١٠)</sup>  
لم تُجِبني منها الطاركة ولم أملك دمرها تسيل كالأوشال<sup>(١١)</sup>  
وتذكرت مشرى وهم كانوا ملوكاً في مالف الأحوال

وحين يبحر الشاعر القناطر في حوران مخرباً ، يسمع النسوة اللاتي يحشين من  
تلكيه . وقد أخف دموعهن البراقع ، وهن يهمن فيما بينهن ( شط بالحبيب  
المازار ) . فهو يذكرهن حين استقلوا من فلسطين ، وغادروها مهاجرين عنها . قال ( ٦ ) :

أن عهدي بهم غداة استقلوا من فلسطين والدموع غزار<sup>(١٢)</sup>  
واستحازت على القناطر من حور<sup>(١٣)</sup> ران عيني نواغم أبكار<sup>(١٤)</sup>

( ١ ) الأقال : الأجزاء . ( ٢ ) شائقة : مفضلة وآلى : من والآء منحصر .

( ٣ ) الفراديس : البساتين . والفراديس : موضع بالشام جمع فردوس .

الغوطه : موضع .

( ٤ ) ضمير والماطرون وحوران : كلها مواضع . بسابس : جمع بسبس وهو النقر .

( ٥ ) الأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال .

( ٦ ) الديوان : ١١١ .

( ٧ ) الدين : بقر الوحش . يعني بها هنا النساء ذوات العيون الواسعة .



لم يكأمن خشيّة العينِ ذا اللبِّ      وغطّى الدموعَ منها الحمار<sup>(١)</sup>  
غير أني سمعت حين انصرفنا      قولهم : شطاً بالحبيب المزار<sup>(٢)</sup>  
ولابي قطيفة أشعار شاهدة بحينه إلى وطنه ، وهو يقول<sup>(٣)</sup> :  
بكي «أحد» لما تحمّل أهله      «فسلم» فدار المال أمست تصدّع  
وبالشام إخواني وجلّ عثرتي      فقد جعلت نفسي إليهم تطلم  
ويقول - أيضاً - متمنياً عودة إلى الدار ، وإلى القصور المشيدة ، التي بها  
الاطام ، والتي يبلغها سلامه وتحياته ، بعد طول الفراق والبعد . قال<sup>(٤)</sup> :  
ليت شعري وأين مني ليت      أعلّى العهد يلبس فبرام ؟  
أم كعدي العقيق أم غيرته      بعدى الحادثات والأيام ؟  
وبأعلى بدلت عكاً ولحماً      وجذاماً واين مني جذام<sup>(٥)</sup>  
وتبدلت من مساكن قومي      والقصور التي بها الاطام  
كل قصر مشيد ذي أواس      يتغنى على ذراه الحمام  
انز مني السلام ان جئت قومي      وقليل لهم لدى السلام  
ويزيد الزهير بن بكار ، على هذه الابيات ، أبياناً أخرى ، تظهر اكتاب هذا  
الشاعر الذي يتطام الليل بالزفير والارق ، حنيناً إلى أهله ووطنه ، ونخشة أن يصيهم  
الدمر بمساكنه<sup>(٦)</sup> :

(١) الحمار : النشاب الذي يغطي الوجه . (٢) شط : بعد .  
(٣) الاغانى : ٣٨/١ . (٤) المصدر السابق : ٢٩/١ .  
(٥) عك ولحم وجذام : أسماء قبائل عربية .  
(٦) الاغانى : ٣٨/١ وما بعدها .

اقطع الليل كله باكساب وزفير فما أكاد أنام  
 نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار وحادت عن قصدِها الأحلام  
 خشية أن يصيبهم عنت الدهر وحرب يشيب منها الغلام  
 ولقد جان أن يكون لهذا ... ر عنا تباعد وانصرام  
 وله — أيضاً — تساؤل عن الدار ، هل غيرتها نوب الأحداث ؟ وهل سيراها  
 مرة أخرى ؟ لأنه في غربته ، كلما لمح سحابة وبرقاً ، دعاه شوقه إلى الدار والوطن .  
 قال (١) :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا

جبوب المصلى أم كعهدى الترائن (٢)

وهل أدور حول البلاط عرام من الحي أم هل بالمدينة ساكن (٣)

إذا برقت نحو الحجاز صحابة دعا الشوق منى برقها المتيامن

فلم تركها رغبة عن بلادها ولكنه ما قدر الله كائن

ويجن أبو قطيفة إلى بلاده ، وقد طرد عنها ، ونفى إلى الشام . وكان ابن الزبير

هو الذى نفاه . فلم يخرج من دياره رغبة منه ، وإنما كان مرغماً على ذلك . لذلك

فهرج إلى دياره ، وإلى أحبابه . قال (٤) :

ولما أخرجتنا رغبة عن بلادنا ولكنه ما قدر الله كائن

أحن إلى تلك الوجود صباية كائن أسير في السلاسل رامن

(١) المصدر السابق : ٤١/١ .

(٢) جبوب المصلى : الحجارة والأرض المبلطة .

(٣) أسير : أسير في سلاسل .

(٤) أسير : أسير في سلاسل .



ونصيب بن رباح (١) ، شاعر يمتاز شعره بالذنوبية والسلاسة ، والرقّة ، ويمتاز  
بتمكّنه من رسم الصور الفنية ، التي يريد رسمها ، حن إلى وطنه الذي ابتعد عنه ، وهو  
رفيق في حنينه ، رفته في شعره .

أنه يطلب من رفيقيه أن يقفا ، لأنه استغرب لحال الدار ، إذ ليست كما عهدهما  
في ليالي وصله مع ليلى ، حين كان أهل ليلى يقطعونها . لقد رحلوا عنها ، وبانت الدار  
لأتّيين لسانها جواباً . ويظل صاحبها واقفين . ويظل دمه يجرى على خديه ،  
تجود به جفونه . حتى إذا بدا له اليأس منها ، برحها . ولم يستطع الناس أن يلوموه  
فيها . لأنه إنما يحن إلى الوطن ، حنينه إلى حبيبته ليلى ، حين كانت ساكنة فيه . قال (٢) :

قفا أخويّ أن الدار ليست كما كانت بعهدٍ كما تكونُ

ليالي تبيانٍ وآلُ ليلى قطّينُ الدارِ فاحتمل القطّين (٣)

فمرجاً فانظرا أتبينُ عما سألتها به أم لا تبين (٤)

فظلاً واقفين وظلٌ دمي على خدي تجودُ به الجفونُ

فلولا إذ رأيت اليأسَ منها بدا أن كدت ترشقك العيون (٥)

برحت فلم يملك الناسُ فيها ولم تغلق كما غلق الرمين (٦)

ويحن عبد الله بن الزبير ، هو وقلوصه . إذ هيجت القلوص طربه وصبايقه .  
لقد نزع عن داره ، فتذكرها . وبعد عن أحبابه ، فعادت به الذكريات إليهم .  
وحسنت نائمه لترجمة خاتمه . لكنه صم أن يسير أمامه . قال (٧) :

(١) توفي عام ١٠٨ هـ تقريباً . (٢) شعر نصيب : ١٣٥ .

(٣) القطّين : مكان الدار . (٤) تبين : تفصح .

(٥) ترشقك العيون : تحد النظر إليك ، كأنها ترميك بالسهام .

(٦) لم تغلق كما غلق الرمين : لم تصبح ملكاً لها ، لمجزك عن فكك نفسك .

(٧) الأغاني : ٢١٧/٢٤ .

حنت قاروصى وهنك بعد هدأتها      فميجت مغرمًا صبيًا على الطرب<sup>(١)</sup>  
 حنت إلى خير من حنت المطى له      كالبدري بين أبي سفيان والعتب  
 تذكرت بقرى البلقاء نائله      لقد تذكرته من نازح عذب<sup>(٢)</sup>  
 والله ما كان بي لولا زيارته      وأن ألقى أبا حسان من أرب  
 حنت لترجعنى خلاني فقلت لها      هذا أمامك فألقيه فتي العرب  
 لا يحسب الشر جاراً لا يفارقه      ولا يعاتب عند الحليم بالنضب  
 وشعر الراعى النمرى<sup>(٣)</sup> بالقرية : سين بجاور عمرًا ومالكًا . فشيء عليهم ثناء  
 عطرًا ، لأنهم كرام ، يعفون عن بيت الغريب المجاور . قال<sup>(٤)</sup> :

إذا انسلخ الشهر الحرام فودعى      بلاد تميم وانظري أرض عامر  
 واثني على الحين عمرو ومالك      ثناء يوافيهم بنجر وثائر  
 كرام إذا تلقاهم عن جناية      أعفَاء عن بيت الغريب المجاور<sup>(٥)</sup>  
 وعمر بن ربيعة<sup>(٦)</sup> ، يبلغ به اليأس منتهاه ، وهو بعيد عن وطنه . حين يظن أنه  
 لن يرى منازله — مرة أخرى — فلا دار أحبابه داره . ولا موطنهم موطنه .  
 ولا يملك من حقوق ، ومن مقدرة ، على حكم القاسى ، إلا أن يرسل صرخته ، التي  
 تمثل أبعد ما يصل إليه إنسان يحن إلى وطنه ، حنين عمرًا حين يقول : لا يبعدك  
 الله يا سكنى . قال<sup>(٧)</sup> :

( ١ ) القاروص من الإبل ، الشاية ، والوهن : نحو من نصف الليل . والهدأة  
 والهدوء : السكون .

( ٢ ) البلقاء كورة من أعمال الشام . ونازح وعذب : بعيد .

( ٣ ) توفي عام ٩٠ هـ تقريباً . ( ٤ ) شعر الراعى النمرى وأخباره : ٨٨ :

( ٥ ) قوله ، عن جناية : أى بعد غربة وبعد .

( ٦ ) توفي عام ١٠٥ هـ تقريباً . ( ٧ ) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣١٩ .



هيهات من أمة الرهاب منزلنا      إذا حملنا بسيف البحر من عدن  
وحل أملك أجياًداً فليس لنا      إلا التذكر ، أو حفظ من الحزن  
لا داركم دارنا يا وهب أن نرحل      نواك عنا ، ولا أوطانكم وطني  
فلست أملك إلا أن أقول إذا      ذكرت : لا يمدنك الله يامسكني

والطرماح (١) يطرب ويشوقه البرق اليماني . لأن هذا البرق يلع من نحو أحبابه ،  
الذين هم بعيدون عنه . وأنه لرفيق ، سرعان ما يتذكر أحزانه ، حين يغرق الثريا ،  
التي طال ما كان يراها في ليال الحجاز ، هذه الثريا تحزنه ، لأنها تذكره بوطنه ، وهو  
بعيد عنه ، غريب عن دياره . قال (٢) :

طربت وشاقت البرق اليماني      يهيج الريح فج القافران (٣)  
أضواء البرق يلمع بين مسلمي      وبين الهضب من جلي أبان  
أضواء البرق بت تشيم وهما      لقد دانيت ويحك غير داني  
ألم تر أن عرفات الثريا      يهيج لي بقزوين احتراني

والأحوص (٤) ، يكون في عمان ، ويطرب إلى أهل سلع . ويعلم أن هذا التشوق  
ليس نافعاً له . أنه معنى طال ماردده الشعراء قبله ، ثم يخاطب صاحبه ، هل أحزنته  
الرياح المريضة ، والبرق ؟ فإن غريب الدار ، تشوقه البروق ، وأنه حين يتصلح  
إلى ديارهم ، لا يستطيع نظره أن يراها . فينسى ، وقد أربى به اليأس . فأنهلت  
عدامته ، وفضحته نظراته . ثم يحتم ألبانه ، يسأله عن المراء ، كيف اشتياقه  
وصيلته وبكاؤه ، إلى من بعد عن الدار باختباره . قال (٥)

(١) توفي عام ١٠٥ هـ تقريباً . (٢) ديوان الطرماح : حكيم : ١٠٧ .

(٣) الفجج : المضرب البعيد وهو الطريق الواسع بين جبالين ، وفج القافران : موضع .

(٤) توفي عام ١٠٥ هـ تقريباً .

(٥) شعر الأحوص الأنصاري : ١٤٥ - ١٤٦ .

أقولُ بَعْمَانِ وهل طربى به  
أصباحُ ألم تحزنك ربحٌ مريضه  
فإن الغريبَ الدارَ مما يشوقه  
ومن دون ما أسمى بطرفي لأرضهم  
نظرت على فوت وأوفى عشية  
ولامعين أسرابٌ تفيضُ كأنما  
لا بصرٌ أحياءٌ بخارج تضمنت  
فأبدت كثيراً نظرتي من صباي  
وكيف اشتياقُ المرءِ يبكي صبايةً

إلى أهلِ سلعٍ أن تشوقت نافعُ  
وبرقٌ تلالاً بالمقيقين لامعُ<sup>(١)</sup>  
نسيمُ الرياحِ والبروقُ اللوامعُ  
نارُ متبرِّ من التلجِ راسعُ  
بنا منظرٌ من حصنٍ عمائمٌ يافعُ<sup>(٢)</sup>  
تعلُّ بكحلِ الصَّابِ منها المدامعُ<sup>(٣)</sup>  
منازلهم منها التارحُ الدوافعُ<sup>(٤)</sup>  
وأكثر منها مما تبينُ الأضالعُ<sup>(٥)</sup>  
إلى من نأى عن داره وهو طائعُ

ويخاطب الأسير موقد النار بالعلياء . لأن هذا الموقد قد هاج شوقه ، حين وقف عليه ، فأنثالت عليه الذكريات ، وقد أضامها سنا النيران ، ويلومه اللآيم ، فيقول له ، أن يرتدع عن لومه ، لأن حب هذه الدار ، وذكرياته فيها قد كثررت في دمه ، وشئت جسمه بما أطربه . وما تأمله إلا لأنه حزين . قد انتابه الشجن . ثم

- (١) المقيقان : موضع . وريح مريضة : لينة المهبوب رقيقة .  
(٢) الفوت : السبق . وأوفى ، أشرف وارفع . ويافع : المرتفع المشرف .  
(٣) أسراب : وأحدها سرب ، الماء السائل المتتابع . تعلل : الشرب تباعاً .  
يريد أنها تكحل مرة بعد أخرى . الصاب : عصارة الخنظل شجر مر .  
(٤) خاخ : موضع . والتلامع : أرض غليظة مرتفعة : مفردتها تلة .  
والدوافع جمع دفعة . وهي التلة من مسايل الماء . تدفع مازها في تلة أخرى ، إذا جرى في صلب وحدور ، فترى له مواضع قد انبسط فيها شيئاً واستدار .  
(٥) أجن : ستره وأحفاه .



يفتئ إلى أن لياليه بهذه الدار ، بخاخ ومدى سلم ، أن تعود ، وأن أيامه فيها قد  
ذهبت إلى غير رجعة قال (١) :

يا موقد النار بالملياء من أضم - أوقد فقد هجت شوقاً غير منصرم (٢)

يا موقد النار أوقدها فإن لها - مناً يهيج فؤاد الماشق السدم (٣)

نار أضاء مناهها إذ تشب لنا - سديّة دأها يشفى من السقم

ولا أتم لا منى فيها فقلت له - قد شفى جسمي الذي ألقى به أودي

فما طربت لشجور كنت تأمله - ولا تأملت تلك الدار من أمم

ليست لياليك في خاخ بعائده - كما عهدت ولا أيام ذي سأم

وسعيد بن عبد الرحمن ، يرى الملام ، ويسمع ترنمه ، فيحتاج طرباً وشوقاً إلى  
الحجاز ، لأن حبيبته هناك ، وأنه لينكر أنها خرجت تودعه ، وقد غسل دمعها  
كحلها . ولم تمت أن يقيم بجوارها ، وتساءلت طويلاً ، كيف يطيق الحبيب فراقاً  
عن وطنه . إن الحمام يهيج له طرباً ، وكذلك البرق ، لأنه تجشم كل هذا العناء من  
أجل حبيبته ، قال (٤) :

عالية أمت ودون وصالها - مضار مصر ، وعابد والقلزم (٥)

خرد تطيف بها نواعم كالدمى - مما اصطفى ذو النيفة المتوسم (٦)

حلي مَرَّجان البحور وجوهر آ - كالجر فيه على النحر ينظم

(١) شعر الأحوص : ٢٠١ - (٢) أضم : واد بحبال نهامة

(٣) السدم شدة المشق .

(٤) الأغاني ، ٢٧٢/٨ - ٢٧٣ .

(٥) عابد جبل بمصر ، والقلزم : بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور .

(٦) النيفة اسم للتوق ، أي النخيل .

قالت وما العين ينسل كحلها      عند الفراق بمسهل يسجيم  
يا ليت أنك يا معيد بارضنا      تلقى المرادى ناريا وتنجيم  
فنصيب لذة عيشنا ورخاءه      فنكون اجواراً فاذا فنقم  
لا ترجعن إلى الحجاز فانه      بلد به عيش الكريم مقيم  
وهلم جاورنا، فقلت لها اقصرى      عيش بطيبة ويح غيرك أنعم  
أيفارق الوطن الحبيب لمنزل      ناء ويشرى بالحديث الأقدم  
أن الحمام إلى الحجاز يهيج لي      طرباً ترثيه إذا يترنم  
والبرق حين أشبهه متيامنا      وجنائب الأرواح حين تنسم

لو حذو قسم على أن لم يكن      في الناس مشبهها لبر المقسم  
من أجلها تركي القرار وخفضه      وتسجشي ما لم أكن أتجشم  
وانت كنت منذ كانت أبية      في الصدر لم يعلم بها متكلم

لا تظن أننا واجدون شعراً ، يمثل هذه الروعة ، ويمثل هذا الشمول ، يصور حياة الغربة ، من أجل حياة أفضل .

ويمكن الفرزدق<sup>(١)</sup> إلى أهله ووطنه ، حينما كان يبيت مع صعب له ، بدير حسان فيترجم أن ناقة تبكي حنيناً إلى الوطن ، ورسج حنينها ، فيذكر دياره وأهله ، فيحين حنيناً صادقاً ، حتى يضيئه السهر ، فقتل دموعه . ولديه من دواعي الحنين ، ما ينوف على دواعي حنين ناقة . قال<sup>(٢)</sup> .

وليلة بتنا ديرة حسان نبهت      هجوداً وعيساً كالخسبات ضمراً<sup>(٣)</sup>

(١) توفي عام ١١٠ هـ تقريباً . (٢) ديوان الفرزدق : ٢٤٥/١ .

(٣) الخسبات : القسي .



بَكَتْ لِنَاقَتِي لَيْلًا فَنَاجَ بِكَاءِهَا      فَوَادَا إِلَى أَهْلِ الْوَرْدِيَّةِ أُصُورًا<sup>(١)</sup>

وَحَنَّتْ حَنِينًا مَنَكِرًا هَيَّجَتْ بِهِ      عَلَى ذِي هَوًى مِنْ شَوْقِهِ مَا تَنَكَّرَا

فَبَتْنَا قَعُودًا بَيْنَ مَلْزَمِ الْهَوَى      وَنَاهَى جِهَانَ الْعَيْنِ أَنْ يَتَحَدَّرَا<sup>(٢)</sup>

تَرُومٌ عَلَى نِيْمَانٍ فِي الْفَجْرِ نَاقَتِي

وَإِنْ هِيَ حَنَّتْ كَمَنْتُ بِالشَّوْقِ اعْذُرَا<sup>(٣)</sup>

إِنَّهُ حَنِينٌ صَادِقٌ مُؤَثِّرٌ . وَمِثْلُهُ تِلْكَ الصُّورَةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي نَحْسِبُهَا بِأَعْمَاقِ عَوَاطِفُنَا ، حَيْثَمَا يَلُوحِي ابْنُ أَبِي الرَّقْرَاقِ ، عَيْنِيهِ إِلَى دِيَارِهِ ، رَجَاءً أَنْ يَرَى سَهِيلًا ، ذَلِكَ النُّجْمَ الَّذِي يَطَالِعُ أَهْلَهُ — أَيْضًا — وَالَّذِي كَانَ الْفَرَزْدَقُ وَصَّيْبُهُ ، يَسْتَأْنِسُونَ بِهِ ، وَيَشْغَلُهُمُ الْحَنِينُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى تَنْهَبُهُمُ الْحَمَامَةُ ، فَتَهَيِّجُ نَذْرَهُمْ . قَالَ (٤) :

لَوْ أَنَّ ابْنَ أَبِي الرَّقْرَاقِ عَيْنِيهِ بَعْدَ مَا      دَنَا مِنْ أَيْلِيَاءِ أَيْلِيَاءٍ وَغُورًا<sup>(٥)</sup>

رَجَا أَنْ يَرَى مَا أَهْلُهُ يَبْصُرُونَهُ      سَهِيلًا ، فَتَدَوَّرَا إِجْبَالًا عَفْرَا<sup>(٦)</sup>

فَكُنَّا نَرَى النُّجْمَ الْيَمَانِيَّ عِنْدَنَا      سَهِيلًا فَجَالَتْ دُونَهُ أَرْضُ حَمِيرَا

وَكُنَابَهُ مَسْتَأْنِسِينَ كَمَا أَنَّهُ      أَخُو خَلِيطٍ عَنْ خَلِيطٍ تَغْيِرَا<sup>(٧)</sup>

بَكَى أَنْ تَغْنَتْ فَوْقَ سَاقِ حَمَامَةٍ      شَامِيَةً هَاجَتْ لَهُ فَتَذَكَّرَا

وَلَا يَخْطِئُ . الْمُلَاحِظُ ، مَنْ يَرَى حَنِينَ الْفَرَزْدَقِ إِلَى وَطَنِهِ ، تِلْكَ الرَّابِطَةُ الْقَوِيَّةَ بَيْنَ حَنِينِهِ وَحَنِينِ نَاقَتِهِ . فَكَانَ الشَّاعِرُ يَرِيدُ أَنْ يَثْبُتَ لِنَاقَتِهِ طَرِيقَ الْمَقَارِنَةِ ، أَنْ حَنِينَهُ

(١) الْوَرْدِيَّةُ : مَوْضِعٌ . وَأُصُورٌ : أَمِيلٌ .

(٢) أَرَادَ بِجِهَانَ الْعَيْنِ : دَمْعَهَا . (٣) تَرُومٌ : تَطُوفٌ . تَحَنَّنَ إِلَى وَطَنِهَا .

(٤) دِيْوَانُ الْفَرَزْدَقِ ١ / ١٩٦ - ١٩٧ .

(٥) أَيْلِيَاءٌ : بَيْتُ الْمُتَخَدِّسِ . غُورٌ : نَزْلُ الْغُورِ . (٦) أَعْفَرٌ : مَوْضِعٌ

(٧) الْخَلِيطُ : الْمُخَالِطُ فِي الْجَوَارِ وَالْمَرْعَى .

قوى عفيف ، حتى أنه ليبلغ في شدته مبلغاً لا يصابه حنين الذوق . وباليست حين نأفقه  
 كن مرتبطاً بالمنزل ، التي يحن هو إليها . وانظر إلى الصورة الرائعة ، وشدة الشوق  
 فيها في قوله : « حنين عجول تبتغي البوراثم » ، والبور : بركة الحيوان يحشى بالبن  
 أو القش . وهم يفعلون هذا حين يموت فصيل الدابة ، ليقر به منها ، فتشم رائحته ،  
 فيدر لها . قال (١) :

تحن بزوراء المدينة نأفنى حنين عجول تبتغي البوراثم (٢)  
 وباليست زوراء المدينة اسبست بأجفان فلج أليف السكاظم (٣)

وجري (٤) يغرب ، وكان الحزن يتجسد في غربته . فهو فيها لا يزار ولا يزور ،  
 ويكتفيه حزناً ، ذلك الفراق بينه وبين أهله ، وأحبابه ووطنه قال (٥) :

كأنى بالمدبر بن زكّا وبين قرى أبي صغرى أسير (٦)  
 كفى حزناً فراقهم ولانى غريب أزار ولا أزر

وتحن قلوبهم بعد هدأتها . ويهيجها البرق ، فيطالب منها أن يكون حنينها . ويبدأ  
 ويبدأ ، لأنه هر - أيضاً - يحن وينزع إلى أهل نجد . قال (٧) :

نحن قارصى بعد هدم وهاجها وميض على ذات السلاسل لامع  
 فقلت لها حتى رويدا فأنى إلى أهل نجد من تهامة نازع

(١) الديوان : ٣٠٧/٣ . (٢) العجول . الشكى .

(٣) الزوراء : موضع عند سوق المدينة عند المسجد . وأجفان فلج وسيف  
 السكاظم : موضحان .

(٤) توفى عام ١١٠ هـ تقريباً . (٥) ديوان جريو ١٧٨ .

(٦) المدبر وزه وقرى أبي صغرى : مواضع . (٧) الديوان : ٢٩٠ .



ويذكر الشاعر في هذه الليل نرى النواظر والحزامي ، فيكاد قلبه أن يتصدغ .  
أنه موقف يزيد مرارة ، وأن اللوام ليلومونه على الصباية والحين ، وعلى تذكره  
لظن أحبابه . قال (١)

ذكرت نرى نواظر والحزامي فكاد القلب ينصدع انصداعا

الأم على الصباية والمهاري تمن إذا تذكرت النزاعا (٢)

رأيت تديرى فذعرن منه كذعر الفارس البقر الرتاعا

كأن الرتل فرق قرا جنول أقام الماتحان له الشراعا (٣)

ويحبذ جرير جبل الريان . ويحبذ ما كنه ، أيا كان ، ويحبذ النفحات اليمانية ،  
التي تأتيه من هذا الجبل . تهب شمالا ، فتذكره بالحب . وتدفقه إلى تنى عودة أيامه  
في هذا الجبل . عيش به طالما أحلولى وما لانا . قال (٤) :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ما كن الريان من كانا

وحبذا نفحات من يمانية تاتيك من قبل الريان أحيانا

هبت شمالا فذكرى ما ذكرتم عند الصفاة التي شرقى حوراننا

هل يرجعن — وليس الدهر من نجما — عيش به طالما أحلولى وما لانا  
وذو الرمة (٥) ، تمن ناقته إلى أبله بالزرق ، أو طان أهلها ، فيحسن بخينها لأنه يحسن  
مثلها قال (٦) :

(١) الديوان : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) النزاع : الواحد ، نزع : البئر القريبة القوم . والنزع : الذي يحسن إلى وطنه

(٣) قرا : ظهر . وجنول : أراد السفينة المسرعة . الماتحان : الذي يمد الشراع

ويرفقه ، وأحدهما مانع .

(٥) توفي عام ١١٧ هـ تقريبا

(٤) الديوان : ٤٩٣ .

(٦) ديوان ذي الرمة : ٧٠٩ .

تحن إلى الدهنا بخفان ناتي وأين الهوى من صوتها المترنم<sup>(١)</sup>

إلى لابل بالزرق أوطان أهلها يحثون منها كل عاباء معلم<sup>(٢)</sup>

والعرجي<sup>(٣)</sup> من شعراء الرقة والهوى، شأنه في ذلك، شأن الأحوص، ونصيب  
أنه يضني بما يملك من فن وقدرة، ورقيق عواطف وأحاسيس، على شعره، مسجاً  
من الشاعر التي يحسها دارس ديوانه.

وهو حين يذكر الديار، يحاول أن يختصمها لوريق الأحاسيس، ورقيق العواطف،  
وأنه ليقرر، بأحاسيس الأصل الأشياء، ووعيه السكامل للحنين إلى الوطن، أن  
ما يهيج ذا الهوى إلا الوطن، فهو يحس بهذه الرابطة الوثيقة، بين الإنسان  
وطنه. يهيج قلبه بعد سكونه، يهيج لأنه لمح البرق يلج لأفجاً من بلاد اليمن،  
فيعتربه الشوق إلى تلك الديار، لأنها أوطان ليلي، وحل تلك أوطان ما يثير الهوى  
والشجن؟ ويلجوه رفيقه حين يبكي، فيطالب من التلاهي أن يكف عنه، لأنه معنى  
غريب، يبكي حين يذكر أحبابه ودياره، آنذاك، يتسع حاسبه فيكف، وكان  
العرجي قد ذكره بما كان نسي. قال<sup>(٤)</sup>:

هاج قلبي بعد ما كان سكن لبريق لاح من نمر اليمن

فاعتراني الشوق لما خيلته موهناً، قد ليج وهناً والحزن<sup>(٥)</sup>

فالحي منه حي العرج إلى أظرب الأحسا إلى النصر قن<sup>(٦)</sup>

تلك أوطان ليلي وأنا ما يهيج ذا الهوى إلا الوطن

(١) الدهناء وخفان : موضعان . (٢) الزرق : أكشبه بالدهناء .

(٣) توفي عام ١٢٠ هـ تقريباً . (٤) ديوان العرجي : ٣٨ - ٣٩ .

(٥) خلت البرق وتخيلاه : تروى . موهناً : متعلق بخياله ، ووهناً : متعلق ببلج ،

وكلاهما ظرف زمان يدل على نحو منتصف الليل .

(٦) العرج : الوادي الذي ينسب إليه الشاعر . والأظرب : الروابي الصغيرة ،

والأحسا : النصر : موضعان . قن : جدير .



بات يلحاني رفيقي أن رأى — مَتَنَ الدَّمْعَ وَلِلدَّمْعِ مَتَنٌ<sup>(١)</sup>  
 قلت : يا صاح إذا ما لم تُعِنَ — فدع اللوم هوى ليلى — فن  
 يعتريه من مُحِبٍّ شَوْقُهُ نازح الدار غريب إذا شَجَنَ  
 فارعوى عن ذلك إذ فطنته للذي نلتى ، وما كان فطنُ

وهذا الحنين يلزم العرجى في قصائد كثيرة له ، بل وحتى في واقع حياته . فهو يارق ، لأنه مشوق . ويشيم سنا البرق من بعيد ، عسى أن تصدقه البروق فما يذوق النوم ، بالنظر جوابها ، وقد اعتزته صباية وشوق إلى أوطانه ، حتى يفقد الشعور بما حوله ، فيلته أصحابه ببيكائه ، وأما ناله من الوجد ، فينتبهوا إليه ، ويعذبه أحدهم . فيعذره العرجى لعذله ، لأن ذاك اللوحى ، لم يذق الحوى ، ولم يجرب العيش . قال (٢) :

أرقت بسلع أن ذا الشوق يارق لبرق تبدى آخر الليل يحقق<sup>(٣)</sup>

أشيم سناه من بعيد وربما تشأم البروق من بعيد فتصدق<sup>(٤)</sup>

فما ذقت من نوم ، وما زال عاملا إلى الصبح ذك البارق الماتى<sup>(٥)</sup>

له تعترى المرء الغريب صباية وشوق إلى أوطانه حين يرق

فنبهت لما شفى الوجد والبكا أذا للذي قد غالى وهو مطرق

عزوفاً عن الأهواء لم يحى ليله لشوق ولم يرفع إلى الجنب مرفق<sup>(٦)</sup>

(١) يلحاني : يلومنى . وستن الدمع : مداريه وطرقه .

(٢) الديوان : ٢٠ - ٢١ . (٣) سلع : جبل بالمدينة .

(٤) أشيم سناه : انظر نوره أين يتجه . (٥) عمل البرق : استمر خطفه .

(٦) العزوف : المنصرف . ويقال : رفع مرفق البعير إلى جنبه إذا عقل ، وانقل

مرفقه إذا أطلق من عقاله . يريد أن صاحبه هذا لم يقيده الحوى .

وبعد ، فن الواضح الجلي ، أن لشعراء الحاضرة ، حينئذ طاغياً إلى أوطانهم ،  
وشوقاً شديداً إليها ، وقت البعاد والفراق ، نقلوه إلينا في صور جريئة ، وعراطف  
رقيقة ، في أشعارهم التي وصلتنا ، وتناولناها بالبحث والدرس . ولكن هناك ما يلفت  
النظر ، في دراستنا لشعر الحضر ، في الحنين إلى الوطن ، ذلك هو قلة هذا الشعر في  
هذا الباب ، إذا ما قيس هذا بشعر البدو ، في الباب ذاته ، وفي الحقيقة ذاتها . وسبب  
ذلك - فيما نرى - هو أن الحضري أقل ابتعاداً عن وطنه في عادة أحواله وحياته ،  
من البدوي ، الذي يثبت حياته على التنقل وعدم الاستقرار . حتى لكان الإقامة  
طارئة على البدوي ، والترحال هو الأصل في حياته . ومن هنا قل أن نجد شاعراً  
محضراً جاهلياً ، قال شعراً في الحنين إلى الوطن . كذلك ، فإن معظم الشعراء في العصر  
الإسلامي ، كانت تغلب عليهم سمة البداوة على الرغم من عيشهم في الحاضرة ، أو  
اتصالهم بها . يضاف إلى ذلك ، أننا لم نتطرق إلى أي لون من ألوان التقليد الشعري ،  
الذي يظهر فيه الحنين إلى الوطن . من آن لآخر ، كشعر الأطلال عند شعراء الحاضرة .



## الحنين إلى الوطن في شعر المرأة

تمتاز المرأة بركة الإحساس ، ورهافة الشعور ، وشدة العاطفة ، وقد انعكست هذه العواطف والانفعالات ، على سلوكها اليومي ، وإنتاجها الفكري . ولما كان الشعر ، هو المترجم الحقيقي لما في نفس فاتلة من عواطف وانفعالات ، فقد جاء شعر المرأة رقيقاً سهلاً ، يحمل جوانب كثيرة مما تتركب منه طبيعتها . فهي ضميعة إذا ما قيست بالرجل ، كثيرة البكاء ، شديدة الحزن إذا ما فجعت بفتة حبيب أو قريب ، حريصة بكل الحرص ، على التمسك عند أهلها ، وبالقرب منهم ، بما فرقة ، ورافضة للبعد عنهم ، قاصرة عن القيام بسبل القتال والغزو ، مبتعدة عن الفحش والحجاء والسباب لأسباب ذاتية ، أهمها : الحياء والحشمة والعفة .

والمرأة تحمل هذا كله ، مختارة تارة ، مجبرة أخرى . وربما كانت هذه العوامل ، هي التي أدت إلى أن يسود شعر المرأة ، في لون واحد تقريباً وهو الرثاء والحزن والبكاء (١) . وكانت هي السبب - أيضاً - في أن يكون هناك تشابه كبير بين أشعار كثير من النساء . لدرجة أن المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد قال : « فمن الجائز أن تجمع شعر النساء كله في ديوان واحد ، وتخطط بعينه ببعض ، ولا يرى فيه التمايز ما يمتنع أن يقول : أنه ديوان شاعرة واحدة . فهي « أنوثة » واحدة ، تكاد أن تنابس بشخصية واحدة وتعبير عن سابقة واحدة (١) » .

وقال في مكان آخر : « ففي رثاء المرأة ، « أنثى » واحدة تسمع منها عولة الجفاس الإنثوي على وتيرة مشابهة ، وتستطيع بنفسه جهد أن تخطط بين عشرين قصيدة ، لعشرين شاعرة ، فلا ترى بينها ، ما يشترك إلى استغراب هذا الخطط بين عباراتها ومعانيها . ولكنك تشعر بهذه الغرابة ، إذا خلطت بين قصائد ثلاث ، في موضوع

واحد من موضوعات الرثاء ، التي ينظمها شعراء الرجال (١) . وربما كانت هذه العوامل ، هي العيب في قوة شعر النساء ، أو في قلة ما وصلنا من شعرهن — على أقل تقدير . إذ أن الرواة ، اهتموا بحفظ الشعر الذي كثر فيه الغريب ، أو الذي فيه المدح والفخر بالقبيلة ، والذم والهجوم لخصومها أو ما يتصل بالحروب والغارات ، والحفاة عامة ، أو بما فيه الفحولة والجزالة . وشعر النساء خلو من هذه المميزات ، التي امتلأت بها قصائد كتب المختارات الأولى من الشعر ، كالمعلقات التي اختارها حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ هـ ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي المتوفى عام ١٧٠ هـ ، والمفضليات للمفضل الضبي المتوفى عام ١٧٨ هـ ، والأصمعيات للأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ . إذ جاءت هذه الكتب خالية من شعر النساء إلا فيما ندر (٢) .

ولئن كان الرجل يحن إلى وطنه ، وعشيرته وأهله ، فيقف على ديارهم وأطلالهم ، ويبكي ويبكي ، بهشيق حينا ، وتكلم حينا آخر ، فإن المرأة أعنف شعورا بالحنين إلى الوطن ، رغم أنها لم تقف على الأطلال ، المرأة — في رأينا — أرق عاطفة ، وأرشف احساسا من الرجل لذلك كان حنينها إلى وطنها وأهلها حنيناً مليئاً باللوعة والاسى ، وذلك بفعل عوامل كثيرة ، مردها الأول والآخر ، رهافة حسها ، ورقة عاطفتها .

ففي جميع النصوص التي بين أيدينا ، نلاحظ أن المرأة تحن إلى الوطن ، مفضلة إياه على الزوج وعلى الديار التي تسكنها معه . ونلاحظ خلو شعر النساء — الذي وصلنا — عن آفات ، من ظامرة سبق أن توضحنا في شعر الرجل ، سواء في الجاهلية ، أم في الإسلام ، أم فيما تلاخذا من عصور ، ألا وهي ظاهرة ذم الأوطان ، والمذمومة إلى الاغتراب . وذلك مما يوضح لنا أن المرأة أشد من الرجل في عمق اتصالها بوطنها وإحساسها المتاع بالغيرة ، في حين يدعو الرجل من آن لآخر إلى الغربة عن الوطن وهجره . وإلّا مرد موقف المرأة هذا ، يعود بالدرجة الأولى ، إلى قوة الرابطة التي تشدها برأسها ، وعائلتها ، وعشيرتها . ففي الوقت الذي تعود فيه البدوي الهجرة عن وطنه ، سعياً وراء العشب ، أو التجارة ، أو الحروب ، أو الفتن ، كانت المرأة أقل منه مشاركة في هذه الحياة العامة . فلا غرو بهدئذ أن يعتف حنينها ، وتعشق عواطفها ، وترتبط ارتباطاً قوياً بوطنها .

(١) المصدر السابق (٢) ينظر ما كتبه الدكتور أحمد محمد الحرفي في كتابه المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٦٠٦ .



ولقد أشار الدكتور أحمد محمد الحوفي إلى الحنين إلى الوطن عند المرأة ، وأشار إلى قوته وعنفه . لكنه عند عاطفتها وعاطفة الرجل سواء في هذا الحنين (١) .

وبينا نرى أن الرجل — بتأثير الإسلام — قد انشغل نوعاً ما بالفتوحات ، وبتعاليم الدين الجديد ، نرى أن النساء ، مع مساعدة قسم منهن في الحياة العامة ، إلا أنهن ، في الغالب ، لم يتغيرن تغيراً كبيراً . إذ بقيت عواطفهن هي هي . كما أن الإسلام قد عمل على توكيد هذه العواطف . فظلت المرأة هي هي ، من حيث ارتباطها بعائلتها ، أبيها وأُمها وأخوتها ، والوطن الذي يعيشون فيه ، والذي كانت تعيش معهم فيه . كما ظلت المرأة هي هي ، من حيث رقة عواطفها ، وعمق شعورها ، وارتباطها بطفولتها وبقاعاتها لذلك ، كان من العسير عليها ، إن لم يكن من المستحيل ، أن تنسجم مع الحياة الجديدة ، التي تختلف اختلافاً كلياً عن حياة البادية ، ذلك حين ينتقل بها زيارتها إلى الترع والآبار والخواضر . فيشتد وجيب قلبها ، ويشتعل حنينها ، كلما سمعت هديل الحمام ، أو مرت عليها نسبات الريح ، أو كلما لاح لها ظريها البرق المتلألئ في السماء من ديارها .

ونظراً لعدم تغير المرأة ، واستمرار عواطفها على الوتيرة ذاتها من جهة ، وعدم تمسكتنا من فرق الشوارع حسب التسلسل الزمني — رغم الجهد الكبير الذي بذلناه في هذا المجال — من جهة أخرى ، فإننا آثرنا أن نجعل موضوع المرأة دون تمييز بين الجاهليات والإسلاميات ، لعدم تصريح المصادر التي بين أيدينا بالزمن الذي عاشت فيه هؤلاء الشوارع . كما أننا لن نبحث شعر المرأة على الأساس الذي سبق أن بحثناه في شعر الرجال ، بأن نقسمه إلى شعر البادية ، وشعر الحاضرة ، وذلك لأن معظم الشعر الذي بين أيدينا ، من شعر نساء البادية ، وقليل جداً ذلك الشعر الذي فيه حنين إلى الوطن عند شوارع الحاضرة .

والآن نحال بجمهرة من القصائد ، التي وقعت بين أيدينا ، مما يدل على صحة الآراء التي أبتناها في مطلع هذا الفصل .

هذه رامة بنت حصين الأسدية ، يلومها الحضر إذ تساكثهم على حنينها المتسكاث إلى نجد . فتعجب أن تلام على حنينها . وتري كل شيء تساكثه يذكرها بنجد ويزيده .

حينئذ إلى به ، قمرى ربح الجنوب تذكرها به وهى تحمل إليها الرائحة من هناك ، وترى  
البرق يهيجها حين يلع ، كأنه يلع من نواحي نجد ، ثم يأخذها الحنين فتذكر أخص  
ما يهيجها من نجد ، تذكر الحو ، وتذكره وهو مروع ، مشر الشجر ، وتذكر  
صوت المسكاكى وقد تردد صدى صوته بعد منتصف الليل ، وسمعه الأرق السهران .  
فانظر إلى ذكرها الأرق والسهر بعد منتصف الليل ، فهو دليل على ما تعانيه من تلك  
الحالة التى تعيشها ، تقول (١) :

ألام على نجد ومن بك ذا هوى      يهيج به للشوق شئ يرا به  
تهيج الجنوب حين تغدو بنشرها      يمانية والبرق إن لاح لامه  
ومن لامي في حب نجد وأهلها      قليم على منى وأوعب جادعه (٢)  
لمرك الغمران غمراً مقليد      فذو نجب غلانه فذوافده (٣)  
وخو إذا خو مسفته ذهابه      وأمرج منه تينه وريائه (٤)  
وصوت مكاكى تجاوب موهنا      من الليل من يارق له فهو ساممه (٥)  
أحب إلينا من فراريج قرية      تراقى ومن حى تنق ضفادعه

وما جدة البكرية ، مخاطب جبال الفور ، وتطلب منها أن تخلى بينها وبين الصبا ،  
لأنها طالما حالت ذراها بينها وبين قمرى نجد تلك البلاد التى فيها وطنها ، وأهلها  
وعشيرتها ، تقول (٦) :

- (١) معجم البلدان : ٢١١/٤ .  
(٢) أوعب جادعه : قطع لسانه ، وفى الشتم يقال : جادعه الله جادعاً موعياً .  
(٣) الغمران : تشية الخمر ، وهو الماء الكثير المغلىق ، وهو اسم موضع فى  
بلاد بنى أسد .  
(٤) خو : موضع . (٥) المسكاكى : طائر صغير يزقو فى الرياض .  
(٦) معجم البلدان : ٢/٤١٧ .



ألا يا جبال الغور خَلِّينَ يَدِنَا      وبين الصبا يجري علينا شَنِينُهَا<sup>(١)</sup>  
لقد طال ما جالت ذرا كنَّ يَدِنَا      وبين ذرى نجدٍ فما نَسْتَبِينُهَا<sup>(٢)</sup>

وترد رامة بنت الحصين الحضر ، فلا تستطيع أن تلتصم معه ، لذلك نجدها -  
تتمنى أن تعود إلى الريف ، وإلى القرى التي ليست بها دور ، وهي تأمل لأنها  
تبدلت من نجد وما كنه أرضاً بها يزقو الديك وتموء السنانير ، وهذا شيء غريب  
عليها . تقول (٣) :

يأليت شمري وليت أصبحت غصصاً      هل أهبطن قرية ليست بها دورُ  
لقد تبدلت من نجدٍ وما كنه      أرضاً بها الديك يزقو والسنانيرُ

وزينة الحميرة تزوج فيحطرها من البادية إلى الحضر ، وقال يوماً : أليس  
هذا الحضر أطيب مما كنت فيه في البادية ؟ فتذكر ذلك ، وتفضل مظاهر البداوة  
المخشنة ، ورياح نجد على حياة الحضر وملاعبه . وتقسّم أنها مهما طال بها المدى ،  
فإن تنسى أبدأ ديارها في البادية ، وذكرياتها في نجد . ونظر إلى الصورة الفنية  
الرائعة في البيت الأول . تقول (٤) :

أقول لأدنى صـاحبي أسره      وللمين دمعٌ يحذر الكحل ما كبه  
لعمري لنعمى باللوى نازح القذى      نقي الزواحي غير طرقي وشاربه<sup>(٥)</sup>  
أحبُّ إلينا من صهاريج مُلئت      للعب ولم تملح لدى ملاعبه<sup>(٦)</sup>

(١) الشنين : هنا المنيب .

(٢) جالت : كذا في معجم البلدان ، وأظنها : حالت .

(٣) شاعرات العرب : ١٢٧ .

(٤) رسائل الجاحظ : ٢/٣٩٨ - ٣٩٩ . ومحاضرات الأدباء : ٤/٦٢١ - ٦٢٢ .

(٥) الطرقي ، بالفتح : المطروق الذي قبول فيه الإبل وتبهر .

(٦) الصهاريج : كالحياض يجتمع فيها الماء .

وريح صبا نجد إذا ما تنسمت ضحى أوسرت جُحُجُ الظلام جناباً<sup>(١)</sup>  
 فيا حبذا نجد وطيبُ ترابه إذا هضبت به بالمشى هواضبه<sup>(٢)</sup>  
 وأنسم لا أنساه ما دمت حية وما دام ليل من نهار يعاقبه  
 ولا زال هذا القَطَرُ يسفر لوعة بذكره حتى يترك الماء شاربَه

وتسائل امرأة من بنى الصادر ، رفقة من دير بصرى ، عن الصادرى ، وتحملهم  
 التحيات إليه . وتساءل هل يمن الدهر عليها يوماً برؤيته ، وهل تتيح لها الأيام  
 أن ترد ماء رقيقاً فأنظرها وهي تصور حال الصادرى — وكأنه أبوها أو أخوها ،  
 أو حبيب لها — وهو مكبل من حبها ، وانظرها وهي تمنى أن ترى جانب الخى وهو  
 ملى بالخصب والنماء . ثم هى تمنى أن ترد ماء وقيمة — ماء فى ديارها — أنها  
 العاطفة الصادقة ، التى تذكرها نار الشوق والحنين . تقول (١٢) :

أيا رفقة من دير بصرى تحملت تؤم الحمى لقيت من رفقة رشداً<sup>(٣)</sup>  
 إذا ما بلغت مسالين قبلغوا تحية من قد ظن أن لا يرى نجداً  
 وقالوا تركنا الصادرى مكبلاً بكبيل الهوى من حيم مضيراً وجداً  
 فبالت شمرى هل أرى جانب الخى وقد أنبت أجزاعه نقلاً جعداً<sup>(٤)</sup>  
 وهل أردن الدهر ماء وقيمة كأن الصبا تسدى على مثنه بردى

(١) الجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تقابل ريح الشمال .

(٢) يقال هضبتهم السماء أى أمطرتهم .

(٣) شاعرات العرب : ٤١٧ . (٤) دير بصرى ، والحمى ، موضعان .

(٥) الجرعة : الرملة الطيبة المنبت . والنفل هنا : نبت من أحرار البقول زمره

من طيب الرائحة ، تسن على الخيل .



ويذكر الرواة أن رجلا من طى ، ارتحل مع زوجته إلى ديار أهلها ، بعد قحط  
أصاب ديار أهلها . فحين وصلت إلى دياره ، نظرت إلى السدر ، فسأله عنه . فأخبرها .  
ثم نظرت إلى النخل ، فلم تعرفه ، فسأله . فأخبرها . فالتأتأت عبر عن حينها إلى  
وطنها ، وتبين أن حبها لنبت البادية ، أكثر من حبها لنبت الحاضرة . وأنها تحب هذا  
النبت أن تسقيه الغواذى ، ولا تحب أن يروى بغيرها . وترى شقاءها بضغث من  
الآلاء ، وهو نبت الصحراء . تقول (١) :

ألا لا أحب السدر إلا تكلفا      ولا لا أحب النخل لما بداليا  
ولسكنى أهوى أراضى مطعم      سقاها رب العرش مزنا عواليا  
فيا صاعدا للنخل الشية لرائى      بنزغى آلاء كان أشنى لمايا

وامرأة أخرى من تميم ، هى العيوف بنت مسعود ، تهب عليها الآرواح ؛ فتخرج  
حبابتها ، ويرشح الهم فؤادها . فتتمنى ألا تهب على صحراء فلج — موطنها — ربح  
الجنوب . وتود أن يظل هبوبها شمالا ، وذلك لأن ربح الجنوب ليست عما يشتهى  
عندهم ، وأن ربح الشمال هى المشتهاة . ثم هى تمنى أن تحمل لما هذه الريح نفحة من  
رمث حزوى — والرمث نوع من الحمض تشناه الإبل وتمن إلى رعيه ، وفى أساس  
البلاغة للزمخشري (٢) :

ألا حنت المرقال واشتاق ربها      تذكر إرمائنا واذكر معشري  
ولو علمت صرف البيوع لسرها      بمكة ان تبتاع حنفا بأذخر<sup>(٣)</sup>  
نقول : تهب الريح ، فتخرج حبابتها وتقول (٤) :

إذا هبت الأرواح هاجت حباية      على وبرحا فى فؤادى همومها

( ١ ) معجم البلدان : ١٤٩/٥ .

( ٢ ) أساس البلاغة للزمخشري : ٢٦٩/١ .

( ٣ ) الأذخر : حشيش طيب الريح . ( ٤ ) معجم البلدان : ٢٧٢/٤ .

ألا ليت أن الريح ماحلٌ أهلها      بصحراءٍ فليج لا تهب جنوبها  
وآت يميناً لا تهب شمالها      ولا تُكَبِّها إلا صباً تستطيرها  
تؤدي لنا من رمتِ حزوى هديةً      إذا نال طللًا حزنُها وكثيبُها

وتقول وجهة بنت أوس القصيبة ، أن إحدى العاذلات قد لامتها على ما يبدو  
منها من شوقٍ وصبايةٍ لوطنها ؟ فاستغرب وجهها هذا المثل . فهاذا في الأمر من  
مستنكر ، حين نحن إلى أرضٍ عشيرتها ، ونحب ديار أهلها ١٩ . ثم تؤكد هذا المعنى  
حين تذكر أن الريح لو كانت تهمل وتفهم ، لحاطبتهم وتاجتهم ، وحملتهم تحيئها ،  
وطلبت إليهم أن تبت هذه النجوة نقيّة خالصة ، نابعة من القلب ، غير مختلطة بتراب  
الريح . وانظر إلى الصورة التي رسمها حينما نال ربح الشمال ، التي تهب من ناحية  
وطنها ، وهل ازداد قرب صдах النيرة — وطنها — نتيجة هبوب هذه الريح من  
ناحية ١! . تقول (١) :

وعاذلة تغدو على تلومني      على الشوق لم تمسح الصباية من قلبي  
فألى أن أحيت أرض عشيرتي      وأبغضت طرقاتي      من ذنبي (٢)  
ولو أن ريحاً بلغت وحى مزيل      حني لنا جيت الجنوب على النقب  
وقلت لها أدّى إليهم تحيتي

ولا تخطيها — طال سمكك — بالترب

فإني إذا هبت شمالاً سألتها      هل ازداد صдах النيرة من قرب (٣)

وتزوج أم موسى بنت سدة الكلابية رجلاً من حجر ، وتقل معه إليها .  
لكن فرحة الزواج لا تشغلها طرفة عين عن الحنين إلى وطنها وأهلها . وتفضل الموت

(١) المنازل والديار : ٢٠٨ . (٢) طرفاء القصيبة : موضع

(٣) صдах النيرة : موضع .



بوطنها على الموت بحجر ، وتكره العيش في دار ذات حيطان في الحاضرة ، وتحبذ  
العرف الأعلى ، — وطنها — واسكن ما حيلها ، غير أن تبيت ترقب نجم الليل  
قاعدة حتى الصباح ، وهي في لوعة وحسرة من الحنين . تقول (١)

قد كنت أكره حجراً أن أموت بها      وأن أعيش بأرض ذات حيطان  
يا حبذا العرف الأعلى وساكنه      وما تضمن من قرب وحيران (٢)

وهذا الحنين يدفعها إلى الدعاء ، على الشيخ بن حيان ، الذي كان السبب فيها  
يبدو في هذه الهجرة فنقول :

لولا مخافته ربي أن يمدبني      لقد دعوت على الشيخ بن حيان (٣)  
فاقر السلام على الأعراف مجتهداً      إذا تأطم دوني باب سيدان (٤)

وتدعو امرأة من حلب ، بالسقيا لمنازلها وديارها بين شرح ، ونواظر ،  
وأوساط الشقيق . وكيف لا تدعو إلى هذه الديار ، وهي لو تركت على هواها ،  
لا طالت فيها المقام ، وانظر إلى حالة الضعف التي تبديها ، وهي المرأة العربية القديمة  
التي لا حول لها ولا قوة ، أمام الرجل — زوجها — فهي تقول : لو أننا نطاع  
متبعة الطاعة لها ولكن أنى لها ذلك ! وحينا تياس من ذلك لا تنفك مشهدة سلامها  
إلى هذه الديار ولمن يحلمها ، شوقاً وحسناً لها ولمن فيها . تقول (٥) :

سقى الله المنازل بين شرح      وبين نواظر ديماً رهاماً  
وأوساط الشقيق شقيقاً يسى      سقى ربي أجارعها الغمام

٥

(١) معجم البلدان : ١٠٥/٤ — ١٠٦

(٢) العرف : يسكنون الرام : موضع في ديار كلاب

(٣) ابن حيان : أبوها .

(٤) الأعراف : كل عال مرتفع . وتأطم : تكسر . وسيدان : زوجها .

(٥) المنازل والديار : ٢٤ .

فأنا نطاعُ إذا أمرنا أطلنا في ديارهم المقاما

فأني لا أني ما عشتُ أهدى لها ولمن يزل بها اللاما

وما يعني السلامُ إذا نزلنا لوى لامرُ الأمِ الله لاما<sup>(١)</sup>

وتتزوج تماضر بثت مسعود ، في مصر من الأمصار ، فتحن إلى وطنها بطبيعة الحال ، إذ لا تستطيع ، فيما يبدو ، الانسجام مع الحياة الجديدة في القرية ، إذ أنها قد نشأت في بيئة صحراوية بدوية ، لا تستطيع ، بعد ذلك ، أن تحبس في قرية ، وهي بنت البادية تقول (٢) .

لعمري لجمٌ من جواء سوبقة<sup>(٣)</sup> أو الرمل قد جرّت عليه سيورها<sup>(٤)</sup>

أحبُّ إلينا من جداول قرية تموض من روض الفلاة فسيلها<sup>(٥)</sup>

ألا ليت شعري لا محبتُ بقية عمرٍ قد أتاها سيابها

ونقول مرة أخرى ، أنها تحب المكاكي وأصواتها ، وصوت الصبا في مجمع الرمث والرمل ، والصوت الذي تهيج بسوبقة ألاء وأبساطاً ، أنها تحب هذه المظاهر البدوية ، لأنها قد تغلغل في مشاعرها منذ الطفولة . أما حياة القرية ، وصياح الدجاج والديكة ، وأصوات الريح في سعف النخيل ، فأنها طارىء جديد لا يستطيع أن تندمج معه أو تحبه ، أنها وفيه لمظاهر حياتها الأولى . تقول (٥) :

لعمري لأصخابُ المكاكي بالضحى

وصوتُ صبا في مجمع الرمث والرمل

(١) لوى لام : موضع . (٢) معجم البلدان : ٢٨٧/٣ .

(٣) جم : كثير . وبترجمة وجموم : كثير الماء . وهنا تعني ماء للشاعرة .

(٤) الفيلة : الصغيرة من النخل ، والجمع فائل وفيل .

(٥) البلدان : ٢٨٧/٣ .



وصوتُ شمالٍ هُتِجتْ بِسَريقتِهِ      ألاءُ وأسباطا وأرطى من الحبلِ  
أحبُّ إلينا من صياح دجاجةٍ      وديكٍ وصوتِ الريحِ من مَعَفِ النخلِ

وتكره امرأة من بني عبد الله بن دارم ، مظاهر الإقامة في البصرة ، فنخاطب  
نخلتي ثروان ، بأنها شامت أن يفارقها حفيها ، الذي يوقد في قلبها نار الشوق والحزن  
ويذكرها بديارها وأهلها . تقول (١) :

أيا نخلتي ثروان شئت مفارقي      حفيها ، ياليتني لا أرا كما<sup>(٢)</sup>  
أيا نخلتي ثروان لا مرَّ راكبٍ      كريمٍ من الأعراب إلا رما كما

وبلغ الحزن عند المرأة أوجه ، حين تكره كرهاً على الخروج من دارها ، خاصة  
حين تكون أمة تباع وتشترى . يحدثنا ياقوت ، أن هشام بن الوليد ، حدث عن  
أبيه قال : خرج قوم من مكة نحو الشام ، وكنت فيهم فبينما نحن نسير في بلاد الأردن  
الأردن من أرض الشام ، إذ رفع لنا قصر . فقال بعضهم لبعض : لو ملنا إلى هذا  
القصر ، فأقمنا بفنائمه حتى نستريح ، ففعلنا . فبينما نحن كذلك ، إذ انفتح باب القصر ،  
واتفرج عن امرأة مثل الغزال المطعان فرمقنا كل واحد منا بعين وامتق ، وقلب  
عاشق . فقالت من أمة البيت : نعم ، ومن أي البلاد ؟ قلنا نحن أحبايم من حمير  
فقال : أفبكم من أهل مكة أحد ؟ قلنا : نعم . فالتأت تقول :

من كان يسألُ عنا : أين منزلنا      فالأجراثة منا منزلٌ قن<sup>(٣)</sup>  
وإن قصرى هذا ما به وطني      لكن بمكة أمسى الأهل والوطنُ  
إذ تلبس للهيش صقراً ما يكدره      قولُ الوشاة ، وما ينبو به الزمنُ  
من كان ذا شجنٍ بالسلم ينزله      فبالأباطح أمسى الحسم والحزن<sup>(٤)</sup>

(٢) ثروان : جبل لبني سليم .

(١) المصدر السابق : ٧٧/٢ .

(٤) الأباطح : موضع .

(٣) منزل قن : أي جدير أن تسكنه .

ثم شرفت شهقة ، وخررت مذنباً عليها ، فخرجت عجوز من القصر ، فنضحت الماء على وجهها وجعلت تقول :

في كل يوم لك مثل هذا مرات      تالله الموت خير لك من الحياة (كذا)

فقلنا : أيتها العجوز ، ما قصتها ؟ فقالت : كانت لرجل من أهل مكة ، فباعها فهي لا تزال تنزع إليه حنيناً وشوقاً (١) . أرأيت كيف ترفض العيش في القصر العظيم لأنه ليس وطنها ، وإنما وطنها في مكة حيث الأهل والأحباب ، وحيث الديار التي نشأت فيها ، وحيث العيش صفو مابعد كدر . إنه الوطن ، وأنه الحنين الطاغى إليه .

وتفصح إحدى النساء ، حين تزوج وتحن إلى وطنها ، عن السبب الذي حداها إلى الحنين . ذلك أنها مرتبطة بأهلها ، وبشيء آخر لا يقل عن أمها حياً وتقديراً ، وهو ماء أبضع وضبيج ، وهي مياه في ديارها . تسمى من هذه المياه ، شربة تروى بها ظمأها ، وتعطى نار شوقها وحنينها . قالت (٢) :

ألا ليت لي من وطبٍ أُمى شربة      تشاب بماء من ضبيج وأبضع (٣)

وتقول إحدى النساء ، وقد انتقلت إلى الشام ، حين زوجها عنها رجلاً شامياً ، فلا تستطيع أن تتخذ موقفاً من ديارها إلا الحنين إليها . وماذا بيدها أن تفعل ، وعليها أن تنتقل إلى الشام بصحبة زوجها ، فتخاطب خليليها — وتصفهما بأنهما موضع ثقها — أنها تدعو بالسقيا لبلادها ، لأنها تحبها . وتحب ساكنها . كما أنها تمنى أمنية أبعد من هذه ، ألا وهي أن تبدل من عمها بعم آخر ، لأنه هو السبب — فيما يبدو — فما جرى لها . وتتمنى أن تبدل بأبناء عمها بخيرهم من الموالى ، فكانهم رقصوا الزراج منها وإبقاءها في وطنها بين أهلها وعشيرتها . تقول هذا رغم أنها — فيما يبدو — تحب زوجها الشامي ، إلا أنها أكثر حياءً لوطنها منه . تقول (٤) :

(١) معجم البلدان : ١ / ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٧٢ .

(٣) أبضع وضبيج : ماء ان لبنى بكر . ووطب : سقاء اللبن . وتشاب : مخلط

(٤) المنازل والديار : ٢٤٩ .



ألا يا خليلي — إلى الذين أراهما ذوى ثقتى من دون من كان حافا

مضى الله — والسقيا إليه — بلادنا بحزم قناوين الذهب الغوادية

بلاد جميع والمظيم أحبهم وإن كنت قد أيقنت ألا تلتانيا

ألا ليت لي عما بهى وليت لي مكان بنيه من معد مواليا

أناسا إذا خافوا على ظلامه وضياء أحاطوا بالقنا من ورائيا

فلا بارك الرحمن في وجه حرقه يمانية بمدى تحب شاميا

وكما خاطبت الدارمية مخاني ثروان ، تخاطب أسماء المريذة جبلى نعمان ، أن يخليا

نسيم الصبا يصل إليهما ، أن نسيم الصبا إذا هب على قلب محزون ، يتخلى عن همومه

وحزته ، كما أنها تجد لها برداً ، وتشفى حرارة كبدها . ثم تنبجه إلى جبلى عويسرة ،

أن يترك الجنوب تمر ، لعل هذه الجنوب تداوى عنها ، ولكن كيف تداوى الريح

الشوق الماثل ، والمين التي طال سحاج دموعها ؟ وانظر إلى ما يتركه قولها وأنها غريبة

من أثر في النفس ، ودلالة عما تعاني من تلك الغربة ، من شوق وحنين إلى أهلها

وطونها ، أنها مقطعة الأحشاء من جوى الهوى ، ومن تباريح الشوق ، الذي يعكف

عليها ، ولا يريمها تقول (١)

يا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

فأن الصبا ربح إذا ما تنفست على قلب محزون تجأت همومها

أجد بردها أو تشفى من حرارة على كبده لم يبق إلا صميمها

أيا جبلى وادى عويسرة التي نأت عن نوى قوم وحم قدومها (٢)

ألا خليا بجوى الجنوب لعل يدارى قواذى من جواد نسيمها

(١) شاعرات العرب لعبد البديع صقر : ٨ .

(٢) عويسرة ، نخل لبنى ربيعة باليمامة .

وكيف تداوى الريح شوقاً كما طلاً  
وعينا طويلاً بالدموع مسجوماً  
وقولا لركبان تيممة غدت  
إلى البيت أرجو أن تحط جروماً<sup>(١)</sup>  
بأن بأكناف الرغام غريبة  
مولمة تشكى طويلاً نثيمها<sup>(٢)</sup>  
مقطعة أحشاؤها من جوى الهوى

وتبريح شوق عاكف ما يريها

وتخاطب جمل العلية دار يلجأ ، بأنها أحب ديار الله إليها ، لأنها أول أرض  
بها علق الشباب تمانئها ومس جسمها تراها ، فبلادها أحب بلاد الله إليها في حالتها  
الحبيب والسعيد !! تقول (٦) :

ألم تسلمى يا دار بل كجاء أننى  
إذا أخصبت أو كان جد باجناً بها  
أحب بلاد الله ما بين منعج  
إلى وسلمى أن يصوب سحابها<sup>(٤)</sup>  
بلاد بها علق الشباب تيمتى  
وأول أرض مس جسمى تراها<sup>(٥)</sup>

وتحن ناقة زينب ، فتبجج هواها ، ويذكرها ذلك الحنين بوطنها ، فخالها حينئذ  
لا أن تشكو خالها إلى نائها ، مما تعاني من الشوق والبعد والحنين إلى قومها ووطنها  
تقول (٦) :

إذا حنت الشقراء هاجت إلى الهوى  
وذكرنى للحرّتين حينئها<sup>(٧)</sup>  
شكوت إليها نأى قومي وهجرهم  
وتشكو إلى أن أصيب جنينها

(١) جرومها : جمع جرم وهو الذنب (٢) النثيم : الصوت الضعيف الحنى

(٣) شاعرات العرب : ٤٨ (٤) منعج وسلمى : موضعان .

(٥) علق : نشأ . ويقال للصبى إذا نشأ مع حتى حتى شب وقرى فيهم : تنفقت

تيمته في بني فلان (٦) شاعرات العرب : ١٤٦ (٧) الحرّتان : موضع



وقناة أعرابية ، يحملها زوجها إلى مكان قصي ، فأصبح هواها يمانياً ، وراحت  
تسأل عن جبل نعمان وواديه — وطنها — الذي تكتنفه الغلال والمشارب ،  
فيرتوي به القلب الصادي ، فكأنها لم ترتو بما عندها من ماء ، ولا يوجد الماء الذي  
يروي ظمأها ، إلا في وطنها ، تقول (١) :

ألا أيها الركبُ اليمانيون عرجوا      علينا فقد أضحي هوانا يمانيا  
نسائلكم هل سأل نعمانُ بعدنا      وحُبُّ إلينا بطنُ نعمانٍ وادياً (٢)  
فإنَّ بهِ ظليلاً ومشرباً      بهِ تنقع القلبَ الذي كان صادياً

وتحن قلوب أم المثلم الهذلية ، بعد هدوء صبايتها ، فيرتاع قلبها ، كما يرتاع قلب  
قلوصها ، لكنها تحاول تصبرها وتمزيها ، وتمزي نفسها ، بأن كل قرية لا بد أن تنارق  
قربنها ، لكن هذه القلوب لا ترعوى ، وهل لها ذلك ، وهي يغلبها الشوق والحزن ،  
وكانت هي حال أم المثلم كذلك ، تقول (٣) :

سألت قاريها بعد هدوء صبايتها      فيا روعة ما راع قلبي حينها  
حنت في عقاليها وشبَّ ليعينها      منا بارق يسرى فجئنا جنونا  
فقلت لها صبراً فكلُّ قرينة      مفارقها لا بد يوماً قرينها  
وما برحت حتى أروعونا لصوتها      وحتى أنبري منا معين يعينها  
وقلت لها حني رويداً فأني      وأياك تبدي عولة صنيديها

وميسول بنت بحدل الكلابية ، يزوجها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ،  
ويسكنها القصور المنيفة ، ومافي هذه القصور من ناعم المأكول والملبس ، والحيوانات  
الآليفة ، ونقر الدفوف ، والعيش الطريف ، لكنها لا تعجبها كل مظاهر الحضارة  
هذه ، بل تنحن إلى الخشونة في حياة البادية ، وذلك لأن مظاهر الخشونة قد أشربتها

(١) شاعرات العرب : ٣٠٧ .

(٢) نعمان : هو نعمان الأراك ، وهو واد بين مكة والطائف .

(٣) شاعرات العرب : ٣٨٩ .

في دمه وأحاسيسها ، حتى أصبح منهوم الوطن الشريف عندهما ، يرتبط ارتباطاً كلياً بالحسنة في الحياة . وكيف لا ١٤ وتلك الحياة حياتها ، وطنها ، وطفولتها ، وبقايتها ، أمها وأبوها وأهلها وعشيرتها ! تقول (١) :

ليبت تخفق الأرواح فيه      أحبُّ إلى من قصر منيف  
وبكر يتبع الأظمان مقباً      أحبُّ إلى من بذر زفوف<sup>(٢)</sup>  
وكلب ينبج الطراق غني      أحبُّ إلى من قط آليف  
ولبس عباءة وتقر عيني      أحبُّ إلى من لبس الشفوف<sup>(٣)</sup>  
وأصوات الرياح بكل فج      أحبُّ إلى من أكل الرغيف<sup>(٤)</sup>  
وأحرق من بني عمي فقيف<sup>(٥)</sup>      أحبُّ إلى من نقر الدفوف  
وخشونه عيشتي في البدو أمهي      أحبُّ إلى من نقي العيش الطريف  
فما ابني سموي وطني بديلاً      فحسبي ذلك من وطن شريف

أرأيت كيف أنها تفضل كسرة الخبز في وطنها ، على الرغيف في غيره ، وكيف أنها ترفض البديل لوطنها ، إذ أنه هو الوطن الشريف ، على حد تعبيرها .

(١) المصدر السابق : ٣٩٦ :

(٢) البكر : الفتى من الإبل . والسقب : المذكر من ولد الناقة . وزفوف : مسرع .

(٣) الشفوف : جمع شف ، بكسر الشين وفتحها وهو الثوب الرقيق .

(٤) الكسيرة : القطعة من الخبز . والكسر : طرف الحباء من الأرض .

(٥) الحرق : الكريم . والداج : الصلب الشديد ، وبه سمى حمار الوحش ،

وهي تقصد هنا ممارسة زوجها .



وتحن امرأة من بني عامر ، إلى ديارها وأيامها ، حين تأتي الرياح الحيف — من  
من ناحية هذه الديار — التي يلد لها جسم هذه المرأة ، فتداعبه حين هبوبها . وكم  
حارلت هذه المرأة أن تنسى قومها وأرضها ، لكنها تفشل في خداع نفسها ، إذ هي  
في خداعها لنفسها ، كالسكران الذي يخادع الصاحي ، تقول (١) :

سبًا ورعيًا لأيام نشوقنا      من حيث تأتي رياح الحيف أحيانا (٢)  
تبدولنا من ثنایا الضمر طالعة      كأن اعلامها جملان تيجانا (٣)  
هيف يلد لها جسمي إذا نسمت      كالخضرمي هنا مسكا وربحانا  
يا حبذا طارق وهذا الم بنا      بين الذراعين والأخراب من كانا (٤)  
شبهت لي مالسك يا حبذا شبيها      اما من الأنس او ما كان جنانا  
ماذا تذكر من ارض يمانية      ولا تذكر من أمسى بجوزانا (٥)  
عمداً أخادع نفسي عن تذكركم      كما يخادع صاحي العقل سكرانا

ويرق شعر الحنين إلى الوطن عند المرأة ، أكثر فأكثر ، حين تطالع أبيات ليلي  
لخفيفة (٦) ، التي تصور فيها عذابها وعناءها ، وهي بعيدة عن أهلها ، في قصيدتين  
جملتين ، ذكرهما صاحب شعراء النصرانية ، تذكر الأولى منهما ، رغم أنها لا تضم

(١) شاعرات العرب : ٤٠٣ .

(٢) الحيف : وريح حارة تأتي من نحو اليمين .

(٣) الضمر : جبل ببلاد بني قيس .

(٤) الذراعان : هضبتان في بلاد عمرو بن كلاب . والأخراب : موضع بتجد .

(٥) جوزان : بلدة باليمن .

(٦) هي ليلي بنت لكيز بن مرة بن أسد بن ربيعة بن نزار . كانت تامة الحسن

كثيرة الأدب ولها شعر كانت وفاتها نحو سنة ٤٧٣ م .

حنينا واضحا إلى الوطن . وإنما فيها لوعة وعذاب ، تستطيع أن تردهما إلى هذا  
الاغتراب الذي عانيت به . تقول (١) :

ليت للبراق عينا فترى ما أقاسى من بلاء وءنا  
يا كايكا يا عتيلا إخوتي يا جنيدا ساعدوني بالبسكا  
عذبت أختكم يا ويلكم بعذاب الشكر صبيحا ومسا  
يكذب الأعجم ما يقربنى ومعنى بعض حساسات الحيا  
قيدوني غللونى وافعلوا كل ما شئتم جيما من تلا  
فأنا كارهة بغيثكم ومرير الموت عندي قد خلا

وله اقصدت تانية ، فلهج فيها التعبير الواضح الصريح ، الذى يصور رقة حنينها  
إلى وطنها وهى غريبة ، وقد ابتعدت عن أحبابها . وهى ، فيما يلوح لنا ، تجهل  
أخبار أهلها وأحوالهم ، فيترجع الشوق فى قلبها ، وتذوب كما يذوب الرصاص ، الذى  
يصل بالنار . تقول (٢) :

قد كان بي ما كفى من حزن غرمان والآن قد زاد فى همى وأحزانى  
ما حال برّاق من بعدى وممشرنا ووالدى وأعمامى وأخوانى  
قد حال دونى يا برّاق مجتهدا من الثواب جهدا ليس بالهانى  
كيف الدخول وكيف الوصل والآسفا هيمات ما خلت هذا وقت إمكاني  
لما ذكرت غريبا زاد بي كدى حتى هممت من البلى بإعلان

(١) شعراء النصرانية : ١/١٤٩ .

(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .



تربح الشوق في قلبي وذبت كما ذاب الرصاص إذا أصلى بنيران  
فار تراني — وأشواق — تلابني

وهذه امرأة من تميم ، تزوج رجلاً من حجر ، وبنقلها إليها ، فغلبها الحنين إلى  
وطنها وأهلها ، في ديار بني تميم ، وإذا بها ترى فرش الحرير في ديار غير ديارها ،  
وفي وطن غير وطنها ، كفراش الجمر (١) تقول (١) :

لقد كنت عن حجر بعيداً فساقني حروف النوى والسابقات إلى حجر  
يقولون فرش من حرير وإنما أرى فرشهم عندي كأمية الجمر

أنها اللوعة الحقة ، والحنين الصادق قد صوراً في هذين البيتين ، وكيف لا؟ وهي  
ترى فرش الحرير ، كأمية الجمر المتوهج !

وأعرابية تمرض ، وهي بعيدة عن وطنها وأهلها ، فتطلب من خليلها أن يقرأ  
السلام منها على دحرة ليلي ، وهي البلاد التي ولدت فيها ، ونمت وترعرعت ، وبقي  
قلبها معلقاً بها ، حتى وهي على فراش الموت . تقول (٢) :

خليلي إن حانت بمورة ميتتي وأزمتما أن تحفرا لي بها قبراً (٣)

ألا فاترياً مني السلام على فتى ودحرة ليلي لا قليلاً ولا كثيراً (٤)

سلام الذي قد ظن أن أبس رائي وما حاد ولا من حرّتيه دري خصرأ (٥)

وتعرب امرأة في زواجها من أبان بن دارم بن حنظلة ، هي وبكرها ، فقرأها  
تناجيه ، وتبثه همومها . غمويحن — وهو أشد حنين الإبل إلى أوطانها وأولادها —  
وهي تحن . فهما (على البلوى لمصطحبان) : وما شر الزمان ، إلا ذلك الذي صيها في  
كلب ، بعيداً عن الأهل والوطن . تقول (٦) :

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : ١٨٥ .

(٢) معجم البلدان : ٦٥/٣ . والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : ١٨٥ .

(٣) مورة : موضع . (٤) حرة ليلي : بلادها . (٥) رماح : موضع .

(٦) رسائل الجاحظ : ٤٠٠/٢ . وحماة ابن الشجري : ١٧٣ .

ألا أيها البكر الابن أنى وإياك فى كلبٍ لمغتربان  
 تحن وأبكى ذا الهوى لصباية وإنا على البلوى لمصطحبان  
 وأن زماناً أيها البكر ضمى وإياك فى كلبٍ لشراً زمان  
 وعند بنت عصم السدوسية ، تحن إلى وطنها حتى لا ترى ماء المصبح شافياً لنفسها ،  
 وتسمى شربة من ماء السبال ، التى فيها راحة للنفس ، وشفاء للقليل . ولم لا ؟ وهى  
 المياه التى عليها نمت وشبت ؟ ثم انظرها وهى تتصور شدة وجدها وشوقها حيناً  
 تصبح مطايغم فى لينة ، وهى البلاد التى هم بها ، ظالما ، وذلك لاختلاف البيئة التى  
 حالت فيها هذه المطايا . تقول (١)

ألا لا أرى ماء المصبح شافياً نفوساً إلى أمواهٍ بقاء نزعاً<sup>(٢)</sup>  
 فمن جاء من ماء السبال يشربة فإن له من ماء لينة أربعا<sup>(٣)</sup>  
 وقد زادنى وجداً ببقاء أنى رأيت مطايانا بلينة ظلماً  
 وأخيراً نحن مع الزرقاء بنت زهير . كانت قضاة - التى تكهنات لقومها  
 بمفادرة تهامة ، ونزولهم بهجر ، وليس لها إلا أن تتجه نحو تهامة وتبدأ فى وداعها ،  
 مؤكدة أنها لم تغادرها إلا بجبرة . وتطلب من هجر أن لا تشكرها وهى الغريبة فيها ،  
 داعية مرة أخرى لتهامة بالرخاء . تقول (٤) :

ودّع تهامة لا وداع مخالفٍ بذمامٍ لكن قلى وملام  
 لا تشكرى هجرأ مقام غريبة لن تسمى من ظاعنين تهام

\*\*\*

(١) المرأة فى الشعر الجاهلى : ٦٥١ .

(٢) بقاء : ماء بالبادية . والمصبح : موضع .

(٣) السبال ولينة : موضعان . (٤) تاريخ ابن خلدون : ٥٠٣/٢ .



مخرج من هذا كله بأن المرأة كثيراً ما كانت تحن إلى وطنها وتفضل على غيره سواء كانت جاهلية ، أم إسلامية . فهي قليلاً ما تغيرت بالتأثير الذي طرأ على العرب بعد الإسلام ، وذلك لأنها مرتبطة بعائلتها ، أكثر من الرجل . فهي تستوحش لبعدها عنهم وتحن إليهم حينئذ صادقاً .

ولقد لاحظنا أن الرجل كان يتخذ من الحنين إلى الوطن — أحياناً — ذريعة لصنع القصيدة الجاهلية ، خاصة في ظاهرة الاطلال . أما المرأة ، فلم يكن عندها شيء من ذلك ، فهي لم تتجامل ، وإنما كانت تصور عواطفها بصدق وإخلاص ، لأنها تخوض تجربة فعلية ، ألا وهي الزواج والانتقال من بيئة عاشت فيها ، حتى تمشت عظامها في دمهها ، ثم انتقلت إلى بيئة أخرى . لم تستطع الانسجام معها . ثم هي أدق عاطفة من الرجل ، يملأ قلبها حب عائلتها ، أمها وأبيها وإخوتها ، ومن ثم كل ما يذكرها بهم ، لأنها تربت في كنفهم ، وقضت ليلاً ونهاراً معهم . وليس الحال كذلك مع الرجل . إذا تجدد شعر الحنين إلى الوطن عند المرأة ، أكثر رقة ، وأدق وصفاً ، وأصدق عاطفة ، سواء كانت المرأة جاهلية بدوية ، أم إسلامية . فالموقف الذي كانت تتخذه أية امرأة جاهلية في هذا الموضوع ، هو نفسه الذي اتخذته النساء المملكات ، وعلى رأسهن ميسون زوجة معاوية بن أبي سفيان .

أنه موقف واحد ، تصوره آمنة بنت الشريد البغية ، وهي تقول لمعاوية بن أبي سفيان ، وهي في السجن : « وأبي لا يخرجني » ، ولا تسمع لي شيء من الشام ، فما الشام لي بحبيب ، ولا أعرج فيه على حميم ، وما هي لي بوطن ، ولا أحن فيها إلى سكن ، وما قررت فيها عيني (١) .

وقد لاحظنا شيئاً آخر — سبق أن وجدنا بعضه عند الرجل ، إلا أنه عند النساء أكثر وضوحاً وترديداً — وهو أن النساء ، كثيراً ما رددن ذكر نجد على الرغم من أن قسماً منهن ليس منهن ، بدليل أنهن يذكرن أماكن أخرى غيرها . وكأن نجداً أصبحت تقليداً عند شعراء الحنين إلى الوطن ، يرددونها في أشعارهم عند حنينهم إلى أوطانهم .

## الفصل الرابع

### الحنين إلى الوطن في النثر العربي

#### العرب والنثر:

ظهر النثر العربي ، بصورة واضحة وجلية ، بعد ظهور الإسلام ، ونزول القرآن الكريم نثراً — أو بتعبير أدق — على صورة النثر ، ولم يحتفظ النثر الجاهلي ، لأن الشعر يسهل حفظه ، وزنه ونغمه ، ولا كذلك النثر . والعرب في جاهليتهم لم يكونوا أهل كتابة وكتب . فلم يكن النثر — قبل الإسلام — ذا قيمة أو اهتمام كبيرين عند العرب ، وذلك لانصرافهم إلى الشعر بشكل رئيس . لذا أنهم بالشعر كانوا يبهرون عن عواطفهم ومشاعرهم . وليس الحال كذلك في النثر — على العكس من الغربيين ، الذين يشقون نثراً ، ويبهرون بهذا الغناء عن عواطفهم وانفعالاتهم ، لا بالشعر فقط وإنما بالنثر كذلك — « وكان الشعراء في الجاهلية ، يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد شليهم حائرهم ، ويقدم شأنيهم ، ويهول على عدوهم ومن خرامهم ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عدوهم ، ويهابهم شاعر غيرهم (١) على حد تعبير أبي عمرو بن العلاء ، فلم يزلنا من النثر العربي القديم ، إلا نخطب ، نودع ، وننفذ قليلة من الحكم والأمثال العربية القديمة ، التي امتازت بالإيجاز النام ، والعبارة القصيرة ، وذلك لأن التكرار والإطالة من علامات النقص عندنا ، والإيجاز من علامات الفصاحة والتسكن في اللغة ، فهذا الجاحظ يعقد في بيانه باباً فيما قال العرب من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول (٢)

وهذا ابن سنان الحنقاجي يقول في سر فصاحته : ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز ، والاختصار ، ، وحذف فضول الكلام ، حتى يبعد عن المعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة ، وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس (٣) .

(١) البيان والتبيين للجاحظ : ٣٤١/١ (٢) المصدر السابق : ٢٧٦/١ .

(٣) سر الفصاحة لابن سنان الحنقاجي : ١٩٧ .



ومع قلة النثر العربي ، الذي وصلنا من الحقبة الجاهلية إلا أن هذه القلة القليلة ،  
والنتف القصيرة ، لم تخل من الحنين إلى الوطن ، لاهي ، ولا ما وصلنا من النثر ،  
فيما تلاها من عصور .

\*\*\*

### في القرآن الكريم والحديث الشريف :

نزل القرآن الكريم نثراً — أو على صورة النثر — رسالة سماوية ، من عند خالق  
هذا الكون ومنشئته ، ولم تكن لأمة دون أخرى ، من أمم الأرض ، أو الجزء  
دون آخر ، من هذا الكون الفسيح . فالأرض أرض الله . والخلق خلق الله ،  
والتعاليم من عنده جل وعلا ، إلى كل هذا وذلك .

فالقرآن إذن رسالة أممية ، لا تقف عند حدود ولا يحيط بها قيد ، وأرض الله  
واسعة خلقه ، لهم حرية الحركة والتنقل فيها ، وقد بين الله سبحانه وتعالى هذا في  
كتابه العزيز في قوله : يا عباد الذين آمنوا ، اتقوا ربكم ، للذين أحسنوا في هذه  
الدنيا حسنة . وأرض الله واسعة : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، (١) .  
وقال تعالى في سورة أخرى : يا عبادي الذين آمنوا ، إن أرضي واسعة ، فإياي  
فاعبدون ، (٢) . وفي سورة ثالثة ، يقول عز من قائل : وإن الذين توفاهم الملائكة ،  
ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا ، كنا مستضعفين في الأرض . قالوا : ألم تكن  
أرض الله واسعة ، فهاجروا فيها (٣) ؟ . وأوردوا الله عبادته إلى الأقطار في الأرض ،  
إذا ما قضيت الصلاة ، وإلى السعي في رحابها . والاكل من رزقه ، حيث يقول :  
فإذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الأرض ، (٤) نقول : هذه رسالة السماء ماثلة في  
القرآن الكريم ، أممية ، كاملة ، شاملة ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن الله تعالى ، لم يفضل  
الوطن (٥) . لما له من قيمة في نفوس المباد ، ولم يفضل الدعوة إلى التمسك به ،  
والدفاع عنه ، والمحافظة عليه . والله سبحانه وتعالى ، يقسم بين الفينة والفينة ، بالأمور

(٢) النكبات : ٥٦ .

(١) الزمر : ١٠ .

(٤) الجمعة : ١٠٨ .

(٣) النساء : ٩٦ .

(٥) لم ترد لفظة (الوطن) في القرآن الكريم صريحة ، إلا في آية واحدة ،

بمبنى أما كن ، في قوله تعالى : ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة . . التوبة : ٢٥ .

العظيمة ، والأشياء التي لها منزلة رفيعة عنده . وكان يقسم بالوطن ، وبالبلد .  
وفي كتابه العزيز :

( لا أقسم بهذا البلد (١) ) .

( وهذا البلد الأمين (٢) ) .

والهجرة عن الوطن صعبة ، والحثين إليه قوى ، وكان هذا واضحاً في القرآن  
المكرّم . فوعد الله المهاجرين عن ديارهم ، وأوطانهم ، في سبيل الله ، سعة ورخاء .  
ولمن أدركه الموت منهم أجراً كبيراً ، وغفراناً عظيماً . قال تعالى :

( ومن يهاجر في سبيل الله ، يحد في الأرض مراغماً (٣) كثيراً وسعة ، ومن يخرج  
من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت ، فقد وقع أجره على الله ، وكان  
الله غفوراً رحيماً (٤) ) .

وواعد آخر للمهاجرين - الذين هاجروا من أوطانهم ، وأخرجوا من  
ديارهم ، وأوذوا في سبيل الله ، وقتلوا وقتلوا - من الله سبحانه وتعالى ،  
بأن يكفر عن سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثواباً من عنده .  
قال تعالى :

( فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيل الله ، وقتلوا وقتلوا .  
ولا كفر عنهم سيئاتهم ، ولا دخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثواباً من عنده  
الله ، والله عنده حسن الثواب (٥) ) .

وواعد آخر من عند الله ، للمؤمنين الذين ظلموا ، وأخرجوا من ديارهم بغير  
حق ، إن الله ناصرهم ، فليقاتلوا في سبيله . قال تعالى : ( أذن للذين يقاتلون  
بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ،  
إِلَّا أَنْ يَقُولُوا : رَبَّنَا اللَّهُ . وَلَوْلَا دَفْعُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ ،  
وَبَيْعٌ ، وَصَلَوَاتٌ ، وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ،  
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٦) ) .

( ١ ) البلد : ١ ( ٢ ) التين : ٣ ( ٣ ) مراغماً : مهرباً ومتسماً .

( ٤ ) النساء : ٩٩ . ( ٥ ) آل عمران ١٩٥ . ( ٦ ) الحج : ٣٩ - ٤٠ .



ونهى سبحانه عن قتل النفس ، وعن جريمة لا تقل عن هذه بشاعة ، ألا وهي الخروج عن الدار ، حتى أنه سبحانه وتعالى ، أخذ ميثاقه على عباده ، أن لا تسفك الدماء ولا يخرج من الديار . قال تعالى : ( وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ) (١) .

والإخراج من الديار ، حافظ قوى للقتال في سبيل الله والوطن . قال تعالى : ( قالوا : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ) ، وهذا القول ، سمكايه عن بني إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبي لهم — وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل — أن يعين لهم أميراً ، يتولى قيادتهم ، في حرب المماثلة ، وقد أجعلوا الإسرائيليين ، وسبوا أولادهم . وكان النبي قال لهم : ( هل عسيتم أن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا ) (٢) . يقول ذلك ، متوقعاً جبنهم عن القتال ، فأجابوه بما في هذه الآية (٣) .

وفي موضع آخر ، يبين الله سبحانه وتعالى ، كيف أخرج المؤمنون من بيوتهم بالحق ، وفريق منهم كارهون . قال تعالى : ( كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ) (٤) .

وتجلى قيمة الوطن ، وعظمته عند خالفه ، عندما يعاقب الكافرين ، في الحياة الدنيا ، بأن يخرجهم من أوطانهم ، ويشردهم من ديارهم ، ويشتت شملهم . فهو عقاب . وما أشده من عقاب أن يشرد الإنسان عن وطنه ، مرغماً ، عقاباً له ، على ما ارتكب من ذنب ، في حق الله ، وحتى كان هذا الإخراج ، وهذا التشريد ؟ حينما ظن الكافرون ، أن حصونهم سوف تحميهم من ذلك . وقد أكد سبحانه وتعالى ، أنه لو لا أن كتب عليهم الجلاء عن ديارهم ، لعذبهم في الحياة الدنيا . فكان الخروج عن الدار ، هو العذاب ، وأى عذاب أشد منه ؟ قال تعالى : ( هو الذي أخرج الذين كفروا ، من أهل الكتاب ، من ديارهم لأول الحشر ) (٥) . ما ظنتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانעים حصونهم ، من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا

(٣) البقرة: ٢٤٦

(١) البقرة: ٨٤

(٢) الحيوان للجاحظ: ٢٢٨/٣ . (من الحاشية) (٤) الانفال: ٥

(٥) لأول الحشر: أى ليوم الحشر .

يا أولي الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ، لعذبهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار (١)

وبيوت الذين ظلموا خاوية ، يوم مكروا فكان عذابهم أن أخرجوا منها وشردوا عنها وفي ذلك عظة وعبرة لقوم يعلمون ، قال تعالى : وفتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون (٢) .

وحينما بقى قارون — من قوم موسى — على قومه ، بعد أن أناء الله مالا وسلطانا ، عاقبه الله سبحانه وتعالى ، بأن خسف به الأرض وبداره . قال تعالى : (خسفنا به وبداره الأرض (٣) ) .

ويورث سبحانه وتعالى ، المؤمنين مرة أخرى ، أرض الذين كفروا وأموالهم وديارهم بعد أن أنزلهم من صياصيمهم ، وقذف في قلوبهم الرعب . قال تعالى : (وأنزل الذين ظاهروهم (٤) من أهل الكتاب ، من صياصيمهم (٥) ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون ، وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم تطأوها . وكان الله على كل شيء قديراً (٦) ) . فآله سبحانه وتعالى يبين أنه أورث المؤمنين ديار الكافرين وأرضهم — التي هي أوطانهم — وأموالهم . فكأنه يبين ، أنه يريد من كل فريق يمسكونه .

ويكون الحافز والمبرر عند الكافرين ، من قوم فرعون ، لمحاربة موسى ، عليه السلام ، هو خوفهم منه ، لئلا يخرجهم من ديارهم ويبيد عنهم أوطانهم . قال تعالى : (قال الملا من قوم فرعون : إن هذا لساحر عليم ، يريد أن يخرجكم من أرضكم ، فإذا تأمرن (٧) ) .

وفي سورة أخرى يقول سبحانه : (قال لئلا حولك ، إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمرن (٨) ) .

ومرة ثانية ، يخاف قوم فرعون أن يخرجهم موسى وأخوه من أرضهم . قال تعالى : (قالوا : إن هذان لساحران ، يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما (٩) ) .

(١) الحشر : ٢ — ٣ . (٢) النمل : ٥٢ . (٣) القصص : ٨١ .

(٤) ظاهروهم : عادوهم .

(٥) صياصص البصرة : قرونها . وصياص هنا : حصون .

(٦) الأحزاب : ٢٦ — ٢٧ . (٧) الأعراف : ١٠٨ — ١٠٩ .

(٨) الشعراء : ٣٤ — ٣٥ . (٩) طه : ٦٣ .



وثالثة ، مع فرعون نفسه ، يخاطب موسى عليه السلام ، قائلاً : أجبنا لتخرجنا من أرضنا يا موسى ؟ متبعاً لإياه ، بالثمة ذاتها ، وهي السحر ١١ . قال تعالى :  
 « أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى » (١) .

ويتمتع الله سبحانه وتعالى ، البلاد الطيبة ، ذات الجنات الجميلة ، داعياً أهلها ،  
 إلى أن يأكلوا ، ويشربوا من رزق ربهم ، وأن يشكروا نعمته عليهم ، قال تعالى :  
 ( لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم ،  
 واشكروا له بلدة طيبة ، ورب غفور (٢) .

ودعا سبحانه وتعالى ، إلى عدم الخروج من الديار ، بظراً ، ورثاء للناس .  
 قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم ، بظراً ورثاء (٣) الناس (٤)  
 ودعا إبراهيم ، عليه السلام ، إلى الوطن ، بالخير والأمن والرزق . قال تعالى :  
 « قال إبراهيم . رب اجعل هذا البلد آمناً ، وارزق أهله من الثمرات (٥) » ،  
 وقال جل شأنه ، على لسانه عليه السلام ، في سورة أخرى : « وإذ قال إبراهيم  
 رب اجعل هذا البلد آمناً » (٦) .

وينهى الله سبحانه وتعالى ، المؤمنين عن الكافرين الظالمين ، الذين قاتلوهم ،  
 وأخرجوهم من ديارهم ، أن يقاتلوهم ، ومن يتولم ، فهو من الظالمين . قال تعالى :  
 « لا يقاتلوا مع الذين لم يقاتلواكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبوههم  
 والمستطمين . إنما يقاتل الله عز وجل الذين قاتلواكم في الدين ،  
 وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم . ومن يتولم فإِنَّ  
 هُم الظالمون (٧) » .

\*\*\*

- |                    |                        |
|--------------------|------------------------|
| (٢) سبأ : ١٥ .     | (٣) طه : ٥٧ .          |
| (٤) الأنفال : ٤٨ . | (٥) البقرة : ١٢٦ .     |
| (٦) إبراهيم : ٣٥ . | (٧) الممتحنة : ٨ - ٩ . |
- ( هذه الآية الشريفة هي التي حذفها الصهاينة من المصحف الذي طبعوه في إسرائيل مؤخراً ، وذلك لما فيها من حث على قتال الكافرين المعتدين ، المحتلين لأرضنا ، الخارجين لشعبنا من دياره )

والرسول الأعظم ، عليه صلاة الله وسلامه ، كان محباً لوطنه ، كثير الحنين إليه .  
 في هجرته من مكة إلى المدينة ، فعيناه صلى الله عليه وسلم تغرورقان بالدموع حنيناً  
 إلى مكة وشوقاً إليها ، حينما يسع أبابا ، يصف له مكة وقد قدم منها . ينقل إلينا  
 الغزولي هذا الخبر ، حينما قال : « روى أن أبان قدم على رسول الله ، صلى الله عليه  
 وسلم ، المدينة ، فقال له : يا أبان كيف تركت مكة ؟ قال : تركتهم وقد حيدوا ،  
 وتركنا الأذخر وقد أغدق ، وتركنا الثمام وقد شاح (١) . فأغرورقت عينار رسول  
 الله ، صلى الله عليه وسلم (٢) . »

يكون حزن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، شديداً ، مرة أخرى ، وفي خبر آخر ،  
 ينقله إلينا الأزرقي في كتابه : أخبار مكة . حينما يحمد الله أصل النخاري عن مكة ،  
 وكيف أصبحت ، ويدعوه عليه السلام ، إلى الكف عن الحديث ، لئلا يزداد حزنه  
 قال الأزرقي : ... عن شهاب قال : قدم أصل النخاري قيل أن يضرب الحجاب على  
 أزواج النبي (ص) ، فدخل على عائشة ، رضى الله عنها ، فقالت له : يا أصل ،  
 كيف عهدت مكة ؟ قل : عهدتها قد أخصب جنابها (٣) ، وابيضت بطحاؤها (٤)  
 قالت : أقم حتى يأتيك النبي (ص) . فلم يلبث أن دخل النبي (ص) . فقال له : يا أصل  
 كيف عهد مكة ؟ قال : والله عهدتها قد أخصب جنابها ، وابيضت بطحاؤها ، وأغدق  
 أذخرها . وأسلت ثمامها ، وامشى ساهها (٥) . فقال : حسبك يا أصل ، لا تحزننا (٦) . فكان  
 النبي عليه السلام ، يغلبه الشوق والحنين ، فلم يعد يحتمل السماع . فیدعو أصيلاً إلى  
 الكف عن الحديث ، لأن في سماعه

ويظهر حب النبي (ص) لوطنه مكة ، وحرصه على البقاء فيها ، لا يرحمها ، لولا  
 لولا أن يخرج منها مضطراً مرغماً . قال (ص) عن مكة : « والله إنك لخير أرض الله

(١) سبق أن فسرت في مكان آخر . (٢) مطالع البدور : ٢٩٢/٢ .

(٣) الجناب ، والجانب : الناحية والفناء وما قرب من محلة الشوم .

(٤) البطحاء : مسيل فيه دقاق البحصى .

(٥) أسلت : نما . ثمامها : نبت بها .

(٦) أمشى : مسح . ساهها : شجر من العضاة ورقم القرظ الذي يدبغ به الأديم .

(٧) أخبار مكة للأزرقي : ١٥٥/٢ .



إلى الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت (١) .  
 وحينما بهم رسول الله (ص) بالخروج من وطنه ، والهجرة عنه إلى مكان آخر ،  
 يلتفت إلى البيت العتيق - وكله حب لإبيه ، وحزن عليه ، ولوعة من فراقه - قائلاً  
 أن ما في الأرض بلد أحب إليّ منه . مكرراً قوله ، في أنه لو لم يخرج من وطنه ،  
 لما خرج . روى ... عن عبد الرحمن بن سابط قال لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم ،  
 أن يتطأ إلى المدينة ، واستلم الحجر ، وقام وسط المسجد ، التفت إلى البيت فقال :  
 إني لأعلم ، ما وضع الله عز وجل في الأرض بيتاً ، أحب إليّ منك ، وما في الأرض  
 بلد ، أحب إليّ منك ، وما خرجت عنك رغبة ؛ ولكن الذين كفروا به ثم  
 أخرجوني (٢) .

وفي الغربة ألم محض ، ولوعة محرقة ، وللوطن حب كبير ، وحنين إليه - في البعاد  
 عنه - شديد . يؤكد هذا رسولنا الأعظم وصحابته الكرام . حينما هاجروا عن  
 مكة إلى المدينة . فعلى الرغم من هجرتهم في سبيل الله ؛ إلا أن هذا ، لم يفتهم الشعور  
 بالغربة ، وعدم الألفة ، واختلاف البيئة ، التي جاءوا إليها . مما أدى إلى إصابتهم  
 بالأمراض في هذه البيئة الجديدة . ولم يفتهم كذلك ، حب وطنهم ، وحنينهم إليه  
 شأنهم في ذلك ، شأن القرآن الكريم ، وما سبق أن أوضحناه قبل قليل . وهو أن  
 للوطن قدسية خاصة ، وحب متشرب في النفوس ، والحنين إليه أمر لا يذهب . روى  
 ... عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : لما قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،  
 المدينة ، وعك (٣) أبو بكر وبلال . قالت : فدخلت عليهما . فقلت : يا أبت ، كيف تجدك ،  
 ويا بلال ، كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر ، إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وكان بلال إذا أفلعت عنه الحمى ، يرفع عقيرته (٤) ويقول :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة  
 وهل أردن يوماً مياه بجنة

بواد وحول أذخر وجيل (٥)  
 وهل يبدون لي شاة وطفيل (٦)

(١) أخبار مكة : ١٥٥/٢/٢ . وفضائل مكة للحسن البصري ، مجلة كلية الآداب ،

(٢) المصدران السابقان وصفناهما .

٥٦٥/١٤ - ٥٦٦ .

(٣) وعك : أصيب بوعك . (٤) عقيرة الرجل : صوته إذا غنى أو قرأ أو بكى

(٥) أذخر وجيل : موضعان بمكة . (٦) شاة وطفيل : موضعان بمكة أيضاً



قالت عائشة : فُتِحَ رسول الله ﷺ ، فأخبرته . فقال : اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة ، أو أشد . وصاحبها ، وبارك لنا في صاعها ، وأنقل حرامها فأجعلها بالجحفة (١) (٢) . وهكذا يدعو النبي صلى الله عليه وسلم . الله ، أن يحجب إلهم المدينة كحبهم مكة .

ومرة أخرى ، يدعو عليه الصلاة والسلام . ربه أن يوفى أصحابه هجرتهم ، وأن لا يردهم على أعقابهم ، حين قال : اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم . ويعلق ابن خلدون على ذلك بقوله : ومعناه أن يوفقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها . فلا يرجعهم عن هجرتهم التي ابتدؤا بها ، وهو من باب الرجوع على العقب ، في السعي إلى وجه من الوجوه . وقيل أن ذلك كان خاصاً ، بما قيل قبل الفتح ، حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة ، لقلة المسلمين . وأما بعد الفتح ، وحين كثرت السائر واعتزوا ، وتكثرت اليد بالبيعة من الناس ، فإذن الهجرة سابقة حينئذ ، لقوله ﷺ : لا هجرة بعد الفتح (٣) . أرأيت إذن الدعوة النبي عليه السلام لأصحابه ، للبقاء في المدينة وحبها ، كانت قبل الفتح ، وحينما كان مرغماً على الهجرة . وأما بعد الفتح ، فلا هجرة .

ومثلاً كانت شفاعته لله وثوابه للذين هاجروا للجهاد في سبيله ، ترى شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين المهاجرين ، الذين بقوا في المدينة ، وصبروا على شدتها ، بعيداً عن أهلهم ووطنهم . روى ... عن قطن بن وهب ، عن يونس : أن مولاة لابن عمر أمته ، فقلت : عليك السلام يا أبا عبد الرحمن . قال : وما شأنك ؟ قالت أردت الخروج إلى الريف . فقال لها ، اتقدي ، فإني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد ، ألا كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة (٤) .

(١) الجحفة : قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة .

(٢) أخبار مكة : ١٥٥/٢ — ١٥٦ . والسيرة النبوية : ٥٨٨/١ — ٥٨٩ .

وصحيح البخاري : ٨٤/٥ .

(٣) تاريخ ابن خلدون : ٢١٧/١ .

(٤) المسند لابن خنبل : ٣٣/٩ — ٣٤ . وصحيح مسلم : ١٥١/٩ .



والمهاجرون الذين هاجروا ، في سبيل الله ، وماتوا ، وحاجتهم في صدورهم ،  
في العودة إلى الوطن ، والعيش بين الأهل والأحباب ، هؤلاء يبشرهم النبي ﷺ  
بأنهم سيأتون يوم القيامة ، ونورهم كضوء الشمس . قال صلاة الله وسلامه عليه :  
وسبأني أناس من أمتي يوم القيامة ، ونورهم كضوء الشمس . قلنا : من أولئك  
يا رسول الله ؟ فقال : فقراء المهاجرين ، الذين تفتق بهم المسكاه . يموت أحدهم وحاجته  
في صدره ، يحشرون من أقطار الأرض (١) .

ويبشرهم عليه السلام ، بدخول الجنة — في حديث آخر — بتفصيل أكثر ،  
وإيضاح أجلى ، وتصوير أعظم . — عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال : هل  
تدرون من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أول من  
يدخل الجنة من خلق الله ، الفقراء والمهاجرون ، الذين تسدت بهم الثغور ، وفتق بهم  
المسكاه ، ويموت أحدهم : وسبأني في صدره ، ولا يستطيع لها قضاء . فيقول الله  
عز وجل ، لمن شاء من ملائكته ، انتوهم خيرهم . فتقول الملائكة : نحن سلك  
سمائك ، وخيرتك من خلقك . أفأمرنا أن تأتي هؤلاء ، فنسلم عليهم ؟ قال : لأنهم  
كانوا عباداً يعبدوني لا يشركون بي شيئاً ، وتسدت بهم الثغور ، وفتق بهم المسكاه ،  
ويموت أحدهم وحاجته في صدره ، لا يستطيع لها قضاء . قال : فتأتيهم الملائكة عند  
ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب : (سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار) (٢) .  
يا للجهاد في سبيل الله ورسوله . وللبعد عن الوطن ، والهجرة عن ربوعه ، وبالْحِكْمَةِ  
الله في خلقه . ويا لجزائه لمن أحسن عملاً : تحية من ملائكته ، وجات من عنده ،  
وسلام من الله عز وجل وعلا !! كل هذا للفقراء والمهاجرين عن ديارهم !

وللغرياء نصيب من المظف والدعاء ، من النبي (صلى الله عليه وسلم) . قال  
عليه السلام : طوبى للغرياء (٣) . وتأكيد جديد ، على قيمة الوطن ومكانته في  
النفوس ، ليس عند ذويه حسب ، وإنما عند الله ورسوله . فحب من الإيمان . قال  
صلى الله عليه وسلم . وحب الوطن من الإيمان (٤) .

(٢) المسند : ١٠/١٠٣ - ١٠٤ .

(١) المسند : ١٠/١٧٩ .

(٣) نفسه : ١٠/١٧٨ .

(٤) مطالع البدور : ٢٩٢/٢ .

والنبي حريص على أن ينام كل مسلم في بيته مطمئناً ، وإذا سمع صرنا ، يرتاح له فيقال له في ذلك ، فيرد عليه السلام قائلا : ظننت أن ساكناً أزعج من منزله ، والخروج عن الوطن عقوبة ، (١) كما قال رسول الله (ص) : لما فيه من عذاب للنفس ، ولوعة على الأهل ، وحنين إلى الوطن .

وفي الغربة ذلة ، و من رضى بالذل فليس منا (٢) . عند رسولنا الأعظم ، عليه صلاة الله وسلامه .

وفي السفر وحشة ، وله محاذير ، والعودة منه فرحة وسرور ، وحمداً لله على السلامة . لهذا كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذا سافر قال : اللهم أنت صاحب السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعشاء (٣) السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال . اللهم أهلكنا الآسنة ، وهربنا علينا السفر ، وإذا رجع قاهن ، وزاد فيه ، أثبون ثابتون ، عابدون لرَبنا حامدون (٤) .

ونخير ما نختتم به حديثنا ، عن حديث رسول الله (ص) في الوطن والحنين إليه . هو قوله عليه السلام : « الجنة الرجل داره » (٥) . أبلى أن دار الرجل ووطنه حابسته في حياته الدنيا . وصدق رسول الله .

\*\*\*

مرن بنا أيتها السماء ، بمشاقق القرآن الكريم . والجنة البقية ، والدار الآخرة . الشريف . وموقفهما من حب الوطن والحنين إليه . وهما هم الصحابة والتابعون — رضوان الله عليهم — يسرون على السبيل نفسه ، والمنهاج ذاته . فكان تقديرهم للوطن وإجلالهم له ، وحنينهم إليه .

(١) المسند : ٢٧٩/٨ (٢) المحاسن والاصداد للجاحظ : ٩٨

(٣) الوعشاء : من الوعث وهو الدمس على الرمال الرقيقة ، والمشي يشتد فيه على صاحبه

(٤) المسند : ١٥٨/٨ . وصحيح مسلم : ١١٢/٩ وصحيح الترمذي : ٣/١٣ — ٤

وسنن ابن ماجه : ١٢٧٩/٢ — ١٢٨٠ وسنن أبي دارود : ٣٢/٢ .

(٥) زهر الآداب للبصري : ٢٤/١ .



هذا أمير المؤمنين و عمر بن الخطاب — رضى الله عنه يبين لنا ما للوطن من قيمة ، وما له من حجب عند أهله على الرغم من السوء في المكان ، والضيق في العيش ، والمشقة في الحياة ، والعسر فيها . وما أكثر بلاد السوء ! وما أشد تعلق أهلها بها ! كالصحارى القاحلة ، والأراضي الجرداء ، التي فيها من حرارة الشمس ، ونزرة المياه ما هو كفييل بأن يجعل الإنسان يتخلى عنها بكل بساطة ، ولكنه حب الوطن ، هو الغالب لكل الظروف ، الفاهر لكل الصواب ، المبني للإنسان في بلده ، بلد السوء ! قال رضى الله عنه : لولا حب الوطن ، لحرب بلد السوء (١) .

وهذه أم المؤمنين — عائشة ، رضى الله عنها ، تبجل مكة ، وقد اضطرت إلى الهجرة عنها مع المسلمين . فهي لم تر السماء قط بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة . ولم يطمئن قلبها ببلد مثلاً أطمأن بمكة ولم تر القمر بمكان أحسن منه بمكة . أنه الوطن الذي استحوذ حبه على تفكيرها فطفت ! . قالت رضى الله عنها : « لولا الهجرة ، لسكنت مكة . أتى لم أر السماء بمكان قط ، أقرب إلى الأرض منها بمكة . ولم يطمئن قلبي ببلد قط ، ما أطمئن بمكة . ولم أر القمر بمكان : أحسن منه بمكة (٢) » .

والحسن بن علي — رضى الله عنهما — يستعيز بالله من ملل معافاته فيسأل في ذلك فيجيب ، لأن يكون الرجل في خنص ، فتدعوه نفسه إلى سفره ومغادرة الأهل والوطن . قال رضى الله عنه ، في دعائه ، « اللهم إنا نعوذ بك أن نمل معافاتك . قيل له في ذلك ، فقال : أن يكون الرجل في خنص فتدعوه نفسه إلى سفر (٣) » .

وعبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — يجعل حب الوطن ، والقناعة به مقياساً ، وذلك حينما يقول : « لو قنع الناس بأرزاقهم ، قناعتهم بأوطانهم ، ما اشتكى أحد من البرزق (٤) » .

وابن الزبير — رضى الله عنهما يؤكد ما سبق أن أكدته ابن عباس ، حينما يقول : « ليس الناس بشيء من أقسامهم ، أقنع منهم بأوطانهم (٥) » .

• • •

(١) المحاسن والاحشاد : ٩٣ . والمحاسن والمساوي للبيهقي : ٢٢٦/٢ .

(٢) أخبار مكة : ١٥٣/٢ . (٣) محاضرات الأدباء : ٦١٤ .

(٤) محاضرات الأدباء : ٦٣٠ ومطالع البدور : ٢٩٢/٢ .

(٥) رسائل الجاحظ : ٣٨٦/٢ .

## في الأمثال والنصص :

قلنا في منتج هذا الفصل : أن النثر العربي ، وصاننا قنفذاً قصيرة ، من العصر الجاهلي . ولم تحمل هذه النصف ، من الحنين إلى الوطن . وقد كانت على شكل حكم وأمثال ومواعظ ، تملي وتقال ، بين الحين والآخر ؛ أو على شكل قصص وحكايات ، يتناقلها الرواة ، في العصر الجاهلي ، وما تبعه من عصور .

ويظهر لنا الحنين إلى الوطن ، في الحكم والأمثال ، بوضوح وجلال . فما دام الطائر يحن إلى وكره ، فأولى بالإنسان أن يحن إلى وطنه . كقول أحدهم : وإذا كان الطائر يحن إلى أو كاره ، فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه (١) .

والأسد يحن إلى الغابة — وطنه — ولا يستطيع الاستغناء عنها . ومثله في ذلك ، يحن الكريم الأبى إلى وطنه . وما أجمل أن يشبه الرجل الكريم ، بسيد الحيوانات ومسلطها ؛ حتى في الحنين إلى الوطن . قال يحن الكريم إلى جنابه ، كما يحن الأسد إلى غابه (٢) .

وللبالد الذي ولد الإنسان فيه ، وتربى في رحابه ، وأكل من خيراته — قدسية وفضل كبير عليه ، وهو أحق بالبدان بالحب والحنين . قالوا : وأحق البلدان بزراعك إليه ، بلد أمصك حليب رضاعه (٣) .

ومن سمات الشرف والاصالة عند الإنسان ، أن يكون ميالاً إلى وطنه ، حائناً إليه ، قالوا : وميالك إلى بلدك ، من شرف جنتك (٤) ، وقالوا : ويحن اللبيب إلى وطنه . كما يحن النجيب إلى عطنه (٥) .

ولولا حب الأوطان ، ما سحرت البلدان . خاصة بلاد السوء منها ، والتي سبق أن أشرنا في حديث أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . قالوا : وبحب

(١) رسائل الجاحظ : ٣٨٦/٢ .

(٢) رسائل الجاحظ : ٣٨٦/٢ . وزهر الآداب : ٦٨١/٢ .

(٣) رسائل الجاحظ : ٣٨٨/٢ .

(٤) نفسه : ٣٨٦/٢ . ومحاضرات الأدباء : ٦٣٠/٤ .

(٥) زهر الآداب : ٦٨١/٢ . وديوان المعاني : ١٩٠/٢ .



الأوطان ، عمرت البلدان (١) ، وبالمنى نفسه ، يورد الجاحظ في حيوانه قولهم : وعمر الله البلدان بحب الأوطان (٢) .

و . حب الوطن من طيب المولد (٣) ، و . من إمارات العاقل ، بره لإخوانه ، وحنينه لأوطانه (٤) ، وتربة الصبا تغرس في القلب حرمة وحلاوة ، كما تغرس الولادة في القلب ، رقة وحفاوة (٥) .

ما سبق من الأمثال ، أظهرت ماللوطن من قيمة . وماله من حب ، وصفات حسنة ، وميزات فريدة . كما أظهرت أوجه الشبه بين الإنسان ، وغيره من المخلوقات ، في حبها جميعاً للوطن ، وحنينها إليه . وما في حب الوطن ، من السمات الحميدة ، والأصل العريق ، والأخلاق الحسنة .

وهناك نموذج آخر من الأمثال ، التي لها تماس بالحنين إلى الوطن ، واللقاء معه ، واسكان بصورة تختلف عن تلك . فهي هنا لا تبين وتظهر طريق الرشاد حسب ، وإنما تدعو الإنسان ، دعوة صريحة ، إلى التمسك بالوطن ، والحفاظ عليه ، والحنين إليه .

فلوطن فضل كبير على الإنسان ، إذ فيه نما ، ومنه تغذى ، وفي فناءه نشأ ، وبين ظهرانیه أهله وقبائله ، ومن مياهه شرب ، ومن غذائه أكل . قالوا : لا تشك بلدآ فيه قبائلك : ولا تبت أَرْضاً فيه قرا بلك (٦) ، وقالوا : احفظ بلدآ ربك (٧) . وقالوا : وإذا وجدت بعض القوت ، فالزم قعر البيوت (٨) .

وقالوا : والفربة ذلة ، والذلة قلة (٩) ، وقالوا : ذلة ذلة ، فإن ردتها علة ، وأن أعقبتهما قلة ، فتلك نفس مضحكة (١٠) . وقالوا : إذا كنت في

(١) الححاسن والاضداد : ٩٣ . والححاسن والمساوى : ٣٢٦/٢ ومحاضرات

الأدباء : ٦٢ / ٤ (٢) الحيوان : ٢٢٧/٣

(٣) محاضرات الأدباء : ٦٣٠/٤ (٤) رسائل الجاحظ : ٣٨٩/٢

(٥) رسائل الجاحظ : ٣٨٦/٢

(٦) الححاسن والاضداد : ٩٣ . وديوان المعاني : ١٨٧

(٧) محاضرات الأدباء : ٦١٤/٤ (٨) المصدر والصفحة نفسها .

(٩) الححاسن والاضداد : ٩٤ . والححاسن والمساوى : ٣٢٧/٢ ومحاضرات

الأدباء : ٦١٤/٤ (١٠) الححاسن والمساوى : ٣٢٧/٢

غير قومك ، فلا تنسى نصيبك من الذل (١) . وقالوا : الغريب النائي عن بلده ، المنتحى عن أهله ، كذا (٢) عن وطنه الذي « اكل رام قنينة (٣) » ، وقالوا : وما دار من يشنق إلى السفر ، بهادر سلاحة (٤) . وما أشد اتقراق ، وما أطول بومه لما فيه من تشتت الشمل وتفرق عن الأهل ، وبعاد عن الوطن ، ونأى عن المحب ، ووداد في القبول ، ورغبة في الإياب . لذلك قيل : « أطول من يوم الفراق » (٥) .

ومثلاً حمل إلينا النثر العربي ، حنيناً إلى الوطن ، في الحكيم والأمثال ، فقد حمل إلينا حنيناً وجباً للوطن ، فيما وصلنا منه ، من القصص والحكايات ، التي رويت في عصور مختلفة ، وأزمان متباعدة ، من تاريخ أدبنا العربي .

فهذا أعرابي يجيب — حينما يسأل : أيشنق إلى وطنه ؟ — قائلاً : كيف لأشنق إلى رملة كنت جثثين ركامها (٦) ، ورضيع غمامها (٧) .

ويسأل إعرابي — آخر — عن الغبطة . فيقول : والكفاية في الأهل ، ولزوم الأوطان ، والجلوس مع الإخوان (٨) . وهل هناك غبطة أعظم من تلك ؟ أن يكون الإنسان أهل كثير — لما لذلك من أهمية بالغة ، فيما مضى من عصور — واستقرار في الوطن وعلازمة له ، وحياة رعدة بين الأهل والأحباب ، كالأسمدة وسمرهم .

وإذا سئل — الإعرابي نفسه — عن الملل . يقول : « التقل في الريان » ، والتمحي عن الأوطان (٩) . أرايت إذن ، فزه أن يكون في وطنه ، وبين أهله ، وذلك أن يبتعد عن وطنه وأهله ! .

(١) محاضرات الأدباء : ٣٨٥/٢

(٢) نديند ندوداً : شرد وذهب على وجهه .

(٣) رسائل الجاحظ : ٣٨٥/٢ (٤) محاضرات الأدباء : ٦١٤/٤

(٥) جمهرة الأمثال : ١٣/٢

(٦) ركامها : الركام : السحاب المتراكم . والرمل المتراكم .

(٧) ديوان المعاني : ١٨٧ ومطالع البدر : ٢٩٧/٢

(٨) الخاسن والاضداد : ٩٤ وانحاسن والمساوي : ٣٢٧/٢

(٩) الخاسن والاضداد : ٩٤ وانحاسن والمساوي : ٣٢٧/٢



وفي البعد عن الوطن ، نقصان من الكرامة ، وضيق من الوحدة. قالوا : ولا ننفض  
عن وطنك ووكرتك ، فننقصك الغربية ، وتصنعك (١) الوحدة (٢) : أنه الوطن الذي  
يملا القلب حياً ، والنفس هدوءاً ، والضمير راحة ، والإنسان قناعة على الرغم مما  
فيه من شظف الميش ، وقسوة الحياة — وهل هناك أقسى من حياة وسط الصحراء  
الفاخمة ، وتحت الشمس المحرقة ؟ — أنظر إلى قول الأعرابي — وهو يجيب عما  
بصده في البادية ، إذا انتصف النهار ، وانتعل كل شيء ظله — : وهل الميش إلا  
ذاك ؟ يمشي أحدها ميلاً ، فيرفض عرفاً كأنه الجمان ، ثم ينصب عصاه ، ويلقي عليها  
كأه ، وتقبل الرياح من كل جانب ، فكأنه في إيوان كسرى (٣)

و، لولا أن الله — تعالى — أقتنع بعض العباد ، بشر البلاد ، ما وسع خير  
البلاد ، جميع العباد (٤) . هذا ما يجيب به أعرابي ، حينما يسأل عن كيفية صبرهم  
على جفاف البادية وضيق الميش فيها .

وكانت الحرب ، إذا سافرت ، تأخذ معها من تراب بلدها ، فتشقه عند نزلة  
أو صداع (٥) .

وهذا أبو عمرو بن العلاء يقول : مما يدل على كرم الرجل ، وطيب غريزته ،  
وحينه إلى أوطانه ، وحبته متقدمي أخوانه ، وبكاؤه على ماضى من زمانه (٦)  
والاصمعي يقول : دخلت البادية. فنزلت على بعض الأعراب ، فقلت : أفدني ،  
فقال : إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل ، وحسن عهده ، وكرم أخلاقه ، وطهارته  
مولده ، فانظر إلى حينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه ، وبكاؤه على ماضى  
من زمانه (٧) .

(١) تصتك : صمت الرجل : شكاً إليه فتزع إليه من شكائته . والصمات :  
سرعة العطش في الناس والدواب .

(٢) المحاسن والاضداد : ٩٤ . والمحاسن والماوى : ٢٢٧/٢

(٣) المسدوران إلى ابن رصفحاتهما . وديوان المعاني : ١٨٩

(٤) محاضرات الأدباء : ٦٢٠/٤

(٥) نفسه ٦٢١/٤ . ومطالع البدور : ٢٩٢/٢

(٦) محاضرات الأدباء : ٦٢٠/٤ (٧) مطالع البدور : ٢٩٢/٢

وأشد ما يكون الشوق إلى الوطن في العلة والمرض ، فهذا أعرابي يقتل — وهو بعيد عن وطنه — وفتيل له : ما تشتهي ؟ قال : حسل فلاة (١) ، وحسى فلاة (٢) ، وآخر يقتل بالحضر ، فتيا له : ما تشتهي ؟ قال : مخيضاً رويأ (٣) ، وضباً مشويأ (٤) ، والجاحظ ينقل إلينا خبراً عن بعض بني هاشم ، وهو يسأل أعرابياً عن البادية ، وأين يسكن منها ، وما طعامه فيها . فيجيبه بحواب ، إن دل على شيء فلأنما يدل على ما للوطن في قلب هذا الأعرابي من محب و تقديس . قال الجاحظ : وحدثنا بعض بني هاشم . قال : قلت لأعرابي : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية . قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مساقط الحمى ، حمى ضرية (٥) . ما أن — لعمر الله — أريد بها بدلاً ، ولا أتغنى عنها حولاً . حفتها الفلوات ، فلا يملوح مأوها ولا تحمي تربتها ليس فيها أذى ، ولا قذى ، ولا وعك (٦) ولا موم (٧) . ونحن بآرقه عيش ، وأوسع معيشة ، وأسبع نعمة . قلت : مم طعامكم ؟ قال : ينخ ينخ : الهبيد (٨) ، والضبب والبراييج مع القنافة ، والحيات . وريتا — والله — أكلنا اللحم واشويينا الجلد . فلا تعلم أحداً ، أخصب منا عيشاً . فالحمد لله على ما رزق من السعة ، وبسط من حسن الدعة (٩) .

والبيهقي ينقل الخبر — نفسه — ولكن بصورة أوضح ، وتفصيل أدق . قال : وحدث عن بعض بني هاشم ، قال : قلت لأعرابي : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية . قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مساقط الحمى ، حمى ضرية ، لعمر الله ، ما نريد بها بدلاً ، ولا نغنى عنها حولاً . تقحها العداوات (١٠) ، وحفتها الفلوات

(١) الحسل : ولد الضب

(٢) الحسى : الرمل المتراكم . (٣) محاضرات الأدباء ٦٢١/٤

(٤) مخض اللبن يمتخضه فهو مخيض : أخذ زبده .

(٥) المحاسن والاضداد : ٩٣ . والمحاسن والمساوي : ٢ / ٣٢٦ .

(٦) حمى ضرية : موضع . (٧) الوعك : الألم .

(٨) الموم : الحمى . (٩) الهبيد : الخنظل .

(١٠) المحاسن والاضداد : ٩٣ — ٩٤

(١١) العداوات : جمع عذاة وهي الأرض البعيدة من الأنهار والبحور ولا

تكون ذات وخامة ولا وباء .



أفلا يملو (١) ترابها ؛ ولا يتمر جناها (٢) ؛ ولا يملو ماؤها . ليس بها أذى ؛  
ولا قذى ؛ ولا موم . فنحن فيها بأرف عيش ؛ وأنعم معيشة ؛ وأرغد نعمة . قلت :  
فما طعامكم ؟ قال بنج بنج ! عيشنا عيش تملل جاذبة ؛ وطعامنا أطيب طعام وأهنأه  
وأمرأه : الغث ؛ والهبید والصليب ؛ والعنكث ؛ والعلمز ؛ والذئب أنين ؛ واليسنة ؛  
والعراجين (٣) ؛ والحسلة ؛ والضباب ؛ واليرابيع ؛ والقنافذ ؛ والحيات ؛ وريثها  
— والله — أكلنا القد ؛ واشتوينا الجلد . فما نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ؛  
ولا أرخى بالاً ؛ ولا أعمر حالاً . أو سمعت قول شاعر ؛ وكان — والله — بصيراً  
يرقيق العيش ولذينه ؟ قلت وما قال : قال : قوله :

إذا ما أصابنا كل يوم مذيقة      وخمس تمرات صفار كوانز  
فنحن ملوك الناس خصباً ونعمة      ونحن أسود الناس عند الهزاهز  
ولكم تمن عيشنا لا ينال      ولو ناله أخشى به حتى فائز

فأحمد لله على ما بسط من حسن الدعة ، ورزق من البعة ، وإيأ ، فقال تمام  
النعمه (٤) .

وأبو علي القالي ، يحدثنا عن أبي عمرو بن العلاء ، حديثاً قريباً في معناه من  
حديث الجاحظ ، والبيهقي : وقال أبو علي : يحدثنا أبو بكر ، محمد بن الحسين بن  
دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : لقيت  
أعرابياً بمكة . فقلت له : ممن أنت ؟ قال : أسدي . قلت : ومن أيهم ؟ قال : مهدي .  
قلت : ومن أي البلاد ؟ قال : من عمان . قلت : فأني لك هذه الفصاحة ؟ قال :  
إنا سكننا قطرا ، لا نسمع فيه ناجخة (٥) التيار . قلت : صف لي أرضك ؟ قال :

(١) يملو ترابها : لا يتراكم رملها ويدخل بعضه في بعض .

(٢) يتمر جناها : يصيبها الجذب .

(٣) الغث والهبید والصليب والعنكث والعلمز والذئب أنين واليسنة والعراجين :

هذه من نباتات الصحراء .

(٤) الخناس والمساوي : ٣٢٦/٢ .

(٥) سيل ناجخ : شديد الجري ، ناجخة الماء ونجخته : صوته .

سيف أفيح (١) ، وفضاء صحصح ، وجبل صردح (٢) ، ورمل أصبح . قلت : فما مالك ؟ قال : النخل . قلت : فأين أنت عن الإبل ؟ قال : أن النخلة حملها غداة ، وسعفها ضياء ، وجذعها بناء ، وكربها صلاه (٣) ، وليفيار شاء (٤) ، وخرصها وعاء ، وقروها (٥) أناء (٦) .

ففي هذه النصوص ، ظهر لنا مدى تعلق هؤلاء الأعراب بأوطانهم ، وتقديرهم لها . تجلي ذلك . في هذا الرصف الدقيق ، والرضا التام ، عما فيها من حياة ، والإعجاب اللامحدود بديارهم ، والقناعة الحقة بما قسم لهم من الأوطان ، ورزقوا من المكان . والتي نتجت كلها ، عن صدق في العاطفة ، ورهافة في الحس ، ورقة في الشعور ، وجمال في الأسلوب ، وحسن في البيان .

\*\*\*

ويكون اشتداد الغربة على المرء بضيافته بالبلد الجديد ، فيزداد حنينه لوطنه . فهذا عبد الحميد — الشهير بالكتاب — ورسالته المشهورة ، التي بعث بها إلى أهله وأقاربه ، من فلسطين . والتي يظهر فيها ألمه في الفراق ، وشكواه من الدهر ، الذي أبعدته عن الوطن والأهل — في أسلوب سلس ، عذب ، رقيق ، ينم عن عاطفة صادقة . قال : أما بعد : فإن الله جعل الدنيا مخوفة بالسكر ، والسرور ، وجعل فيها أقساماً مختلفة بين أهلها . فمن درئت له بحلاوتها ، وساعده الحظ فيها ، سكن إليها ، ورضي بها ، وأقام عليها . ومن قرصته بأظفارها ، وعنته بأنيابها ، وتوطأته بشقلها ، قلاها ، نافرأ عنها . وذمها ساخطاً عليها . وشكاه مستزيداً منها . وقد

(١) السيف : كل ما كان ملتصقاً بأصول السعف .

(٢) الصردح : المسكان الواسع الأملس .

(٣) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٤) الرشاء : شجرة تسمو فوق القامة ورقها كورق الخروع .

(٥) القرو : شبه حوض ممدود مستطيل إلى جنب حوض ضخم يفرغ فيه من

الحوض الضخم ترده لإبل والغنم .

(٦) ذيل الأمال للقال : ١٦ .



كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها . وأرضعتنا من درّها أفاريق<sup>(١)</sup> استحليناها .  
ثم شمت<sup>(٢)</sup> منا نافرة وأعرضت عنا متسكرة ؛ ورمحتنا<sup>(٣)</sup> مولية . فلعن عذبتها .  
وأمر سبلوها . وخشن ليها . فرقنا<sup>(٤)</sup> عن الأوطان ، وقطعتنا عن الإخوان .  
فدارنا نازحة ؛ وطيرنا بارحة<sup>(٥)</sup> . قد أخذت كل ما أعطت ؛ وتباعدت مثل  
ما تقربت . وأعقبنا بالراحة نصبا<sup>(٦)</sup> ؛ وبالجدل<sup>(٧)</sup> هما ؛ وبالأمن خوفا ؛ وبالعز ذلا ،  
وبالجدة<sup>(٨)</sup> حاجة ؛ وبالسراء ضراء ؛ وبالحياة موتا . لا ترحم من استرحمها ؛ سالكة  
بنا سبيل من لا أوبة له ؛ متقين عن الأولياء ؛ مقطوعين عن الأحياء<sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

### في التأليف :

ونظراً لما لأدب الحنين إلى الوطن ، من كثرة ، وجودة ، وأهمية في الأدب  
العربي بصورة خاصة ، والآداب الإنسانية ؛ بصورة عامة ؛ فقد وجدنا كثيراً من  
المؤلفين والكتاب ؛ ألفوا كتباً في الحنين إلى الوطن أو أفردوا فصولاً ضمنوها كتبهم ؛  
تختص بالحنين إلى الوطن .

فالملاحظ يكتب رسالة في الحنين إلى الأوطان ؛ ويذكر السبب الذي حداه إلى  
تأليف هذه الرسالة ؛ فقال : « وأن السبب الذي بحث على جمع تتف من أخبار العرب  
في حنينها إلى أوطانها ؛ وشوقها إلى تربها وبلدانها ؛ ووصفها في أشعارها ، توقده النار  
في أكبادها — أنى فاوضت بعض من انتقل من الملوك ؛ في ذكر الديار ، والنزاع

(١) الأفاريق : ما يجمع في الضرع من اللبن بعد الحلب .

(٢) شمت : نفرت .

(٣) رمحتنا : الرمح : ضرب الناقة برجلها ؛ كالفرس بالنسبة للفرس .

(٤) فرقنا : أخرجنا .

(٥) بارحة : البارحة : الريح الحارة في الصيف .

(٦) نصبا : الأعياء والتعب . (٧) الجدل : الفرج .

(٨) الجدة : الميسرة .

(٩) الوزراء والكتاب للجيشياري : ٧٣ — ٧٣ . ورسائل البلغاء : ٢٢١ .

على الأوطان ؛ فسمعه يذكر : أنه اغترب من بلده إلى بلد آخر ، أمهد من وطنه ؛ وأعمر من مكانه ؛ وأخصب من جنابه ؛ ولم يزل عظيم الشأن ، جليل السلطان ، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها ؛ ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها يقود الجيوش ؛ ويسوس الحروب (١) ، وليس يباه إلا راغب إليه ؛ وأراغب منه . فكان إذا ذكر الثربة والوطن ، حن إليه ؛ حنين الإبل إلى أعطانها (٢) ، فيأله من سبب قوى ومنطاني .

ولم يكف الجاحظ برسالة — تلك — بل زاد وأفرد فصلاً في كتابه الخامس والاختداد ، سماه « الحنين إلى الوطن » (٣)

ومحمد بن سهل بن المرزبان السرخي البغدادي يؤلف كتاباً اسمه « الحنين إلى الوطن » ؛ وكتاباً آخر اسمه « الشوق والفراق » (٤) والوشاء يؤلف كتاباً اسمه « الحنين إلى الوطن » (٥) :

ويذكر في كتابه « الحنين إلى الوطن » (٦) .

والبحتري في حماسه ، وأبو هلال العسكري في ديوان المعاني ، والحصري في زهر الآداب ، والراغب الأصبهاني في محاضرات الآداب ، والبيهقي في المحاسن والمساوي ، والمرتضى في أماليه ، والغزولي في مطالع البدور ، كل هؤلاء أفردوا فصولاً في مؤلفاتهم باسم « الحنين إلى الوطن » (٧) .

وهناك قسم آخر من المؤلفين ، بلغ من حبه لوطنه ، أن ألف فيه كتاباً خاصاً ذكر فيه محاسن هذا الوطن ، وما قيل فيه من أشعار وأقوال ، ودحض ما قيل فيه من ثلب وذم ، وقد أسبغوا على أوطانهم صفات ومناقب ، لا يعرفها المار بها ، أو الذي ليس منها .

(١) يسوس الحروب : يقودها . (٢) وسائل الجاحظ : ٣٨٣/٢ — ٣٨٤

(٣) الخامس والاختداد : ٣ ، وما بعدها .

(٤) هدية العارفين لاسماعيل البغدادي : ٢٧/٢ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٤/٢ (٦) معجم البلدان : ٢٣٤/١ .

(٧) تنظر مؤلفاتهم .



فالأزرق (١) يؤلف كتاباً في أخبار مدينة مكة ، يظهر فيه فضام ، وقدرها ،  
وقدسيها ، ومكانتها في الإسلام ، وتاريخها ، وما ورد فيها من آيات بيئات ،  
وأقوال للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأقوال للشعراء والعلماء ، من مدح لها ،  
وتبيان لفضائلها .

والخطيب البغدادي يؤلف كتاباً ضخماً ، يقع في أربعة عشر جزءاً ، في مدينة  
بغداد . ذكر فيه أقوال العلماء في أرضها ، وحكمها ، ووصفها ؛ بل وكل ما يتصل  
بها . كما ذكر فيه الأحاديث التي فيها ثلب بها ؛ وطقن بأهلها وفنندها وبين فسادها (٢) .  
ويضع ابن الخطيب في فضل البلدان ، وهو يعني دياره التي عاش في أحيائها .  
ورفع في أرجائها ؛ كتاباً سماه : « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » . فإذا  
هو يسوقها بلداً بلداً ؛ في أسلوب يفيض بالأكبار لتلك المعاهد والديار ؛ يصور لك  
قدرها في نفسه ؛ وتبليها على حسه (٣) .

وابن عساكر يؤلف كتاباً ضخماً ؛ في مدنيته دمشق يقع في ثمانين مجلدة (٤)  
ذكر فيه فضل دمشق والشام ؛ وما فيها من جمال وروعة ؛ إضافة إلى كل ما يتصل  
بها من التاريخ والأدب وغيرها . ويقول الأستاذ محمد كرد علي في : « ما حظيت  
مدينة في الإسلام بتاريخ يضاهي تاريخ دمشق هذا ؛ ففي المجلدتين الأولى والثانية ،  
تخطيط دمشق . وسورها . وأبوابها . وخططها . وأبنائها . ومصانعها . ومساجدها .  
وآثارها . وفضائلها . وخصائصها . وما يتصل بذلك من تقويمها وتخطيطها . وترجم  
للمؤلف في بقية المجلدات ؛ لكل من يصح أن يترجم له ؛ من أهل دمشق ؛ وخلفائها .  
وأمرائها ، وحكامها ، وقضاةها ، وعلمائها ؛ وأدبائها ؛ وشعرائها . ممن ولد أو أقام  
بها ؛ أو زارها وحل بها ؛ منذ الفتح الإسلامي إلى زمان المؤلف . وقد يترجم لمن  
قبل الإسلام . وبذلك جمع أعظم عدد من رجال الثقافة الإسلامية ؛ وأعلام حضارة

( ١ ) ولد بمكة في القرن الثاني للهجرة ، وتوفي في منتصف القرن الثالث تقريباً .

[ أخبار مكة : ١/١٣ — ١٥ ]

( ٢ ) أنظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

( ٣ ) الوطن في الأدب العربي لأبراهيم الأبياري : ٩١

( ٤ ) أنظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

العرب . لجام كتابه أشبه بعملة إسلامية . وقد يكون تاريخ دمشق ؛ أوسع تواريخ  
المدن (١) .

فكل هذه الكتب والفصول ؛ لم يكن الدافع إلى تأليفها ، أو تضمينها في الكتب  
— فيما نرى — إلا حب الوطن ، والحنين إليه ، أو الشعور بهما على أقل تقدير .

ولم تكن كتابتنا لهذه الرسالة ، إلا بدافع الحنين إلى الوطن السليب « فلسطين »  
الذي شردت عنه ؛ منذ الطفولة المبكرة وغلبني الشوق والحنين إليه .

\*\*\*



## الخاتمة

لكل بحث نتائجه ، ولكل دراسة جديد ، تضيفه إلى ماهر موجود من البحوث والدراسات . وألا فلا قيمة لهذا البحث ، أو تلك الدراسة ، إن لم تضيف جديداً على ما هو سابق وحاصل .

وفي بحثنا هذا ، لا نجدنا مغالين إذا قلنا : إننا أضفنا جديداً به . فالحنين إلى الوطن في الأدب العربي موضوع جدير بالدراسة ، منذ أقدم عصور الأدب العربي حتى يومنا هذا . ولم يحظ هذا الموضوع ، بالدراسة الجادة ، لافي الشعر ، وهو فن رقيق — في رأينا — عبث فيه الشعراء عن صدق عواطفهم ، ووريق مشاعرهم ، وبعد خيالهم . ولافي النثر ، وقد عبث فيه الأدباء ، والحكماء ، والفلاسفة ، عما يحتاج في نفوسهم ، وأنتجته قرائمهم بأقوال أو كتب تجماء وطنهم .

وقد تبين لنا ، من خلال البحث والدراسة ، أن الحنين إلى الوطن ، ظاهرة إنسانية عامة ، وجدت في جميع آداب الأمم ، قديمها وحديثها . وقد تجلى لنا هذا الشعور عند العرب ، بدوهم وحضرهم ، رجالهم ونسائهم ، شعرائهم وأدبائهم ، قدمائهم ومحدثهم .

فالبدو ، على الرغم من حياة الترحال والتنقل ، وعدم الاستقرار في مكان ، كانوا يحنون إلى كل بقعة حلوا فيها — فهي وطنهم ، في مفهوم معين . في ظرف معين ، كظرفهم آنذاك . وما شعر الاطلال إلا دليل على شوقهم إلى ديارهم ، وحنينهم إليها ، على ما فيه من عوامل التمليد ، ليس في رأينا حسب ، وإنما في رأي من سبقنا من النقاد والباحثين .

والحضر ، كانوا على ارتباط وثيق بأوطانهم ، وقد تجلى لنا هذا في شعرهم . والمرأة كانت أشد عاطفة . وأكثر لوعة في حنينها إلى وطنها من الرجل ، وذلك لانتقالها عن أهلها ووطنها ، مرغمة ، خاصة عند زواجها من غريب . أضف إلى ذلك ، ما يمتاز به من رقيق الشعور ، ورهافة الحس .

وفي النثر العربي ، حث الله سبحانه وتعالى ، في مواضع عديدة ، من كتابه العزيز ،

على التمسك بالوطن ، وعدم الرحيل عنه . وكان ذلك عند رسول الله ﷺ ، وصحابته الكرام . كما كان في أمثال العرب وقصصهم ، وفي تآليفهم وكتبهم .

والوطن ذو شأن عظيم عند الإنسان ، كل إنسان . ومن هنا كانت الأهمية في دراسة هذا الموضوع ، ليس في الحقبة التي درستناها حسب ، بل في العصور كافة . ولنا وطيد الأمل . أن يعيننا الله ، على استكمال الدراسة ، فنكون بها قد أخرجنا [ دراسة كاملة متكاملة ، في موضوع شيق رقيق ، يحظى باهتمام كبير ، من رجال هذا العصر خاصة ، لما له من ارتباط مباشر بالوطن ، وهو الشغل الشاغل للأمم والشعوب ، في كل زمان ومكان ، وربما كانوا أكثر اشتغالا به في أيامنا هذه لأنهم يشعرون أنهم يزاحمون في أوطانهم أو في بعضها على الأقل ، فيدعونهم هذا إلى شدة التعاطي بالوطن وإلى الدفاع عنه ، وإلى الحنين إليه حين يبعد عنهم وبينهم وبينه .



## المصادر والمراجع

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى تحقيق رشدى الصالح مجلس . مطابع دار الثقافة و بمكة المكرمة .

ط ٢ . ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

(٢) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : لسليم حسن . ط ١ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .

(٣) الأدب الهيلينى للدكتور محمد غلاب . مطبعة الحلبي و بمصر ، ط ١ ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

(٤) أدباء السجون لعبد العزيز الحلبي . دار الكتّاب العربى ، بيروت .  
(٥) آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية لساطع الحصرى . ط ٣ . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٧ م .

(٦) أساس البلاغة لجار الله أبى الفاسم عمود بن عمر الزمخشري . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م .

(٧) الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني . دار الثقافة و بيروت ، ط ٢ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

(٨) أقران الموارد فى فصيح العربية والشوارد لسعيد الخورى الشرتونى اللبناني . مطبعة فرملى اليسوعية و بيروت ، ١٨٨٩ م .

(٩) الياذة هو ميروس بقلم سليمان البستاني . مطبعة الهلال ، بمصر ، ١٩٠٤ م .  
(١٠) أمالى المرتضى للشرىف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى . تحقيق محمد

أبو الفضل ابراهيم . مطبعة الحلبي . ط ١ ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .  
(١١) أندلسيات شوقي للدكتور صالح الاشقر . ط ١ مطبعة و جامعة دمشق ،

١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

(١٢) أوديسة هو ميروس . ترجمة أمين سلامة . بنك لأدباء و القاهرة ، ١٩٦٠ م .

(١٣) إرميه سيوير ليليان كيستلوت . ترجمة أنطون حمصى . وزارة الثقافة و دمشق ، ١٩٧٠ م .

(١٤) بابلونيرودا لجان مرسينال . ترجمة أحمد سويد . دار المعجم العربي ، بيروت .

(١٥) البيان والتبيين للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

(١٦) البيعة والمجتمع للدكتور محمد السيد شلاب : ط ٤ مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ، ١٩٦٩ .

(١٧) بين الكتب والناس لعباس محمود العقاد ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .

(١٨) تاج العروس في جواهر القاموس . لمحمد مرتضى الزبيدي ، دار مكتبة الحياة . بيروت .

(١٩) تاريخ ابن خلدون مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر . ط ٢ ، . بيروت ، ١٩٦١ م .

(٢٠) تاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل ، والدكتور محمد حمدي البكري مطبعة المقتطف والمقطم ، مصر ، ١٩٤٩ .

(٢١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م .

(٢٢) تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر . تحقيق صلاح الدين . المنجد . مطبوعات المجتمع العلمي العربي ، بدمشق .

(٢٣) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الجزء الرابع تحقيق . عبد الحليم النجار . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

(٢٤) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .

(٢٥) جمهرة اللغات لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري مكتبة المثني ، بغداد .

(٢٦) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري . حققه وعلق على حواشيه محمد أبو الفضل إبراهيم . وعبد المجيد قطامش المؤسسة العربية الحديثة . ط ١ ، القاهرة .

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .



(٢٧) الحلال الهندسية في الأخبار والآثار الأندلسية للأمير شكيب أرسلان .  
المطبعة الرحمانية ط ١ ، بمصر ، — ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .

(٢٨) الحماسة الشجرية لابن الشجري هبة الله علي بن حمزة العلوي الحسني .  
تحقيق عبد المعين الماوحى . وأسماء حمصى . وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠ .

(٢٩) الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر حسن فهمي .  
معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ١٩٧٠ م .

(٣٠) الحيوان للجاحظ . تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الحلبي .  
ط ١ ، مصر ، ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٨ م .

(٣١) دراسات في الشعر العربي المعاصر للدكتور شوقي ضيف . ط ٣ دار المعارف ، بمصر .

(٣٢) ديوان ابن الفارض . تحقيق فوزي عطوي . الشركة اللبنانية للكتاب .  
بيروت ، ١٩٦٩ .

(٣٣) ديوان بن مقبل تحقيق د . عزت حسن . وزارة الثقافة والإرشاد القومي .  
دمشق ، ١٣٨١ — ١٩٦٢ .

(٣٤) ديوان أبي بكر الأزدى تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي .  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

(٣٥) ديوان أبي تمام . بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده عزام .  
دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٤ م .

(٣٦) ديوان ابن نواس . حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي .  
دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣٧) ديوان أسامة بن منقذ حققه وقدم له د . أحمد أحمد بدوي ، وحامد عبد المجيد .  
المطبعة الأميرية ، بالقاهرة ، ١٩٥٣ م .

(٣٨) ديوان الأعشى الكبير ( ميمون بن قيس ) تحقيق د . محمد محمد حسين .  
المطبعة النموذجية ، القاهرة .

(٣٩) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو النضل إبراهيم . دار المعارف ، بمصر ، ١٩٥٨ م .

- (٤٠) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي تحقيق د . عزت حسن .  
وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق ، ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م
- (٤١) ديوان جرير . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر .  
بيروت ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م
- (٤٢) ديوان جميل جمع وتحقيق د . حسين نصار . ط ٢ ،  
مكتبة مصر . القاهرة ، ١٩٦٧ م
- (٤٣) ديوان حاتم الطائي . دار صادر . بيروت ، ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م
- (٤٤) ديوان حميد بن ثور الهلالي . تحقيق عبد العزيز الميمني . دار الكتب  
المصرية . القاهرة ، ١٣٧١ هـ — ١٩٥١ م
- (٤٥) ديوان الخنائل لإيليا أبو ماضي . ط ٢ ، مكتبة صادر . بيروت ،
- (٤٦) ديوان ذي الرمة . تحقيق وطبع ببلي . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .  
دمشق ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م
- (٤٧) ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس تحقيق عبد العزيز الميمني . دار الكتب المصرية  
القاهرة ، ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م
- (٤٨) ديوان سراقبة البارقى . تحقيق وشرح حسين نصار . لجنة التأليف والترجمة  
والنشر . ط ١ . القاهرة ، ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م
- (٤٩) ديوان الشماخ بن خزار . حققه وقدم له صلاح الدين الهادي . دار المعارف  
بمصر ، ١٩٦٨ م
- (٥٠) ديوان طرفة بن العبد . مطبعة برطند بشالون ، ١٩٠٠ م ودار صادر  
ودار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ، ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م
- (٥١) ديوان الطرماع . حققه د . عزت حسن . وزارة الثقافة والسياحة والارشاد  
القومي . دمشق ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م
- (٥٢) ديوان الطفيل الغنوي تحقيق محمد عبد القادر أحمد . ط ١ ، دار الكتاب  
الجديد . بيروت ، ١٩٦٨ م
- (٥٣) ديوان العباس بن الأحنف تحقيق وشرح د . عائكة الحزرجي .  
دار الكتب المصرية . القاهرة ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م



(٥٤) ديوان العباس بن مرداس السلمي، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري، دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

(٥٥) ديوان عبد الله بن الدمينه تحقيق أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار المروية، والقاهرة، ١٣٧٩ هـ.

(٥٦) ديوان عبد الله بن الممتز، قام على طبعه وحل غريبه المرحوم الشيخ محي الدين الحياط، المكتبة العربية ودمشق،.

(٥٧) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م.

(٥٨) ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق وشرح د. حسين تيسار، ط ١، مطبعة الحلبي، بمصر، ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م.

(٥٩) ديوان الجرجي، شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد المبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد، ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م.

(٦٠) ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق إبراهيم الاعرابي، مكتبة صادر وبيروت، ١٩٥٢ م.

(٦١) ديوان عنزة، دار بيروت ودار صادر، بيروت، ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م.

(٦٢) ديوان الفرزدق تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م.

(٦٣) ديوان القطامي، طبع ليدن ١٩٠٣ م برلين، تحقيق وبيروت،.

(٦٤) ديوان مجنون ليلى، شرح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة حجازي والقاهرة،.

(٦٥) ديوان المزود بن ضرار، تحقيق خليل إبراهيم العنطية، مطبعة أسعد وبغداد، ١٩٦٢ م.

(٦٦) ديوان النابغة الذبياني، صنفه ابن الكيث، تحقيق د. شكري فيصل، مطابع دار الهاشم، بيروت، ١٩٦٨ م.

(٦٧) ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي علق عليه وراجعه محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م.

(٦٨) ديوان الحماسة لأبي عبادة البحرى . تحقيق كمال مصطفى . ط ١ المطبعة الرحمانية  
وبمصر ، ١٩٢٥ م .

(٦٩) ديوان سقط الزند لأبي العلام المعرى . شرح وتعليق د . ن . رضا .  
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٧٠) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . مكتبة القدس ، والقاهرة ، ١٣٥٢ هـ .

(٧١) ديوان المفضليات عنى بطبعه كارلوس يعقوب لايل . مطبعة الآباء اليسوعيين .  
وببيروت ، ١٩٢٠ م .

(٧٢) ديوان المفضليات تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٣  
دار المعارف ، بمصر .

(٧٣) ذيل الأمل والنوادر . لأبي على اسماعيل بن القاسم النعماني البغدادي . ط ٣ .  
دار الكتب المصرية . القاهرة .

(٧٤) رسائل البلغاء لمحمد كرد علي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط ٤  
١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م .

(٧٥) رسائل الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام هارون . مطبعة السنة الحميدية .  
القاهرة ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م .

(٧٦) رسالة الغفران لأبي العلام المعرى . تحقيق د . بذت الشاطي . دار المعارف .  
وبمصر ، ١٩٥٠ م .

(٧٧) زهر الآداب لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني . تحقيق علي محمد  
البيجاوي . ط ١ ، مطبعة الحلبي ، بمصر ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م .

(٧٨) الزهرة لأبي بكر محمد بن سليمان الأصفهاني . اعتنى بنشره د . لويس نيكلي  
البوهيمي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م .

(٧٩) سر الفصاحة لابن سنان الحفاجي . شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي .  
مكتبة محمد علي صبيح . القاهرة . ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .

(٨٠) سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه . تحقيق  
محمد فؤاد عبد الباقي . مطبعة الحلبي . القاهرة ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٢ م .



(٨١) سنن أبي داود لأبي داود بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني . علق

عليه أحمد سعد علي . ط ١ ، مطبعة الحلبي ، بمصر ، ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م .

(٨٢) السيرة النبوية لأبي هشام . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري

وعبد الحفيظ شلي . ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م .

(٨٣) شاعرات العرب . جمع وتحقيق عبد البديع صقر . منشورات المكتب

الإسلامي . دمشق ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .

(٨٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .

(٨٥) شرح ديوان عنتر بن شداد تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلي .

المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ،

(٨٦) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . حققه وقدم له . د . احسان عباس .

وزارة الارشاد والانباء في الكويت ، ١٩٦٢ م .

(٨٧) شعر ابن مفرغ الحميري . جمع وتقديم د . داود سلوم . مطبعة الإيمان .

وبغداد ، ١٩٦٨ م .

(٨٨) شعر أبي زيد الطائي . جمع وتحقيق د . غوري حمودي القيسي . مطبعة

المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧ م .

(٨٩) شعر الأحوص الأنصاري . جمعه وحققه عادل سليمان جمال . الهيئة المصرية

العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .

(٩٠) شعر الراعي النخعي . جمعه وقدم له وعلق عليه ناصر الحاني . مطبوعات

المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م .

(٩١) شعر عروة بن حزام تحقيق د . إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب . نشر في مجلة

كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الرابع حزيران ١٩٦١ م .

(٩٢) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام . للنعمان تبه المتعال الفاضلي .

الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣١٥ هـ — ١٩٦٥ م .

(٩٣) شعر المثقب العبدى تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين . مطبعة المعارف .

وبغداد ، ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .



- (٩٤) الشعر والإنشاد للدكتور جميل سعيد . مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي  
المجلد الرابع عشر ١٩٦٧ م .
- (٩٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . ط ٢ ، دار المعارف  
دمصر ، ١٩٦٨ م .
- (٩٦) شعراء النصرانية جمعها الأب لويس شيخو اليسوعي . مطبعة الآباء المرسلين  
اليسوعيين في بيروت ، ١٨٩٠ م .
- (٩٧) الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .  
مطابع دار الكتاب العربي ، بمصر .
- (٩٨) صحيح البخاري لأبي محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري . مطبعة الحلبي  
دمصر ، ١٣٧٧ هـ .
- (٩٩) صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي . المطبعة المصرية بالأزهر ،  
١٢٥٠ هـ — ١٩٣١ م .
- 
- (١٠٠) صحيح مسلم بشرح النووي ، مصر ، ١٣٤٩ هـ .
- (١٠١) طبقات الشعراء لابن المعين تحقيق عبد الستار أحمد فراج .  
دار المعارف ، بمصر .
- 
- (١٠٢) الطبعة في الشعر الجاهلي للدكتور نوري حمودي القيسي . دار الإرشاد  
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .
- (١٠٣) العرب والشعر . محاضرات ألقاها الدكتور جميل سعيد على طلبة قسم  
الماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد ، ١٩٦٨ هـ — ١٩٦٩ م .
- 
- (١٠٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه . لابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محي الدين  
عبد الحميد . مطبعة حجازي ، بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م .
- (١٠٥) غرر الحكم ودرر الكلم جمعها عبد الواحد الأمدى التميمي . أشرف على  
تصحيحه أحمد شوقي الأمين . مطبعة النعمان . النجف الأشرف .
- (١٠٦) فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين . ط ٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر .  
القاهرة ، ١٩٥٩ م .



(١٠٧) فضائل مكة والسكن فيها . للحسن البصري . تحقيق د . سامي مكي العاني  
نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، عدد ١٤ . المجلد الأول .  
١٩٧٠ - ١٩٧١ م .

(١٠٨) القرآن الكريم .

(١٠٩) قصائد مختارة من الشعر العالمي . ترجمة بدر شاكر السياب .

(١١٠) قصة الأدب في العالم تصنيف أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة  
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م . ج ٢ ، ومكتبة  
النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٥ ج ١ .

(١١١) قيس ولبنى شعر ودراسة جمع وتحقيق د . حسين نصار . دار مصر للطباعة  
والقاهرة ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

(١١٢) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرنجي  
المصري . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ، ١٣٧٤ هـ -  
١٩٥٥ م .

(١١٣) اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد . مطبعة مخيمر . القاهرة ، ١٩٦٠ .

(١١٤) المحاسن والأضداد للجاحظ . مطبعة الساحل الجنوبي . لبنان ، ومكتبة  
الخانجي بمصر ١٣٢٤ هـ .

(١١٥) المحاسن والمساري للشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي . مطبعة فردريك  
شوالى ١٣١٩ هـ .

(١١٦) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب  
الاصمائي مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ م .

(١١٧) المختص لأبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف  
بأبن سيده ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت .

(١١٨) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها . لعبد الله عفيفي . مطبعة الاستقامة .  
القاهرة .

(١١٩) المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور أحمد محمد الحوفي ، ط ٢ مطبعة المدني ، القاهرة .

(١٢٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لعلی بن الحسن بن علی المسعودی .

تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید . ط ٣ ، مطبعة السعادة ، بمصر ،

١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

(١٢١) المسند لأحمد بن محمد بن حنبل . شرحه أحمد محمد شاكر ط ٤ ، دار

المعارف ، بمصر ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

(١٢٢) مطالع البدر فی منازل السرو ، لعلاء الدین الخزرجی . مطبعة الرافد

١٣٠٠ هـ .

(١٢٣) معجم البلدان لياقوت الخوی . دار صادر ودار بیروت للطباعة والنشر .

بیروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

(١٢٤) معجم مقاییس اللغة لأبی الحسن أحمد بن فارس بن زکریا . تحقیق

عبد السلام هارون ط ١ ، مطبعة الحلبي ، بمصر ، ١٣٦٦ هـ .

(١٢٥) المعجم الوسيط قام باخراجه ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وزملاؤهما

مطبعة مصر ١٣٨١ هـ - ٦١

(١٢٦) من حداث الماء فی الادب العربی للدكتور جميل سعيد . مقال نشر بمجلة

المجمع العلمی العراقی المجلد الثالث عشر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

(١٢٧) المنازل والديار لأسماء بن منقذ . تحقیق مصطفى حجازی . المجلس الأعلى

للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .

(١٢٨) الموازنة بین أبی تمام والبحتري لأبی القاسم الحسن بن بشر بن يحيى البصري

الأمسي حقه محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية الكبرى .

ط ٣ ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

(١٢٩) هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . لاسماعيل باشا البغدادي .

ط ٣ ، المكتبة الإسلامية بطهران . ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .



(١٣٠) الوزراء والكتاب . محمد بن عبد رس الجهمشياري . حقيقه مصطفي السقا .  
وابراهيم الاياري . وعبد الحفيظ شلي . مطبعة الحلبي ، بمصر .  
١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

(١٣١) الوصف في شعر المراق . للدكتور جميل سعيد . بغداد ، ١٩٤٨ م .

(١٣٢) الوطن في الأدب العربي لابراهيم الاياري . المؤسسة العامة للتأليف  
والطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٦٢ .

(١٣٣) يا حياة المنفى من مهنة شاقة . لناظم حكمت . ترجمة د . أكرم فاضل .  
مطبعة النجوم . بغداد .

The Oxford English Dictionary. Printed in Great Britain. 1961. (١٣٤)

Stedman's Medical Dictionary Printed in U.S.A. 1966. (١٣٥)

Webster's New International Dictionary Printed in U.S.A. 1953. (١٣٦)